



دراسات فى تاريخ
الحروب الصليبية فى الأندلس

دراسات

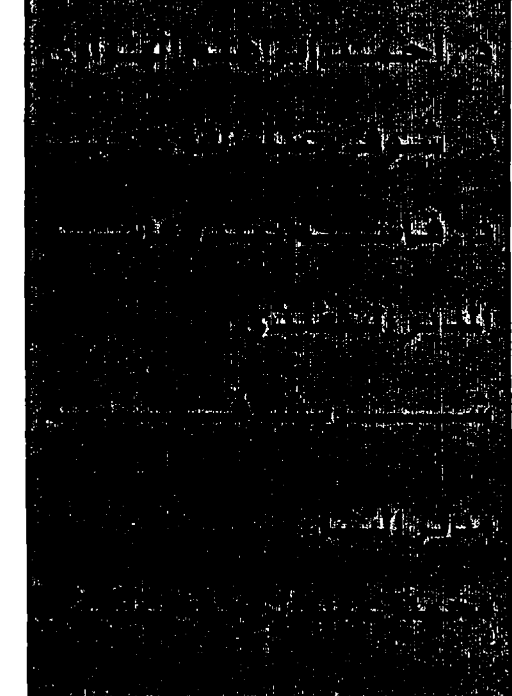
فى تاريخ الحروب الصليبية فى الأندلس

دكتور
محمد محمود أحمد النشار
أستاذ تاريخ العصور الوسطى
كلية الآداب - جامعة طنطا

الطبعة الأولى
١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م



عين للدراسات والبحوث الانسانية والإجتماعية
EIN FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES



المشرف العام : دكتور قاسم عبده قاسم

الناشـر: عين للدراسـات والبحـوث الإنسـانية والاجتماعية

٥ شارع ترعة المريوطية - الهرم - ج.م.ع تليفون وفاكس ٣٨٧١٦٩٣

Publisher:EIN FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES

5, Maryoutia St ., Elharam - A.R.E. Tel : 3871693

E-mail : dar_Ein@hotmail.com

إهـــداء

إلى ... روح أبى

إلى ... قلب أمى

إلى ... ابنىَّ أحمد وحازم النشار

محتويات الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــة

إن قضية الحروب الصليبية فى الأندلس تستحق منا الدراسة والتحليل....

فهل ما تم من حروب بين المسلمين والمسيحيين فى شبه الجزيرة الايبيرية ، تدخل فى إطار الحروب الصليبية أم حركة الاسترداد ؟

حقيقة اعترض بعض المؤرخين المحدثين على إدراج الحروب التى دارت فى شبه الجزيرة الايبيرية فى قائمة الحروب الصليبية بدعوى أن هذا المصطلح يطلق فقط على تلك الحروب التى دارت فى الشرق (فى بلاد الشام) منذ أن دعا إليها البابا أوربان الثانى فى مؤتمر كليرمونت عام ١٠٩٥م واستمرت حتى استعاد المسلمون مدينة عكا على يد الأشرف خليل عام ١٢٩١م (مع الوضع فى الاعتبار أن الحروب الصليبية كانت لها مقدمات قبل ١٠٩٥م واستمرت طوال القرنين الرابع والخامس عشر الميلاديين).

ولكن نرى أنه ليس هناك فرق بين الحروب التى دارت ضد المسلمين فى الشرق وتلك التى شنها الغرب الأوربى ضد مسلمى الأندلس فى أوائل النصف الثانى من القرن الحادى عشر الميلادى ، بمعنى أن الحروب فى كل منهما حركتها فى المقام الأول مشاعر دينية بثتها البابوية ورجال الدين ، وبعبارة أخرى فإن الحروب التى شنها المسيحيون ضد المسلمين فى الأندلس كانت البداية والمقدمات للحروب الصليبية فى الشرق .

وكان المؤرخ ابن الأثير أول من فطن إلى تلك الحقيقة فاعتبر الحروب الصليبية فى الشرق للحروب التى قامت فى الأندلس حيث أشار إلى أنها بدأت فى الأندلس ثم صقلية ثم شمال أفريقيا ثم بلاد الشام.

والجدير بالذكر أن أسباب الحروب الصليبية وبواعثها فى بلاد الشام هى نفس البواعث والأسباب فى الأندلس والارتباط بينهما وثيق .

كما أن الحروب الصليبية فى شبه الجزيرة الايبيرية التى بدأت منذ النصف الثانى من القرن الحادى عشر الميلادى، لها جذور ومقدمات ترجع إلى الصحوة التى بدأت فى غرب أوربا بزعامة البابوية عندما نادى البابا حنا العاشر (٩١٤-٩٢٨م) بطرد المسلمين من الحوض

الغربي للبحر المتوسط بدءًا من جنوب إيطاليا وجزر البحر المتوسط وجنوب غرب فرنسا ثم الميدان الأشمل لها وهو شبه الجزيرة الإيبيرية .

ونقرر هنا حقيقة مهمة وهى أن الحروب الصليبية نبعت فكرتها الأعم فى شبه الجزيرة الايبيرية بمحاولات طرد المسلمين منها بتحريض من البابوية كان له تأثير كبير فى فكر البابا اوربان الثانى فى تطوير فكرة الحروب الصليبية للهجوم على الأراضى المقدسة فى بلاد الشام إذن فالارتباط بين الحروب الصليبية فى الأندلس وفى الشرق هو ارتباط وثيق .

ونأتى إلى قضية هامة أثيرت بين مصطلحى الحروب الصليبية (Las cruzadas) وحركة الاسترداد (La Reconquista) فى شبه الجزيرة الايبيرية حيث استخدم فريق من المؤرخين المصطلح الأول بينما البعض الآخر يستخدم المصطلح الثانى .

ولكى نستطيع أن نوضح هذه القضية يجب أن نعرف ما هو مفهوم حركة الاسترداد ، فالواقع أن معظم المؤرخين اتفقوا على أن هذا المفهوم عند الاسبان يظهر فى إطارين مختلفين الأول : يعنى جهودهم وكفاحهم ضد القوى الأجنبية المختلفة التى هبطت على شبه الجزيرة الأيبيرية قبل ميلاد السيد المسيح بداية من الفينيقيين ووصولا إلى المسلمين ، بينما يرى البعض الآخر من المؤرخين أن المقصود بحركة الاسترداد تلك الحروب التى قام بها المسيحيون ضد المسلمين واستمرت زهاء ثمانية قرون منذ الفتح الإسلامى عام ٧١١م حتى سقوط آخر معقل للمسلمين فى غرناطة ، عام ١٤٩٢م.

ونحن نميل للرأى الثانى بأنها الحروب التى تمت لطرد المسلمين من شبه الجزيرة الأيبيرية مع ملاحظة أن حركة الاسترداد بالنسبة للممالك المسيحية الإسبانية والبرتغالية هى فى الواقع حركة توسع، وجهتها أسباب مادية وسياسية أكثر منها روحية . وكانت تستهدف قبل كل شئ مد ممتلكاتها وممالكها والاستيلاء على أرض دون أن يهتموا إذا كان ذلك على حساب المسلمين أو المسيحيين . وبعبارة أدق فإن حركة الاسترداد استهدفت تحقيق المكاسب والمغانم أكثر من استهدافها خدمة المسيحية وشن الحرب «المقدسة» ضد المسلمين .

ولكن نجد أن الفترة من منتصف القرن الحادى عشر إلى منتصف القرن الثالث عشر شهدت أسبابًا جديدة وبواعث تمثلت فى تدخل البابوية ودعوة البابوات بطرد المسلمين من شبه الجزيرة، وتوافد العديد من الحملات (جماعات وأفراد) للاشتراك فى الحروب ضد المسلمين جعلت من تلك الفترة شكلاً جديداً للحروب نستطيع أن نطلق عليها صفة الحروب الصليبية . ونستطيع أن نقرر أن الحروب الصليبية التى جرت فى شبه الجزيرة الأيبيرية هى إحدى

حلقات حركة الاسترداد ، ونقرر أننا لانستطيع أن نطلق مصطلح الحروب الصليبية فى شبه الجزيرة قبيل منتصف القرن الحادى عشر الميلادى لأن الحروب الصليبية لها صفاتها وسماتها وبواعثها التى لايمكن ثبوتها قبل هذا التاريخ .

أما من أطلق من الباحثين هذا المصطلح على الحروب التى تمت بين الإسبان والمسلمين قبل هذا التاريخ (النصف الثانى من القرن الحادى عشر الميلادى) فقد جانبهم الصواب تماما لأنه بعيد عن الحقيقة التاريخية . ويبقى السؤال عن ماهية الحروب التى دارت فيما بين الممالك المسيحية نفسها، وهى أكثر عدداً من الحروب بينهم وبين المسلمين .

وأقدم هنا خمسة مباحث تتضمن موضوعات تخص الحروب الصليبية فى الأندلس تمهيدا لدراسة شاملة لنا - إن شاء الله- عن تاريخ الحروب الصليبية فى الأندلس يتناول كل جزئيات هذا التاريخ.

والله ولى التوفيق

د. محمد محمود النشار

القاهرة يوليو ٢٠٠٣

- ١ -

البابوية وفرنسا

على مسرح الحروب الصليبية فى الأندلس
(القرن الخامس الهجرى / النصف الثانى من القرن الحادي عشر للميلاد)

اعترض بعض المؤرخين المحدثين على إدراج الحروب التى دارت فى شبه الجزيرة الإيبيرية بين المسلمين والمسيحيين فى قائمة الحروب الصليبية، بدعوى إن هذا المصطلح يطلق فقط على تلك الحروب التى دارت فى الشرق العربى منذ أن دعا إليها البابا أوربان الثانى فى مؤتمر كليرمونت عام ١٠٩٥م واستمرت حتى استعاد المسلمون مدينة عكا على يد الأشرف خليل عام ١٢٩١م/ ٦٩٠هـ (١).

ولكن الباحث يرى أنه ليس هناك فرق بين الحروب التى دارت ضد المسلمين فى الشرق وتلك التى شنها الغرب الأروبى ضد مسلمى الأندلس ، أوائل القرن الحادى عشر الميلادى بدعوى مساعدة الأسبان فى استرداد أراضيهم، بمعنى أن كلها حروب صليبية ، حركتها فى المقام الأول مشاعر دينية . وبعبارة أخرى فإن الحروب التى شنها المسيحيون ضد المسلمين فى الأندلس ليست إلا حلقة من حلقات الحركة الصليبية، تدخل فى سلسلة ما أسماه الأوربيون باسم "الحروب المقدسة" أو "رحلة الحج" أو "تخليص القبر المقدس".

وكان المؤرخ ابن الأثير أول من فطن إلى تلك الحقيقة فاعتبر الحروب الصليبية فى الشرق امتدادا للحروب التى قامت فى الأندلس إذ ذكر فى حوادث عام ٤٩١هـ :

---

(١) أشار الأستاذ الدكتور سعيد عاشور إلى أن المؤرخين اختلفوا فى تحديد المدى الزمنى للحروب الصليبية فمنهم من اعتبرها من ١٠٩٥ إلى ١٢٩١م فى حين قال آخرون أن لها مقدمات وذيول تجاوزت هذا التحديد (الحركة الصليبية جـ١، القاهرة سنة ١٩٧٨م ، ص ٢٦).

« وكـان ابتـداء ظهـور دولة الفـرنج واسـتبـداد أمـرهـم وخـروجـهـم إلى الإسـلام وبلادهـم واستيلائهم على بعضـهـا سنة ٤٧٨ هـ فملكوا مدينة طليطلة وغيرها من بلاد الأندلس ، وقد تقدم ذكر ذلك. ثم قصدوا سنة أربع وثمانين وأربعمائة جزيرة صقلية وملكوها - وقد ذكرته أيضا- وتطرقوا إلى أطراف أفريقية فملكوا منها شيئا وأخذ منهم ثم ملكوا غيره على ما نراه. فلما كانت سنة تسعين وأربعمائة خرجوا إلى بلاد الشام» [١].

هذا وينبغى القول إن المؤرخين قد تناولوا بالدراسة فلسفة الحروب الصليبية فى الشرق بالإسـهـاب ، وتعددت وجـهـات نظرهم لتقـييم تلك الحـركـة فى العـصـور الوسطى[٢] وجـعلوا للحروب الصليبية فى الشرق صفاتها ومعالمها الخـاصة. وإذا ما تناولنا الحروب التى دارت فى نفس الحقبة فى الغرب الإسلامى وعلى وجه الخصوص فى شبه جزيرة إيبيريا نجد لها نفس البـواعث والأسبـاب التى حركت الحـروب الصليبيـة فى المشرق الإسـلامى والتى تتلخص فى عوامل دينية أخفت وراءها بواعث اقتصادية وسياسية واجتماعية.

وكان أن أثيـرت قضيـة هامـة حول مـاهية الحروب التى دارت ضـد مسلمى الأندلس، هل تدخل ضمن ما يسمى حركة الاسترداد (La Reconquista) أو ينطبق عليها مفهوم الحروب الصليبية (Las Cruzadas) ؟ وقبل الإجابة على هذا التساؤل ينبغى أن نحدد مفهوم حركة الاسترداد، إذ يرى فريق من المؤرخين أن هذه الحركة تعبر عن مقاومة الإيبيريين لأى قوات أجنبية غزت شبة الجزيرة الإيبيرية منذ الفينيقيين والإغريقيين والرومان والقوط الغربيين وحتى فتح المسلمين للأندلس[٣]، بينما يرى فريق آخر من المؤرخين أن المقصود بحركة الاسترداد تلك الحروب التى قام بها المسيحيون ضد المسلمين فى الأندلس واستمرت زهاء ثمانية قرون منذ الفتح الإسلامى عام ٧١١م/ ٩٢هـ حتى سقوط آخر معاقل المسلمين فى غرناطة عام ١٤٩٢م/ ٨٩٨هـ[٤].

---

(١) الكامل فى التاريخ ، جـ١٢ ، بيروت سنة ١٩٧٩م ، ص ٢٧٢.

(٢) راجع تفاصيل ذلك فى ، سعيد العاشور ، الحركة الصليبية ، جـ١، ص ١٩-٤٢ ؛ جوزيف نسيم يوسف: العرب والروم واللاتين الأسكندرية ١٩٨٩ ، ص ٣٧-١١٠ ؛ رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، جـ١، بيروت سنة ١٩٦٩ الفصل الأول والثانى ؛ باركر : الحروب الصليبية ، ترجمة السيد الباز العرينى ، القاهرة سنة ١٩٦٠م ، ص ١-٢٠ .

(٣) حسين مؤنس : فجر الأندلس ، القاهرة سنة ١٩٥٩م ، ص ٣١٠ .

(٤) Martin. J. L. La Peninsula en la Edad Media, Barcelona 1978, P. 229.

وبعبارة أخرى فإن أصحاب الرأى الأول يرون أن حركة الاسترداد تعنى مقاومة كل من قام بغزو شبه جزيرة إيبيريا ، فى حين يرى أصحاب الرأى الثانى أن المقصود بتلك الحركة محاربة المسلمين بالذات وطردهم من شبه الجزيرة الإيبيرية . هذا مع ملاحظة أن حركة الاسترداد بالنسبة للممالك المسيحية الأسبانية هى فى الواقع حركة توسع وجهتها أسباب مادية وسياسية أكثر منها روحية ، وكانت تستهدف قبل كل شئ مد ممتلكاتها وممالكها والاستيلاء على أرض دون أن يهتموا إذا كان ذلك على حساب المسلمين أو المسيحيين[١] وبعبارة أدق فإن حركة الاسترداد استهدفت تحقيق المكاسب والمغانم أكثر من استهدافها خدمة المسيحية وحمل لواء الحرب «المقدسة» ضد المسملين.

أما نحن فنميل إلى الرأى القائل بأن مصطلح حركة الاسترداد يعنى الحروب التى دارت فى شبه الجزيرة الإيبيرية ضد المسلمين. ولا شك فى أن هذه الحركة وجهتها خلال قرنين من الزمان من منتصف القرن الحادى عشر حتى منتصف القرن الثالث عشر بواعث جديدة جعلت منها حربا صليبية بوصفها مواجهة بين المسيحيين الأسبان ومسلمى الأندلس. وبعبارة أخرى فإن الحروب الصليبية التى جرت فى شبه الجزيرة الإيبيرية لم تكن إلا إحدى حلقات حركة الاسترداد.

وجدير بالذكر أن الحروب الصليبية فى شبه الجزيرة الإيبيرية التى دارت منذ بداية النصف الثانى من القرن الحادى عشر الميلادى لها جذور ومقدمات. ترجع إلى الصحوة التى بدأت فى غرب أوربا بزعامة البابوية عندما نادى البابا حنا العاشر (٩١٤-٩٢٨) بطرد المسلمين من الحوض الغربى للبحر المتوسط بدءا بجنوب إيطاليا وجزر البحر المتوسط وجنوب غرب فرنسا ثم من أسبانيا[٢].

والواقع أنه لم يكن هناك اتصال بين الأسبان وبقية دول أوربا المسيحية قبل القرن الحادى عشر الميلادى فيما عدا الجزء المقابل لجبال البرانس والمعروف باسم (قطالونيا)[٣]، وذلك

---

(١) Ibid.

(٢) Lomax. D. W: La Reconquista, Barcelona 1984, P. 81.

(٣) سبق للأسبان أن تلقوا بعض المساعدات من فرنسا فى عهد شارلمان بعد أن استولى على بعض المدن فى قطالونيا وعلى رأسها مدينة برشلونة ٨٠١م/ ١٨٥هـ وأسس منها ماركية لحماية حدود فرنسا الجنوبية . وكان ملوك الفرنج يختارون حكام هذا الثغر وإمداده، فأعلن حينئذ حكام الثغر استقلالهم =

نتيجة للمصادمات المستمرة مع مسلمي الأندلس والتى كانت تستنفد كل قواهم وتهدد كيانهم مما حال بينهم وبين المساهمة فى الأحداث الأوربية الكبرى[١] ومع ذلك، فإن الأحداث التى كانت تمر بها شبه الجزيرة الأيبيرية فى أواخر القرن العاشر الميلادى وبداية القرن الحادى عشر الميلادى[٢] شجعت الفرنجة على استئناف العلاقات مرة أخرى مع الممالك المسيحية الأسبانية، وخاصة مع كونتية برشلونة، ومملكتى أرجون Aragon ونافار Navarra . وتمثلت هذه العلاقات فى التبادل التجارى بينهما فضلا عن المصاهرة وتوطيد آواصر الصداقة. ولما تعرضت هذه الممالك الأسبانية لغزوات المنصور ابن أبى عامر الذى ألحق بها عدة هزائم متكررة[٣] اضطرت إلى طلب النجدة من الفرنج.

= وانقسموا إلى عدة إمارات وكونتيات صغيرة أهمها إمارة برشلونة (محمد عبد الله عنان، دول الطوائف ، القاهرة سنة ١٩٨٨م ، ص ٤٠٧؛ محمد مرسى الشيخ، دولة الفرنجة وعلاقتها بالأمويين فى الأندلس ، الأسكندرية سنة ١٩٨١م ، ص ١٦٩) راجع أيضا:

Antonio de la Torre: La Reconquista en el Priineo, La Reconquista Espanola Y, La Antigia. Media Y Moderna, Historia de XI (sLd), PP. 239-241.

(١) أشباخ ، تاريخ الأندلس فى عهد المرابطين والموحدين، جـ١ ، القاهرة سنة ١٩٤٠م ، ص ١٢٥ . ولم تنقطع هذه العلاقات تماما وإنما تمثلت فى زيارة قبر الراعى شانت ياقب (القديس يعقوب) وحضور الحجاج المسيحيين من أوربا لهذه الزيارة التى تحولت إلى ظاهرة دينية واقتصادية لها أهمية عظيمة مما دفع الملوك الأسبان إلى تكريم الحجاج وتمهيد طريق الحج لشانت ياقب (القديس يعقوب).

Lacarra, J. M. La Repoblacion del camino de santiago, La Reconquista, Espanola Y La Repoboblacion del pais, zaragoza 1951, PP. 223-224; Dufourcq Y Gautier, Historia Economica Y Scial de la Espana cristiana en la Edad Media, Barcelona 1983, P. 85.

كاسترو : حضارة الإسلام فى أسبانيا ، ترجمة وتعليق سليمان العطار القاهرة سنة ١٩٨٣، ص٦١-٦٧

(٢) تتمثل تلك الأحداث فى ضعف الدولة الأموية فى الأندلس وسقوطها عام ١٠٣١م / ٤٢٢هـ.

(٣) ابن عذارى : البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب ، جـ٢ ، بيروت ١٩٨٣، ص ٢٦٤-٣٠١، وانظر : أيضا المنصور وغزاوته ؛ المقرى : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، جـ٣ ، القاهرة سنة ١٩٣٦م، ص ٢٩٥-٣٤٩ .

Mackay, A: La Espana de la Edad Media, Madrid 1985, P. 25.

وعلى سبيل المثال أدى هجوم المنصور ابن أبى عامر على برشلونة (٩٨٥م/ ٣٧٥هـ) إلى دفع كثير من =

وكان لسقوط الدولة الأموية فى الأندلس سنة ١٠٣١م/ ٤٢٢هـ فى تلك الآونة وقيام ما يسمى بعصر ملوك الطوائف أثره فى تمزيق وحدة مسلمى الأندلس ، مما أدى إلى ازدياد نفوذ الممالك المسيحية الإسبانية[١] وهكذا كثر المترددون على شمال إيبيريا وخاصة من فرنسا طمعا فى غفران ذنوبهم والبحث عن الثروة والمجد والمغامرة[٢] . وإذا أضفنا إلى ذلك علاقات المصاهرة التى ربطت بين قطالونيا وجنوب فرنسا أدركنا العوامل التى شجعت على وفود كثير من الفرنسيين للعمل فى الممالك المسيحية وبخاصة منذ أوائل القرن الحادى عشر الميلادى.

أما عن علاقة البابوية فى روما بالممالك المسيحية الأسبانية فى شبه الجزيرة الإيبيرية فلم تتوثق إلا قبيل منتصف القرن الحادى عشر الميلادى[٣] ولعل السبب فى ذلك يرجع إلى أن الكنيسة الإسبانية ظلت منذ خضوع شبه الجزيرة الإيبيرية لحكم القبائل الجرمانية ثم بالفتح الإسلامى (٧١١/ ٩٢هـ) مستقلة عن البابوية ولا تعترف لها بالسيادة. ولكن عندما بدأت البابوية تسعى إلى القوة وزيادة سلطتها تحت زعامة بابوات بارزين ، اهتموا بإصلاح الكنيسة وتأكيد نفوذها ، فأخذت تسعى لفرض نفوذها على كنائس شبه الجزيرة الإيبيرية. ولكى تحقق ذلك اتبعت ثلاثة طرق يأتى فى مقدمتها الاعتماد على الرهبان الكلونيين ليكونوا حلقة الوصل بين البابوية والإسبان، وهؤلاء انتشروا فى شرق إسبانيا المسيحية ثم انتشروا فى بقية أنحائها[٤] .

= الفرنسيين للحضور دفاعا عن برشلونة ومساندة ريموند بوريل .

Defourneaux, M. les Francias en Espangne aux XI et XII Sieccels, Paris 1949, PP. 128-129.

(١) وأحسن تصوير لتلك الحادثة ما أورده ابن الكردبوس " وعند ذلك انقطع اسم الخلافة من الجزيرة ودارت الدوائر المبيرة وفسد حال الرائس والمرؤس وارتفع كل خامل وخسيس وثار الثوار واشتعلت بكل مكان النار وظهر العدو غاية الظهور ولا سيما على الأطراف والثغور " تاريخ الأندلس ووصفه لابن الشباط ، تحقيق دكتور أحمد مختار العبادى ، معهد الدراسات الإسلامية بمدريد سنة ١٩٧١م ، ص ٦٨ .

(٢) وكان من بينهم بعض النبلاء الثانين (الابن الثانى) الذين يفتقرون إلى الممتلكات والسلطة حسب النظام الإقطاعى Marques, O: History of Portugal, Vol I, New York 1972, P. 34.

(٣) Kegr, P. El Papado Y Los Reinos de Navarra Y Aragon, Estuddios de Edad Media de la coma de Aragon, Vol 2, Zaragoza 1946, pp. 77-78.

(٤) ينتسب الرهبان الكلونيون إلى دير كلونى فى برجنديا (فرنسا) حيث نهضت منه حركة الإصلاح الكلونية فى أوائل القرن العاشر الميلادى وقد نادت بالاستقلال عن السلطات الدينية والدنيوية لتصبح =

وثانيها سفارات البابوية إلى ملوك أسبانيا المسيحية لمطالبتهم بضرورة إلغاء الصلاة القوطية[١] ، وتعميم النظام الكاثوليكى[٢] وثالثها الدعوة لطرد المسلمين من شبه الجزيرة الإيبيرية مستغلين تلك الروح التى انبعثت فى القرن العاشر وأوائل القرن الحادى عشر فى أوروبا لطرد المسلمين من مراكزهم الأوروبية[٣] .

وكان البابا إسكندر الثانى (١٠٦١ - ١٠٧٣م) أول من دعا الأوروبيين فى عام ١٠٦٣-٤٥٥هـ إلى نجدة إخوانهم المسيحيين فى مملكة أرجون ، وبناء على تلك الدعوة تشكلت حملة صليبية لمساندتهم[٤] .

= المنظمة الديرية الكلونية تحت سيطرة البابا مباشرة ولها عديد من القوانين والأنظمة التى كان لها أكبر الأثر فى الغرب الأوروبى. ولمزيد من التفاصيل انظر:

Tout, T.E. The Empire and the papacy, London 1924, pp. 96-99.

وانظر كذلك: سعيد عاشور : أوروبا فى العصور الوسطى، جـ٢، القاهرة سنة ١٩٧٧م، ص ٢٤٢-٢٤٣ واتسع نشاط الرهبان الكلونيين فى شبه الجزيرة الإيبيرية وأرسلوا دعائم الأديرة الكلونية بها وعملوا على إذكاء الروح الصليبية ضد المسلمين بإرشاد من البابوية وتحمسهم المستمر لقتال المسلمين، ولمزيد من التفاصيل عن دورهم فى شبه الجزيرة انظر:

Bishko, c.j: The Cluniac priories of Galicia and portugal, their acquisition and administration 1075*1239 studio- Monastico, Abadia de Montserrat, 1965; Rivera Recio. J.E. Reconquista Y Poblasores del antigua Reino de Toledo, Anales Toledanos, Toledo 1967, pp. 45-46.

(١) كان اعتماد البابوية قبل إرسال السفارات إلى ملوك أسبانيا على الرهبان الكلونيين الذين كان أول أهدافهم لدخول شبه الجزيرة الإيبيرية هو الدعوة إلى إلغاء نظام وطقوس الصلاة القوطية واستبدالها بالصلاة الرومانية.

Kehr, Op. Cit, p. 84; Atkinson, A History of Spain and Portugal, London 1934, p. 69.

(٢) كان القوط الغربيون فى شبه الجزيرة الإيبيرية قد اعتنقوا المسيحية على مذهب أريوس المخالف لمذهب روما (مذهب أثناسيوس) ولذلك مارست الكنيسة القوطية طقوسا تختلف عن طقوس روما لاختلافهما فى المذهب وظلت الكنيسة تطبق نظام القوط فى ظل الفتح الإسلامى.

(3) Chapman. C.: A History of Spain, New York 1931, p. 67.

(٤) كان البابوات مثل كل المسيحيين يعتقدون أن الحرب ضد المسلمين حرب عادلة لأن هؤلاء المسلمين اغتصبوا بالقوة الأراضى التى كانت من قبل ملكا لمسيحيين وأسروا كثيرا من المسيحيين =

أما عن البواعث المباشرة لإعداد هذه الحملة الصليبية فهى الأحداث التى كانت تمر بها مملكة أرجون Aragon والتى تتلخص فى أن ملكها راميرو الأول غزا أراضى مملكة سرقسطة فاستنجد المقتدر بن هود بملك قشتالة فرديناند الأول (أخو راميرو) الذى أرسل إليه مددا عسكريا بقيادة ابنه سانشو. وكان أن التقى الجيشان فى معركة بجوار أسوار مدينة جراوس (Graus) (جرادوس Grados)[١] انهزم فيها الجيش الأرجوانى ولقى الملك راميرو الأول مصرعه[٢] وخلف راميرو الأول على عرش أرجون ابنه سانشو راميرز Sancho Ramirez (١٠٦٣- ١٠٩٤م).

وقد تأثرت البابوية سريعا بالأوضاع السيئة التى كانت تمر بها مملكة أرجون، خاصة وأن ملكها راميرو الأول كان أول ملوك الممالك المسيحية الأسبانية الذين اعترفوا بالبابا وكنيسته. ذلك أنه عقد اجتماعا فى جاقة Jaca ١٠٦٠م / ٤٥٢ هـ وقرر فيه:

أن يرسل إلى روما عشر إيراد دولته سواء من المال أو المحاصيل، وعشر الجزية التى يحصل عليها من مسلمى سرقسطه وتطيلة [٣] وأن يلتزم أبناؤه من بعده بذلك مع الوعد باستبدال طقوس الصلاة القوطية بالطقوس الرومانية[٤]

= واستعبدوهم وسلبوا ممتلكاتهم ودمروهم . Lomax, Op. Cit, pp. 81-82.

(١) مدينة صغيرة تقع إلى الشمال الشرقى من مدينة بربشتر.

(٢) Primera Cronica general de Espana, T2, Madrid 1955, p. 475; CF also: Saurez, L.F, Historia de Espana, Edad Media, Madrid 1970, p. 175; Lomax, Op. Cit, p. 80.

(٣) تطيلة: هى أحدى مدن مملكة أرجون وتقع على وادى نهر أبرو (ابره) على بعد ٧٨ ك شمال غربى سرقسطه وكانت فى العهد الإسلامى من مدن الثغر الأعلى وقد بناها الأمير الحكم الربضى، ثم تكرر استيلاء المسيحيين على هذه المدينة ولكن المسلمين كانوا يتمكنون من استردادها ثانية ولهذا لا نعرف بالضبط تاريخ سقوطها نهائيا فى يد الأسبان، هامش ٣ ، ص ٩٩ تاريخ الأندلس لابن الكرديوس، ولمزيد من التفاصيل الحميرى، المصدر السابق، ص٦٤ ياقوت الحموى ، نفس المصدر جـ٢، ص٣٣ .

(٤) Zurita Op. Cit, pp. 68-69, Ballesteros, Op. Cit, Loc Cit.

وإن كان أشباخ برر تصرف راميرو هذا بتخوفه من أخيه فرديناند وأنه بوضع مملكته تحت حماية البابوية حمى استقلالها من عدوان قشتاله، نفس المرجع السابق، جـ ، ص١٩ .

وهكذا أصبحت مملكة أرجون تتبع البابوية إقطاعيا، مما جعل البابا إسكندر الثانى يقرر تقديم المساعدة لها، خاصة وأن البابا ومستشاريه رأوا أن شبه الجزيرة الإيبيرية ميدان خصب للمواجهة بين المسيحية والإسلام، ومن ثم دعا المحاربين الأسبان وحث الأوروبيين على التطوع للدفاع عن الأراضى الأسبانية وطرد المسلمين منها. وكان لنشاط البابوية فى الدعوة لتجهيز هذه الحملة دوره فى إذكاء الروح الصليبية ضد مسلمى الأندلس.

وكان أن دعا البابا الأوروبيين لنجدة مملكة أرجون عقب مصرع راميرو الأول وأعلن أن كل من يشترك فى تلك الحملة الصليبية ضد المسلمين سوف يمنح الغفران [١] وهناك جدل كبير حول الفئات التى اشتركت فى تلك الحملة، وحول تسمية قائدها[٢]، فالمؤرخ الأسبانى زوريتا Zurita يشير إلى أن بلدوين كونت فلاندرز (الوصى على فيليب الأول ملك فرنسا) أول من استجاب لدعوة البابا إسكندر الثانى لنجدة مملكة أرجون بعد وفاة ملكها راميرو الأول، ولكن ظروفا قاهرة دفعته إلى العدول عن ذلك لمواجهة أحداث داخلية فى فرنسا[٣]، مما اضطر البابوية إلى الاستعانة فى تجهيز الحملة بإحدى الفرق الإيطالية من النورمان، وعلى رأسها (جالرمو دى مونترويل Guillermo de Montereuil) (جيوم دى مونترى Guillaume Montereuil) حامل الراية البابوية وقائد جيوشها[٤] وقد توجهت تلك الفرقة

---

(١) Ledesma, R, Templarios Y Hospitalarios en el Reino de Aragon, Zaragoza 1982, pp. 27-28

(٢) الجدير بالذكر أن ابن حيان هو أول من أشار بالتفصيل لتلك الحملة وأوردها عنه ابن بسام الشنتريني فى الذخيرة وتبعه ابن عذارى وبعض المؤرخين المسلمين. أما معظم المصادر الأسبانية فقد تجاهلتها وأن كان ثوريتا فى حولياته قد أشار إليها إشارة مقتضبة

(٣) Zurita, Op. Cit, p. 72; CF. Also: Ballesteros, Op. Cit, p. 443

(٤) هذه الفرقة كانت من النورمان القاطنين فى جنوب إيطاليا أما النورمان الذين انضموا من إقليم نورمنديا فكانوا بقيادة روبرت كرسبين.

David, P, Etudes Historiques sur la Galica et le Portugal du VI au XII Siecle, Paris 1947, p. 371

أحمد مختار العبادي، هوامش ص٧٠، تاريخ الأندلس، لابن الكردبوس.

إلى نورمنديا[١] حيث انضمت إليها قوات النورمان[٢] الفرنسية بقيادة روبرت كرسبين Robert Crespin [٣] كما انضمت إليهما أيضا قوات جى جيوفروى Gui Geoffroi كونت بواتييه وبوردو واكويتانيا[٤] بالإضافة إلى قوات أخرى متباينة.[٥]

وكذلك حدث اختلاف كبير بين المؤرخين حول تسمية قائد الحملة فأشار ابن حيان إلى أنها كانت بقيادة قائد خيل رومه، وفى إشارة أخرى يسميه ملك الروم ويقصد به قائد جيوش البابوية جالرمو دى مونتريل؛ فى حين يسميه البكرى وابن عذارى وابن الكردبوس بالبيطين

---

(١) إقليم نورمنديا يرجع اسمه إلى النورمان الذين سمح لهم ملك فرنسا شارل البسيط Charles Le Simple (893-923م) بالإقامة به وذلك بموجب إتفاقية سانت كلير ٩١١م ٢١٩، عبد الرحمن الحجى، تاريخ الأندلس، القاهرة ١٩٨٣، ص٣٦٠؛ سعيد عاشور: أوروبا العصور، جـ١، ص٢٣٣، ١٩٩١) .

(٢) أطلق عليهم كل من ابن حيان وابن عذارى، اسم "الأردمانيين" ابن بسام الشنتريني، الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة تحقيق دكتور إحسان عباس القسم الثالث من المجلد الأول، بيروت، ١٩٧٩م، ص١٨١ ؛ ابن عذارى البيان جـ٣ ، ص٢٢٥ ، أما الحميرى فأشار إليهم باسم "الرودمانون ط، ص٤٠ .

(٣) ومما يدل على أن تلك الحملة تجمعت فى نورمنديا وتوجهت إلى شبه الجزيرة أن المؤرخين المسلمين أشاروا صراحة إلى أن هذه الحملة خرجت من فرنسا فابن الكردبوس يقول "وخرج أيضا من الأرض الكبيرة جيوش كثيرة" والأرض الكبيرة تطلق على فرنسا، أما الحميرى فيقول "قد غزاها على غرة وقلة عدد من أهلها وعدة أهل غاليش والرودمانون" وغاليش تطلق على فرنسا والرودمانون على النورمان، ابن الكردبوس، نفس المصدر ص٧١ الحلل الموشية، الدار البيضاء ١٩٧٩م، ص٧٦ الحميرى، نفس المصدر، ص٤٠، البكرى، جغرافية الأندلس وأوروبا تحقيق دكتور عبد الرحمن الحجى، بيروت، ١٩٦٨، ص ٩٢-٩٣ .

(٤) Defrourneaux, Op, Cit, p. 132; Ballesteros, Op. Cit, Loc. Cit; Suarez, Op. Cit, Loc. Cit; Pidal R.M. Espana del Cid, Buenos Aires 1939, p. 97.)

(٥) Pidal Op. Cit, Loc. Cit Ballesteros, Op. Cit, p. 443 .

(٦) ابن بسّام : الذخيرة، القسم الثالث، المجلد الأول، ص١٨٢-١٨٥ ؛ عنان، دول الطوائف، ص٢٧٤ .

(البيطين)[١] في حين يسميه الحميرى البيطش[٢] بينما يرى آخرون أن قائد الحملة هو جى جيوفروى [٣] ، كونت بواتييه وبوردو واكويتانيا[٤] .

وطالما أن هذه الفرق مجتمعة كان هدفها الرئيسى هو مساندة الملك سانشو راميرز فى الدفاع عن مملكة أرجون فمن المقبول القول أنها عندما وصلت إلى مملكة أرجون صارت تحت قيادة ملكها سانشو راميزز[٥].

وتذهب المصادر الأندلسية فى تقدير عدد الجيش الصليبى بنحو أربعين ألف فارس[٦]. ومما لاشك فيه أن هذا العدد يضم الفرق الأوربية بالإضافة إلى قوات مملكة أراجون .

ومهما يكن الأمر فقد تجمعت الحملة الصليبية فى نورمنديا، ومنها تحركت إلى قطالونيا. وقد اختلف المؤرخون فى خط سير الحملة، فالبعض يقول أن الحملة اتخذت طريق البحر حتى وصلت إلى شواطئ قطالونيا، بينما يرى البعض الآخر إنها اتخذت الطريق البرى عبر جبال البرانس[٧] ونؤيد هذا الرأى الأخير لأسباب منها: أنه أثناء عبور الحملة انضم إليها عدد من سكان جبال البرانس وفرسان من شمال قطالونيا مثل خيرونا Gerona والعديد من المناطق، فضلا عن صعوبة تدبير سفن لنقل هذا العدد الكبير. ويؤيد ما ذهبنا إليه أن

---

(١) البكرى : نفس المصدر ، ص٩٣ ؛ ابن عذارى، نفس المصدر والجزء ص٢٢٥ ؛ ابن الكردبوس، نفس المصدر ص ٦٩ .

(٢) الحميرى : نفس المصدر، ص٤٠ . وقد أفرد أستاذنا الدكتور أحمد مختار العبادى فى تحقيقه لهذا الاسم دراسة مطولة فى هوامشه واستعراض أراء المؤرخين فى تفسير هذا الاسم انظر، هوامش ص٦٩، ٧٠ فى ابن الكردبوس.

(٣) Defourneaus, Op. Cit, P. 132; David, Op, Cit, p. 370.

نور الدين حاطوم : تاريخ العصر الوسيط فى أوروبا، جـ١، القاهرة سنة ١٩٦٧م، ص ٨٢٥ .

(٤) Pidal, Op Cit, Loc, Cit; Lomax, On Cit, p. 80.

والحقيقة أن جوى جيوفروى هو ابن جالرمو الثامن والذى اشترك هو جوى جيوفروى.

Defourneaus, Op. Cit, , Loc. Cit; Suarez, Op. Cit, Loc. Cit.

(٥) لم تشر المصادر صراحة إلى اشتراك سانشو راميرز.

(٦) البكرى : نفس المصدر ، ص٩٤ ؛ الحلل الموشية ، ص٧٦ ؛ الحميرى ، نفس المصدر، ص٤٠ وأن كان ابن عذارى قد أشار إلى أن عددهم عشرة آلاف ، نفس المصدر الجزء، ص٢٢٤ ، ٢٢٥ .

(٧) عنان : دولة الطوائف، ص٢٧٥ .

الحلل الموشية يذكر أن الصليبيين انتشروا على ثغور سرقسطة" واتخذوا وقتلوا وسبوا"[١] في حين يذكر ابن عذارى أنهم توجهوا مباشرة إلى مدينة وشقة[٢] فحاصروها أياما ثم رحلوا عنها إلى مدن المسلمين بالثغر[٣] . ويبدو أن هذا الرأى أقرب إلى منطق الأحداث حيث أن مدينة وشقة من المدن الهامة الكبيرة فى مملكة سرقسطة. وعندما تأكد الصليبيون من حصانتها وقوتها صعوبة الاستيلاء عليها، قرروا مهاجمة مدن أخرى. وقد أشار المؤرخ بيدال Pidal صراحة إلى إنهم هاجموا مدينة لاردة Lerid [٤]، فى حين يذكر ابن الكردبوس[٥] أن الحملة الصليبية وصلت إلى بلنسية[٦] ومنها إلى وادى الحجارة[٧]

---

(١) الحلل الموشية ، ص٧٦ .

(٢) مدينة وشقة يصفها الحميرى بقوله "مدينة بالأندلس لها سوران من حجر بينها وبين سرقسطة خمسون ميلا ووشقة مدينة حسنة لها أسواق عامرة وصنائع قائمة وأحوازها تتصل بأحواز بريطانية، ووشقة بشرقى مدينة تطليلة وهى مدينة كبيرة أولية قديمة، رائعة البنيان "المصدر السابق، ص ١٩٤-١٩٥ وتقع على مسافة ٧٣ كم شمال شرقى سرقسطة.

(٣) ابن عذارى، البيان، جـ٣، ص٢٢٥ .

(٤) لاردة: مدينة قديمة مرتفعة حصينة على وادى شقر Segre شرقى سرقسطة فى منتصف الطريق بينه وبين برشلونة وكانت القاعدة الثانية بعد سرقسطة فى منطقة الثغر الأعلى حينما استقل بنو هود بهذه المنطقة وكانت سرقسطة ولاردة من أهم المناطق التى تتازع عليها ملوك هذه الأسرة وسقطت لاردة فى أيدى المسيحيين نهائيا ٥٤٣هـ/ ١١٤٨م عندما استولى عليها ريموند برنجير الرابع ملك أرجون (ارجع الحميرى) صفة جزيرة الأندلس، ص١٦٨، تاريخ الأندلس لابن الكردبوس، تحقيق أحمد مختار العبادى، هامش ١، ص٩٨ . Pidal, Op. Cit, Loc. Cit.

(٥) ابن الكردبوس، ص ٧١-٧٢ .

(٦) بلنسية: تقع فى شرق الأندلس بينها وبين البحر المتوسط ثلاثة أميال وهى قاعدة من قواعد الأندلس المشهورة، وهى فى مستوى الأرض عامرة القطر كثيرة التجار بها أسواق وتجارات وحط وإقلاع وهى على نهر جار ينتفع بها ويسقى المزارع ولها عليه بساتين وجنات وعمارات متصلة "الإدريسى، صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، مأخوذة من كتاب نزعة المشتاق فى اختراق الآفاق، امستردام ١٩٦٩، ص١٩١، الحميرى، المصدر السابق، ص٤٧-٥٥، السيد عبد العزيز سالم، تاريخ وحضارة الأندلس، الإسكندرية سنة ١٩٨٥، ص٨٩-٩٤ .

(٧) وادى الحجارة Guadalajara فى شمال شرق مدريد وكانت تعرف أيضا بمدينة الفرج ويشير إليها الحميرى بقوله "وهى مدينة تعرف بمدينة الفرج وهى بين الجوف والشرق من قرطبة وبينها وبين طليطلة خمسة وستون ميلا، وهى مدينة كثيرة الأرزاق. جامعة لاشتات المنافع والغلات ولها أسوار حصينة" المصدر السابق ، ص٧١ ، ٧٢ .

وحققت انتصاراً على القوات الإسلامية، ونرى أن هذه الرواية فيها خلط كبير ومبالغة واضحة(١).

وجدير بالذكر أن رواية صاحب الحلل الموشية وما فعله الصليبيون في منطقة ثغور سرقسطة تدل على أن هدف معظم المشتركين في الحملة كان السلب والنهب والحصول على الغنائم. وعلى أية حال فقد وصلت الحملة إلى مدينة بربشتر Barbastro (٢) أول أغسطس سنة ١٠٦٤م/ رمضان عام ٤٥٦هـ. وتتمتع هذه المدينة بموقع استراتيجي هام لوقوعها بين وشقة Huesca في الشمال الغربي ولاردة Lerida في الجنوب الشرقي، وبذلك تتطابق مع المثلث الذي تقع في طرفه مدينة سرقسطة، مما جعل الصليبيين يهتمون بحصارها لاتخاذها قاعدة للوثوب على بقية المدن الإسلامية المجاورة التي تقع في الطريق إلى سرقسطة، وسلب ونهب القرى المجاورة لها(٣).

وقد أشارت المصادر إلى أن الحصار استمر أربعين يوما تعرض المسلمون خلالها لأشد المحن. وأدى طول الحصار وأحكامه وقلة المؤن إلى سوء وضع المسلمين داخل المدينة مما أفقدهم توازنهم فكثر تشاحنهم وتنازعهم فيما بينهم. وفي المقابل ضاعف الصليبيون جهودهم فمطروا أسوار المدينة بقذائف المجانيق لأحداث ثلمات في الأسوار

---

(١) انظر: تحقيق الدكتور أحمد مختار العبادي لهذه الحادثة في هوامشه لابن الكردبوس، ص٧١-٧٢ .

(٢) بربشتر: مدينة حصينة على بعد ٦٠ كم شمالي سرقسطة وتقع على أحد فروع نهر الإبرو Ebro، بين مدينتي لاردة وسرقسطة عمودي الثغر الأعلى وهي الآن مدينة ومركز إداري في مدينة وشقة "ابن الكردبوس، المصدر السابق، هامش ٢٦، ص ٧٢ . وقد أشار إليها الحميري بقوله "هي مدينة من بلاد بريطانية بالأندلس، وهي حصن على نهر مخرجه من عين قريبة منها. وبربشتر من أمهات مدن الثغر الفائقة في الحصانة والامتناع "انظر : ٣٩، وقد ضبط ياقوت الحموي بربشتر "بضم الباء الثانية وسكون الشين المعجمة وفتح التاء المثناة من فوق.." ولها حصون كثيرة منها حصن القصر وحصن الباكة، وحصن قصر منيوش" معجم البلدان، بيروت، المجلد الأول ١٩٧٧، ص٣٧٠، شكيب أرسلان، الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية ، جـ٢، بيروت، ص ١٨٤-١٨٥ .

(٣) كانت مدينة بربشتر تمر بمشاكل ونزاعات وإهمال من سكانها. ويشير ابن حيان إلى ذلك ويهاجم سلوك وسوء تصرف المسلمين بداخلها (ابن بسام، الذخيرة، القسم الثالث، المجلد الأول، ص١٨١، المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب م٤ بيروت سنة ١٩٦٨، ص ٤٥٣).

تساعدهم على اقتحام المدينة حتى نجحوا فى مسعاهم فاقتحمت فرقة من الصليبيين مكونة من خمسة آلاف فارس المدينة. ورغم المقاومة العنيفة التى لقوها من مسلمى المدينة الذين استطاعوا قتل خمسمائة منهم، فإن القوات الصليبية نجحت فى الاستيلاء على ظاهر المدينة مما دفع المسلمين إلى التحصن بالقصبة وقلب المدينة[١] ولكن على الرغم من نجاح المسلمين فى الدفاع فى قلب المدينة برغم ما تعرضوا له من قلة الأقوات وشدة المحن إلا أن قطع المياه عنهم كان الكارثة الكبرى. ذلك أن الحصن كان يزود بالمياه عن طريق قناة تحت الأرض متصلة بالنهر (إحدى فروع نهر إيرو). وقد نجح الصليبيون عن طريق أحد الخونة[٢]، فى معرفة مكان القناة فهدموها وألقوا فيها صخرة ضخمة، مما أدى إلى انقطاع المياه عن المحاصرين الذين اشتد بهم العطش، ولم يكن أمامهم إلا طلب الاستسلام على أن يؤمنهم الصليبيون فى أنفسهم وأولادهم، وأن يخرجوا من المدينة دون أية أموال يصحبونها، فوافق الصليبيون والأرجوانيون على ذلك[٣] . وفى رواية أخرى يذكر ابن عذارى أن الصليبيين وحلفاءهم لم يوافقوا على هذا العرض واقتحموا المدينة عنوة[٤] والواقع أن الروايتين متقاربتان إذ إنهم وافقوا على العرض ثم نقضوه بعد ذلك.

ويذكر ابن حيان فى هذا الصدد أن الصليبيين نكثوا عهدهم مع المسلمين، ونكلوا بهم، وقتلوا كثيرا من المسلمين، ولم يتركوا إلا قائدهم ابن الطويل وقاضيهم ابن عيسى. ويقدر صاحب الحلل الموشية عدد القتلى والأسرى من أهل المدينة بأربعين ألف، غير ما سبوه من النساء والأطفال[٥]، بينما يقدر ابن عذارى عدد النساء اللاتى تم سبيهن بمائة ألف[٦] ويرى الباحث أن هذا العدد مبالغ فيه إلى حد كبير وغير منطقى لأن المدينة

---

(١) ابن بسام : نفس المصدر والجزء، ص١٨٢ ؛ عنان: نفس المرجع ، ص٤٧٥ .

Pidal, Op. Cit, pp. 97-98; Defourneaux, Op. Cit, pp. 134-135.

(٢) ابن عذارى : البيان، جـ٣، ص٢٢٥ .

(٣) ابن بسام : نفس المصدر والجزء، ص ١٨٢ : عنان : نفس المرجع ، ص ٢٧٥-٢٧٦ .

Pidal, Op. Cit, Defourneaux, Op. Cit, Loc. Cit.

(٤) ابن عذارى : نفس المصدر والجزء، ص ٢٢٥ .

(٥) الحلل الموشية، ص٧٦ .

(٦) ابن عذارى : نفس المصدر والجزء والصفحة.

لم يكن بها هذا العدد الكبير، خاصة وأنه يحدد النساء فقط دون بقية سكان المدينة من أطفال وشيوخ وشباب. ولعل ما يؤكد هذه المبالغة الهائلة قول الحميرى فى إشارته إلى اقتحام الصليبيين بربشتر "غزاها على غرّة وقلة عدد من أهلها وعدة أهل غاليش والروذمانون"[١]، مما يفهم منه أن عدد سكان المدينة كان قليلا بالنسبة لعدد القوات الصليبية والأرجوانية. وإذا كان ابن حيان يشير إلى أن عدد سكانها مئة ألف نسمة – فإن هذا أيضا مبالغة. ومهما يكن الأمر فإن عددا كبيرا من النساء قد هلك نتيجة لاندفاعهن على الماء للارتواء فأطبق عليهن العدو قتلا واستخدم معهن أساليب تتسم بالوحشية[٢].

ويستفاد أيضا من الرواية الإسلامية أنه بعد أن منح القائد الصليبى الأمان لسكان المدينة المسلمين ، (عاد وأدرك) كثرة عددهم، فخشى أن تتجمع هذه الأعداد مرة أخرى بعد مغادرتهم المدينة لمعاودة الهجوم واستخلاص مدينتهم. لذلك أعمل السيف فيهم وقتل ما يقرب من ستة آلاف، فتزاحموا على الأبواب طلبا للنجاة، بل لقد فضل كثيرون الخروج عن طريق التدلى بالحبال من على الأسوار فرارا من سوء المصير. أما من بالقصبة وكانوا زهاء سبعمائة نسمة فمات عدد كبير منهم عطشا[٣] وهناك فريق من أهل المدينة بقوا داخلها بعد أن ردوا من على الأبواب، وهؤلاء أمرهم الصليبيون بالرجوع إلى منازلهم مع أولادهم حيث تعرضوا لشتى أنواع التنكيل والمهانة فضلا عن هتك أعراض النساء هم وبناتهم أمام أعينهم أمعانا فى تعذيب قلوبهم[٤]

---

(١) الحميرى، نفس المصدر ، ص٤٠ .

(٢) يصور ابن حيان ذلك الموقف بقوله "وبلغنى أنه كانت المرأة تطلع من فوق سور المدينة فتنادى من يدنو إليها من الكفرة عن جرعة ماء لنفسها أو لطفلها فيقول لها: هاتى ما معك، ألقى إلى ما يرضينى أسقك، فتلقى إليه ما عندها من كسوة أو حلية أو مال، وتدلى نحوه ما حضرها، من قربة أو آنية، فتغيث به نفسها أو طفلها" ابن بسام نفس المصدر والجزء، ص١٨٣ .

(٣) ابن بسام : نفس المصدر والجزء ص ١٨٣ – عنان، نفس المرجع، ص٢٧٦ .

(٤) ويشير ابن حيان إلى ذلك بقوله "يعذبه أنواعا من العذاب حتى يبلغ نفسه عذرها منه، فربما زهقت نفس المسلم دون ذلك فاستراح، وربما انظره أجله إلى أسوأ من ذلك، فإن عداة الله كانوا يومئذ يقومون بهتك حرم أسراهم وبناتهم بحضرتهم وعلى أعينهم إبلاغا فى تعذيب قلوبهم يغشون الثيب ويفضون البكر وزوج تلك وأبو هذه موثق بقيد أساره، ناظرا إلى سخنة عينه فعينه تدمع ونفسه تقطع، و من لم يرض ذلك منهم أن يفعله فى خادم أو ماهنة أو وخش أعطاهن خوله وغلمانه يعبثون بهن عبثه، فبلغ الكفرة فيهم يومئذ ما لا تلحقه الصفة على الحقيقة "ابن بسام نفس المصدر والجزء ص١٨٤–١٨٥ .

ويواصل ابن حيان روايته فيذكر أنه بعد ثلاثة أيام من استيلاء الصليبيين والأراجونيين على مدينة بربتشر طلب المتحصنون فى قمة القصبة الأمان والسماح لهم بالخروج من جراء العطش، فاستجاب الصليبيون لندائهم فخرجوا من المدينة وتوجهوا إلى مدينة منتشون Manzon [١] أقرب المدن الإسلامية إليهم. ولكن سرية من الأرجوانيين صادفتهم. ولم تكن هذه السرية قد شاركت فى حصار وفتح بربشتر ولم يعلموا بالإتفاق بين الصليبيين ومسلمى المدينة، فقتلوهم جملة ولم يستطع سوى القليل منهم الفرار[٢].

وكان نصيب قائد الحملة الصليبية (قائد خيل رومة) عدة آلاف من بنات المسلمين الأبكار وعدد من الصبيان والغلمان[٣] ويقدر ابن عذارى عدد بنات المسلمين الأبكار بأربعة آلاف يتراوح سنهن ما بين ثمانية وعشرة أعوام[٤] أما البكرى والحميرى فقد ذكرا أن عددهن خمسة آلاف من أبكار جوارى المسلمين وأهل الحسن[٥] وإن كان ابن حيان قد أشار إلى أنهن قدمن هدايا إلى بعض زعماء العالم المسيحى، وبخاصة صاحب القسطنطينية على قول البكرى وياقوت الحموى والحميرى. ولا نميل إلى الأخذ بهذه الرواية، لأن فرقة روما كانت من النورمان المعادين للإمبراطورية البيزنطية[٦].

---

(١) منتشون Manzon تقع فى الثغر الأعلى على مسافة قصيرة من بربشتر وقد أشار إليها ياقوت الحموى بأنها حصن من حصون مدينة بربشتر، ومملكة الفرنج، معجم البلدان، المجلد الأول ص ٣٧٠ وكانت مركزا الداوية حيث منحهم ريموند برنجتر هذه القلعة ١١٤٣م (انظر محمد النشار، نشأة جماعتى الرهبان الفرسان الاسبتارية والداوية فى الممالك المسيحية الأسبانية والبرتغالية ودورهما فى الصراع الصليبى الإسلامى؛ منشور بمجلة آداب طنطا). العدد السابع يناير ١٩٩٤م .

(٢) ابن بسام : نفس المصدر والجزء، ص١٨٥ .

(٣) نفس المصدر السابق.

(٤) ابن عذارى : البيان، جـ٣، ص٢٥٥ .

(٥) البكرى : نفس المصدر ، ص ٩٤- ويشير ياقوت الحموى إلى أنهم سبعة آلاف، معجم البلدان م١، ص٣٧٠ .

Ballesteros, Op. Cit, P. 443.

(٦) كان العداء بين النورمان والبيزنطيين شديدا عندئذ حيث أقام النورمان بقيادة روبرت جويسكارد دولة جديدة مستقلة فى الممتلكات البيزنطية بجنوب إيطاليا وهددوا فى النصف الثانى من القرن الحادى عشر الدولة البيزنطية من الداخل والخارج ؛ حسنين محمد ربيع : دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية، القاهرة سنة ١٩٩٣م، ص١٧٧ . Ballesteros, op. cit, loc. cit.

وقد أفاضت المصادر الأندلسية فى وصف الأسلاب والمغانم التى استولى عليها الصليبيون والأرجوانيون من أموال وأمتعة مما يجل وصفه، وحدد ابن عذارى نصيب قائد الحملة بخمسمائة حمل[١] .

وهكذا حققت الحملة الصليبية أهدافها باستيلائها على قاعدة بربشتر الإسلامية، وغنمت وسلبت فحققت أهدافها السياسية والاقتصادية، وعاد أفرادها إلى بلادهم بالثروات بعد أن تركوا حامية للدفاع عن المدينة، حددها ابن حيان بألف وخمسمائة من الفرسان وألفين من المشاة[٢] فى حين حددها ابن عذارى بألف فارس وأربعة آلاف راجل[٣] وتولى أرمنجول الثالث[٤] Ermengol III كونت أورخل[٥] De Urgel رئاسة الحامية وحكم المدينة بتفويض من الملك سانشو راميرز[٦] . هذا وقد أفاض الشعراء والكتاب فى وصف ما ارتكبه الصليبيون من فظائع وأهوال ضد المسلمين فى تلك الحملة لدرجة أن ابن عذارى يشير فى صراحة إلى أنه "لم يكن للنصارى قبل هذه الفعلة مثلها فى بلاد المسلمين"[٧].

---

(١) ابن عذارى: نفس المصدر والجزء والصفحة. Ballesteros, Op. Cit, Loc. Cit.

(٢) ابن بسام : نفس المصدر والجزء، ص١٨٦ .

(٣) ابن عذارى : نفس المصدر والجزء، ص٢٢٦-٢٢٧ .

(٤) هذا وأن كان ابن الكردبوس قد أشار إلى أن قائد الحملة الذى يدعوه بالبيطين قد عاد إلى بلاده وترك ردمير فى تلك النواحى فاستوطن مدينة بربشتر، (ابن كردبوس، نفس المصدر ص ٧٢) والواقع أن هذا خلط كبير من ابن الكردبوس. وكما يشير الدكتور أحمد مختار العبادى فى هامشه، فإن بسكوال جاينجوس يرى أن المقصود بردميز هنا هو راميرو الأول ملك أراجون وهذا غير صحيح لأن راميرو قتل كما أشرنا ١٠٦٣م ولعل المقصود ابنه سانشو راميرز، هامش ٥ ، ص٧٢ .

(٥) أشار المؤرخ زوريتا Zurita صراحة إلى أن الذى تولى إدارة هذه المدينة هو أرمنجول الثالث والذى أطلق عليه . Zurita, Op. Cit, p. 74 ; Armengol de Barbastro

(٦) والمؤرخ بيدال أشار إلى أن سانشو قد عين أرمنجول حاكما على المدينة وأعلن أرمنجول خضوعه للملك سانشو Pidal, Op. Cit, p. 99; Suarez Op. Cit, p. 197.

(٧) ابن عذارى: نفس المصدر والجزء، ص٢٢٧، وقد نظم الفقيه الزاهد ابن العسال قصيدة كاملة منها:

ولقد رمانا المشركون بأسهم ... لم تخط لكن شأنها الصماء

هتكوا بخيلهم قصور حريمها ... لم يبق لا جبل ولا بطحاء

جاسوا خلال ديارهم فلهم بها ... فى كل يوم غارة شعواء

باتت قلوب المسلمين برعبهم ... فحماتنا فى حربهم جبناء =

وكان لهذه الحملة الصليبية على بربشتر صدى عظيم الأثر. فبالنسبة للجانب الصليبى أحدثت رد فعل كبيراً وخاصة فى أنحاء فرنسا إذ أن ما غنموه وحملوه معهم إلى منازلهم أثارت دهشة عظيمة فى كل أنحاء فرنسا[١] وذلك على الرغم من مدينة بربشتر لم تكن ذات أهمية أو من المدن المشهورة بغناها وثرواتها فى الأندلس - كما أشرنا- مما أدى إلى استنهاض روح المغامرة والبحث عن الثروة، فاتجهت أنظارهم إلى الأندلس لقتال المسلمين وجمع الغنائم والثروات منها، وأدى ذلك إلى تدفق المتطوعين الفرنسيين يلتحقون بجيوش الممالك النصرانية الأسبانية لقتال المسلمين وإحراز الغنائم مما ترك أثره فى مستقبل الأحداث.

أما بالنسبة للأرجوانيين فإن سقوط بربشتر التى كانت بمثابة قاعدة أمامية للدفاع عن سرقسطة شكل خطوة كبرى أمام سانشو راميرز للاستيلاء على مدينة سرقسطة ذاتها، خاصة وأن مملكة قشتالة كانت ترنو بنظرها للاستيلاء عليها[٢]. هذا فضلا عن أن الأسبان أدركوا أهمية الاستعانة بالصليبيين وتشجيعهم على النزوح إلى مملكة أرجون.

=

كم موضع غنموه لم يرحم به ... طفل ولا شيخ ولا عذراء
ولكم رضيع فرقوا من أمه ... فله إليها ضجة وبغاء
ولرب مولود أبوه مجدل ... فوق التراب وفرشه البيداء
وعزيز قوم صار فى أيديهم ... فعليه بعد العزة استخذاء
لولا ذنوب المسلمين وإنهم ... ركبوا الكبائر ما لهن خفاء
ما كان ينصر للنصارى فارس ... أبدا عليهم فالذنوب الداء
فشرارهم لا يختفون بشرهم ... وصلاح منتحلى الصلاح رياء

انظر الحميرى، ص٤٠ .

(١) Lomax, Op. Cit, p. 80.

(٢) كان فرديناند الأول ملك قشتالة وليون قد قام فى عام ١٠٦٠م/ ٤٥٢هـ بالزحف على حدود مملكة سرقسطة الجنوبية والغربية واستولى على حصن غرماج وبعض حصون أخرى فاضطر المقتدر أن يدفع له الجزية. ثم حاول ابنه سانشو ملك قشتالة الذى تولى بعد وفاة أبيه ١٠٦٥- فى سنوات متقدمة (عام ١٠٦٧م) التدخل فى شئونها وبعث قواته لمحاصرتها وتحصيل الجزية مما اضطر المقتدر إلى تقديم مقادير كبيرة من الهدايا كجزية. ابن عذارى، البيان، جـ٣، ص٢٢٩، عنان، دول الطوائف ص٢٨٠ .

أما بالنسبة للمسلمين فإن سقوط بربشتر وما صاحبه من أحداث ونكبات كان له صدى كبير في الأندلس؛ خاصة وأن مسلمي الأندلس لم يسرعوا إلى نجدتها. حقيقة أن مدينة بربشتر كانت تتبع يوسف المظفر أخي المقتدر بن هود، أي أنها تتبع دولة بني هود في شمال شرق الأندلس، مما يلقى مسئولية الدفاع عنها على عاتق أسرة بني هود. ولكن وضع المقتدر بن هود عندئذ كان سيئا، حيث كان في خط المواجهة مع الممالك المسيحية الثلاث أرجون ونافار وقشتالة مما عرضه مرارا لهجماتهم[١] ويبدو أنه خاف على مملكته إذا هو توجه إلى مدينة بربشتر أثناء حصارها، وخشي أن ينتهز الملوك الأسبان الفرصة ويهاجمون قاعدة ملكه سرقسطة التي كانت مطمع الجميع. لذلك اعتمد على كفاية القوات التي بها وقدرتها على الدفاع عنها بجدارة، خاصة وأن المدينة كانت مشهورة بحصانتها وقوتها بدليل أن الصليبيين لم ينجحوا في الاستيلاء عليها إلا عن طريق الخيانة كما سبقت الإشارة . وربما رأى المقتدر أن الحملة الصليبية التي حاصرت مدينة بربشتر كثيرة العدد وأنه يصعب عليه مواجهتهم، وإن كان هناك رأى أورده المقرى بأن سبب عدم إسراع المقتدر بن هود لنجدة المدينة هو ميل أهلها إلى أخيه يوسف المظفر[٢] . على أية حال، فإن المقتدر عندما علم بسقوط مدينة بربشتر، وعلم بما وجهه إليه ملوك الطوائف في الأندلس من تهمة التقصير أخذ في الاستعداد لاسترداد المدينة.

والواقع أن مدينة بربشتر عانت كثيرا تحت حكم الصليبيين. ويصور ابن حيان هذه الحالة في رواية تتعلق بتاجر يهودى أراد دفع فدية لتحرير بعض الفتيات من الأسر، ووصف القائد الذى لديه هؤلاء الفتيات والمنزل الذى كان من نصيبه بالثراء وكثرة الخدم لدرجة أنه عندما عرض عليه فداء هؤلاء الفتيات سخر منه لأنه لديه كل ما يشتهيه من الملابس والدنانير والدراهم والخز والديباج.. إلخ [٣].

---

(١) ابن عذارى: نفس المصدر والجزء والصفحة، عنان، نفس المرجع، ص٢٧٩-٢٨٠ .

Pidal, Op. Cit, pp. 195-196.

(٢) "وذلك أن أحمد المقتدر بن هود المفرط فيها والمتهم على أهلها لانحرافهم إلى أخيه" المقرى، نفح الطيب، م٤، ص٤٥٤ .

(٣) ابن بسام: نفس المصدر والجزء، ص١٨٦-١٨٨ .

Pidal, op. Cit, p. 98; Ballesteros, Op. Cit, p. 443.

وأثناء الحكم الصليبى الأرجوانى لمدينة بربشتر قاموا بشن حملات على القرى والقلاع الإسلامية القريبة بغرض السلب والنهب. وتألفت إحدى هذه الحملات من ألف فارس وخمسة آلاف من المشاة[١] بقيادة حاكم المدينة أرمنجول الثالث كونت أورخل، غير أنها باءت بالفشل ولقى قائدها مصرعه[٢].

أما المقتدر بن هود أمير سرقسطة فقد راسل أمراء الطوائف فى الأندلس يدعوهم للمشاركة فى تحرير المدينة فتجمع لديه عدد من المتطوعين[٣] واستجاب لدعوته أمير إشبيليه المعتمد بن عباد الذى أمده بنجدة مكونة من خمسمائة فارس. وفى جمادى الأول سنة ٤٥٧هـ (ربيع سنة ١٠٦٥م) توجهوا جميعا بعد ان اكتملت استعدادات المقتدر إلى مدينة بربشتر وحاصروها، فى حين تحصن الصليبيون داخلها. وكان أن نجح المسلمون فى إحداث ثغرة فى سور المدينة واقتحموها فعلا، ولكن الصليبيين خرجوا من الأبواب ونظموا قواتهم وهاجموا المسلمين. وكانت معركة حامية الوطيس انتصر فيها المسلمون. وفر من الصليبيين من استطاع الفرار[٤]، فى حين وقع الباقون ما بين أسير وقتيل. وقدر ابن حيان عدد القتلى من الصليبيين والأرجوانيين بألف فارس وخمسمائة راجل، فى حين قدرهم ابن عذارى بألف فارس وخمسة آلاف راجل، بينما استشهد من المسلمين خمسون رجلا فقط[٥] ويبدو أن الرواية الإسلامية تتصف بالمبالغة فى تقدير عدد القتلى والأسرى. من ذلك القول بأن المقتدر أرسل من أسرى الصليبيين والأرجوانيين إلى سرقسطة خمسة آلاف، فضلا عن عدة وسلاح وأموال كثيرة. هذا مع العلم بأن حامية المدينة التى تركها الصليبيون لم تصل إلى تلك الأرقام. حقيقة أنها قد

---

(١) يتضح من عدد أفراد هذه الحملة أن مدينة بربشتر بعد الاستيلاء عليها جذبت كثيرا من الصليبيين المغامرين والأرجوانيين طلبا للثراء والاستيطان بها.

(٢) Zurita, Op. Cit, p. 74; CF also: Suarez, Op. Cit, p. 197; Ballesteros, Op. Cit, Loc . Cit.

(٣) قدر ابن عذارى عدد المتطوعة بستة آلاف من الرماة العقارة، نفس المصدر والجزء، ص٢٢٧ .

Ledesma, Op. Cit, p. 28.

(٤) استطاع بعض أفراد الحامية وخاصة من الفرنسيين الفرار من المدينة.

Ballesteros, Op. Cit, Loc, Cit.

(٥) ابن بسام : نفس المصدر والجزء والصفحة، ابن عذارى نفس المصدر والجزء والصفحة.

جذبت إليها أعداد من الأرجوانيين ولكن تبقى الأرقام مبالغا فيها إلى حد ما. ومهما يكن من أمر، فإن سقوط المدينة فى أيدى المسلمين فى ٨ جمادى الأول عام ٤٥٧هـ/ إبريل سنة ١٠٦٥م[١] كان نصرا كبيرا لابن هود، عزز من مكانته بين أمراء الأندلس وبرأ نفسه مما اتهم به من الإهمال والتقاعس عن نجدة المدينة[٢].

أما عن البابوية فى تلك المرحلة، فقد دأبت على الاتصال بملوك أسبانيا المسيحية. من ذلك سفارة البابوية إلى الملك سانشو راميرز ملك أرجون والتى ترأسها الكاردينال هو جو Hugo Candida سنة ١٠٦٥م . وقد استقبله الملك بحفاوة وتباحث معه فى كثير من الأمور الكنسية[٣] ولم تأت المصادر بمعلومات مؤكدة عن هذا اللقاء وإن كان هدفه الرئيسى محاولة إحلال الصلاة الرومانية بدلا من الصلاة القوطية.

ومما لا شك فيه أن تعزيز العلاقات الرسمية بين أرجون والبابوية كان له دور كبير فى تقوية مملكة أرجون وتمكينها من الاستفادة من مساعدات البابوية لملكها فى قتاله ضد مسلمى الأندلس ولتأكيد هذه العلاقات وتعزيزها قرر الملك سانشو راميرز السفر إلى روما فى ربيع عام ١٠٦٨م/ ٤٦٠هـ للحج[٤] وهناك أعلن خضوعه للكرسى البابوى، وإن لم توجد معلومات مؤكدة عما تم فى لقائه بالبابا عندئذ. وأسفر هذا اللقاء عن الإعداد لحملة صليبية جديدة، دعا

---

(١) اتفق معظم المؤرخين على شهر أبريل سنة ١٠٦٥م .Pidal, Op. Cit, p. 99; Defourneaux, Op. Cit, p. 197. ولكن المؤرخ لوماكس وضعها ديسمبر سنة ١٠٦٥م. Lomax, Op. Cit, p. 80 ووفقا للرواية الإسلامية فإن جمادى الأول يقابل شهر أبريل.

(٢) انظر: تفاصيل استيلاء المقتدر على بربشتر، ابن بسام، نفس المصدر والجزء ص١٨٩-١٩٠، ابن عذارى نفس المصدر والجزء ص٢٢٧، الحميرى نفس المصدر ص٤١، الحلل الموشية ص٧٦، المقرى نفس المصدر والجزء ص٤٥٤ .

Zurita, Op. Cit, p. 74; CF. Also: Pidal, Op. Cit; Defourneaux, Op. Cit, Loc. Cit, Suarez Op. Cit, Loc. Cit,; Lomaz, Op. Cit, Loc. Cit.

(٣) Zurita Op. Cit, p. 88; CF. Also: Kehr, Op. Cit, pp. 84-85; Lacarra, Op. Cit, p. 352. أشباخ، نفس المرجع والجزء، ص. ١٢٦

(٤) Kehr, Op. Cit, p. 88; Lacarra, Op. Cit, p. 28.

إليها البابا إسكندر الثانى ضد مسلمى الأندلس بقيادة صهر الملك سانشو، الكونت أبلز الثانى دى روكى Ebles II de Roucy (١) وكانت فى نفس عام ١٠٦٨م (٢).

ثم أرسل البابا إسكندر الثانى مبعوثه الكاردينال هوجو مرة أخرى إلى أرجون عام ١٠٧١م من أجل تقرير الصلاة الرومانية، وبذلت أول محاولة لتحقيق ذلك. وفى نفس الوقت أكد سانشو راميرز تبعية مملكة أرجون للكرسى البابوى(٣) ولا شك فى أن هذه الاتصالات وما نجم عنها من دعم العلاقات بين البابوية وملكة أرجون كان لها أثرها، إذ غدت هذه المملكة من أولى الممالك التى اعترفت بسلطان البابوية عليها، وما تبع ذلك من مساندة البابوية لها بتشجيع الفرسان والجند الفرنسيين والإيطاليين على النزوح إلى أرجون للمشاركة فى قتال المسلمين وطردهم.

ثم كان أن تولى البابا جريجورى السابع منصب البابوية (٤) عام ١٠٧٣م/ ٤٦٥هـ خلفا لإسكندر الثانى، فأخذ يخطط لإخضاع الممالك المسيحية الأسبانية تحت نفوذ البابوية، فدعا الملوك إلى ضرورة العمل لطرد المسلمين ولذلك تعددت سفاراته إلى الممالك المسيحية الأسبانية، وخاصة سانشو ملك أرجون، كما أرسل الأسقف خيرالدو دى أوستيا Grialdo Ostia والشماس ريموبولد Raimbaldo مبعوثين من قبله إلى أمراء جنوب فرنسا فى ٣٠ أبريل ١٠٧٣م/ ٤٦٥هـ يحملون رسائل بابوية تدعو الفرنسيين إلى مساعدة الممالك المسيحية الأسبانية فى قتالها ضد مسلمى الأندلس(٥).

---

(١) اشترك Ebles II de Roucy بعد سنوات قليلة فى القتال فى إيطاليا مع النورمان للدفاع عن البابا جريورى السابع ضد الإمبراطور هنرى الرابع.

David, Op. Cit, p. 376.

(٢) Lomax, Op. Cit, p. 82.

(٣) Zurita, Op. Cit, p. 77; CF. Also: Kehr, Op. Cit, pp. 93-94.

(٤) يعتبر جريجورى السابع الذى كان اسمه قبل توليه المنصب هيلد براند من أعظم البابوات الذين تولوا هذا المنصب، وقد أخذ على عاتقه معالجة كل المشاكل الكنسية وأهمها السيمونية وزواج رجال الدين ولكنه عندما حاول أن يتمسك بتعيين الأساقفة وقع فى صدام مشهور مع الإمبراطورية بسبب تلك المسألة المعروفة باسم التقليد العلمانى. ولمزيد من التفاصيل عن أعماله وصراعه المشهور مع الإمبراطورية انظر: سعيد عاشور، أوروبا العصور الوسطى، جـ١، ص٣٢٤-٣٤٨ .

(٥) Kehr, Op. Cit, p. 98; Pidal, Op. Cit, p. 158; David, Op. Cit, pp. 373-374; Rivera Recia, Op. Cit, p. 45; Defourneaux, Op. Cit, p. 138; Mackay, Op. Cit, p. 34.

ويبدو أن ما أقدم عليه البابا جريجورى السابع كان مقدمة لحملة صليبية جديدة دعا إليها البابا نفسه، إذ أن الكونت أبلز الثانى Ebles II de Rouc تلقى إشارة من الباباوية بضرورة التوجه لقتال المسلمين فى الأندلس ومشاركة ملك أرجون سانشو راميرز الذى وعد بأن كل الأراضى التى سوف يفتحها ستخضع للبابوية(١). وكانت ذكريات ما حققه الصليبيون فى بربشتر ما زالت عالقة بالأذهان عندما عبرت حملة Ebles جبال البرانس لغزو الأراضى الإسلامية وأعلن مرة أخرى نفسه تابعا إقطاعيا للباب، واتجه إلى وادى نهر إبيرو (إبره)(٢). ومع إننا لا نعلم نتيجة أو أحداث هذه الحملة فإننا نستطيع القول بأن المساعدات الفرنسية لم تنقطع عن مملكة أرجون وخاصة من برجنديا وشمبانى ونورمنديا.

وقد انشغل البابا جريجورى السابع بالصراع مع الإمبراطور هنرى الرابع حول مسألة التقليد العلمانى حتى هدأت الأمور بينهما إلى حين(٣)، وعندئذ اتجه جريجورى السابع إلى قضية أسبانيا من جديد فوجه فى ٢٨ يونيو ١٠٧٧ م المحرم ٤٧٠ هـ دعوة إلى الملوك والكونتات والأمراء فى أسبانيا لإعلان خضوعهم لسلطة البابا الكنسية طبقا للتراث القديم منذ أيام القديس بطرس(٤) ولكن بعضهم ماطل فى الاستجابة للبابوية.

على أن المساعدات العسكرية الفرنسية انهالت على مملكة أرجون مما مكنها من الاستيلاء على بضعة مواقع من المسلمين (١٠٧٨-١٠٨٤)(٥).

وقد تم هذا النشاط العسكرى من جانب سانشو راميرز ضد المسلمين بمساعدة الفرق المتطوعة الفرنسيين، مما دفع حركة الاسترداد الأرجونية دفعا كبيرة إلى الأمام. والواقع أن البابا جريجورى السابع أشعل الروح الصليبية لدى الأوربيين وخاصة الفرنسيين إلى حد كبير(٦).

---

(١) David, Op. Cit, p.374; Kehr, Op. Cit; Pidal, Op. Cit, p. 159.

(٢) David, Op. Cit, p.379; Ballestores, Op. Cit, p. 443.

(٣) كان هنرى الرابع قد توجه إلى قلعة كانوسا طلبا لغفران البابا بعد أن تمرد عليه أتباعه وكان أن صعد الجبل وبقى ثلاثة أيام واقفا على الجليد أمام أبواب القلعة الموصدة فى وجهه حتى تعطف البابا وسمح له بالمثول بين يديه على شرط التسليم للبابوية بكل ما تطلبه دون قيد (يناير ١٠٧٧م) ووافق هنرى على ذلك وسامحه البابا. لمزيد من التفاصيل انظر، سعيد عاشور، أوربا جـ١، ص٣٤٤-٣٤٥ .

(٤) Pidal, Op. Cit, PP. 159-160.

(٥) David, Op.Cit, P.383; Ballesteros, Op.Cit,P-444.

(٦) Zurita, Op.Cit, PP.91-92; CF.also: Ballesteros, Op.Cit.Loc. Cit, Lomax, Op.Cit,p.81 أشباخ نفس المرجع ، جـ١، ص٦٢ .

كذلك أخذ المغامرون الفرنسيون يتوجهون إلى مملكة قشتالة بعد أن استتب الأمر للملك ألفونسو السادس. وقد أشار بعض المؤرخين إلى أنه فى عام ١٠٧٨م/ ٤٧١هـ قام هوجو كونت شالون Hugues de Chalon من البارونات البرجنديين الفرنسيين بحملة لمساعدة الملك ألفونسو السادس[١] وهكذا غدت الجيوش الأسبانية لا تخلو من مغامرين فرنسيين شكلوا فرقا من المتطوعة . وعندما اتضح لألفونسو مدى مساندة الفرنسيين له فى حروبه قرر توثيق علاقته بفرنسا فتزوج من الملكة كونستانس البرجندية ١٠٨٠م[٢] وهى التى كان لها دور كبير فى جلب الكثير من الفرنسيين حتى أن بلاط ألفونسو السادس عج بهم؛ وكان على رأسهم الراهب الكلونى برنارد الذى أصبح سكرتير الملكة الجديدة . وكان له دور كبير مع الملكة فى دعم النفوذ الفرنسى[٣] حتى أصبح بلاط ألفونسو السادس بلاطا فرنسيا . وفى الوقت نفسه أولى البابا جريجورى السابع العلاقات مع مملكة قشالة - التى تعتبر كبرى الممالك الأسبانية[٤] - عناية خاصة، ولذلك أرسل إلى ألفونسو رسالة خاصة مع المبعوث البابوى هوجو يلقبه (بملك أسبانيا) موقعة بتاريخ ٧ يونيو ١٠٧٨م/ ٤٧١ هـ ويطالبه بتغيير الصلاة القوطية بالرومانية[٥] وقد بدأت الصلاة تقوى بين الطرفين بعد قبول ألفونسو السادس تعميم الصلاة الرومانية، وعندئذ أرسل البابا جريجورى السابع ريكارد Ricardo رئيس دير سان فيكتور ليشرف على تعميم الصلاة الرومانية[٦] وكان أن توالى نزوح الفرنسيين إلى بلاط

---

(١) Defouneaux, Op.Cit.P. 141; David, Op.Cit . p.384.

(٢) وهى ابنة روبرت دوق برجنديا وحفيدة ملك فرنسا روبرت الثانى (التقى) والتى تزوجت أولا من هوجو الثانى Hugo II كونت شالون Chalon ولكن ترملت ، انظر : لمزيد من التفاصيل وعن دورها فى قشتالة.

Rodrigo,Op.Cit.P.245; Sandoval,F.P., Hisloria de los Reyes de Castilla Y de Leon,Pampelone1634,p.50; Florez, H.,Memorias de las Reynas catholicas, TI,Madrid 1790,pp.170.180, CF.also: Reilly, B.F., The Kingdom of Leon- castilla under queen urraca, 1109-1126 Uni press 1982,p.20.

(٣) Pidal,Op,Cit, PP. 168-169.

(٤) كما أشرنا من قبل إلى مبعوث جريجورى السابع فى عام ١٠٧٤ م إلى كل ملوك شبه الجزيرة الإيبيرية لطلب تعميم الصلات الرومانية.

(٥) David, Op (. rt.P. 355.

(٦) Cronicon de los Reyes Leoneses.C.L.R-TI, Valencia 1913, PP.227-229; Rodrigo, OP.Cit, PP.250-251; Cronica de obispo de oviedo don pelaya, C.R-A.L Leon 1985, P. 179. CF. also: Pidal, Op.Cit, PP. 165-166.

ألفونسو السادس الذى استعان بهم فى جيشه لمقاتلة المسلمين، وشاركوا فى حروبه حتى تمكن من الاستيلاء على مدينة طليطلة عام ١٠٨٥م/ ٤٧٨هـ مما شكل نقطة تحول خطيرة لصالح الممالك المسيحية الأسبانية . ذلك أن الروح الصليبية اتضحت فى أشد صورها بعد أن استسلم المسلمون بشروط منها حفظ مسجدهم . ولكن برنارد -الذى عين رئيسا لأساقفة طليطلة- انتهز فرصة غياب الملك وتعاون مع الملكة واقتحموا المسجد وحولوه إلى كنيسة، مما أغضب ألفونسو السادس[١].

وتشير إحدى المدونات الأسبانية إلى أنه عقب استيلاء ألفونسو السادس على طليطلة أرسل إلى البابا جريجورى السابع يخطره بما تم، ويوضع المدينة تحت حماية روما وفرنسا[٢] ويعتبر هذا دليلا على متانة الصلات بينه وبين البابوية ، مما مكن البابوية من تنمية الروح الصليبية ضد مسلمى الأندلس.

ومن ناحية أخرى فإن سقوط طليطلة فى يد ألفونسو السادس كان له أعمق الأثر فى نفوس مسلمى الأندلس ، فاستنجدوا بالمرابطين الذين لبوا النداء، فخرج يوسف بن تاشفين أمير المسلمين المرابطى على رأس جيشه وعبر إلى الأندلس، مما أفزع الملك ألفونسو السادس عندما بلغه خبر عبور المرابطين إلى الأندلس وهو يحاصر سرقسطة فى أواخر يوليو أو أوائل أغسطس ١٠٨٦م (جمادى الأول ٤٧٩هـ) وعندئذ ترك الملك حصار المدينة وبعث إلى سانشو راميرز يستنجد به[٣] ، كما أرسل إلى بقية ملوك أسبانيا المسيحيين. ولم يكتف بذلك بل أرسل يستنجد بالفرنسيين. وبذلك تم حشد قوات عظيمة من جليقية وليون واشتوريس ومعهم الكونت ريموند برنجير الثالث . وأشارت مدونتا القوط ولوزيتانيا إلى اشتراك الفرنسيين وحضور فرق عسكرية ، وخاصة من ولايات فرنسا الجنوبية، جوين وبرجنديا وبروفانس[٤]

---

(١) Pidal,Op.Cit.P.211-214.
عنان: دول الطوائف ، ص ١١٢- ١١٦ .

(٢) Primera cronica general de Espana. T7, Madrid 1955, P. 540.

(٣) ابن الكردبوس : نفس المصدر السابق، ص٩١ ، بن أبى زرع ، الأنيس المطرب بروض القرطاس، الرباط ١٩٧٢ ، ص ١٤٥-١٤٦ ؛ عنان ، دول الطوائف ص ٣٢١-٣٢٢ .
Herculano, A. Historia de portugal.Tl. Lisboa 1980, P. 239.

(٤) Cronica dos Godos, A pendice Brandoa, Cronica de conde D.Henriqu, Da. Tresa E Infante D.Alfonsa, Porto 1944,P.265; Chronican Lusitano,

للاشتراك فى الصدام المنتظر. وكثير منهم حركتهم الأطماع وشهوة الغنائم التى يحصلون عليها من جراء مقاتلة المسلمين. وكان أن دارت بين الطرفين موقعة الزلاقة[١] فى أكتوبر سنة ١٠٨٦، وفيها حلت الهزيمة بالملك ألفونسو السادس. ويميل كثير من المؤرخين فى وصفهم لتلك المعركة إلى إدخالها ضمن دائرة الحروب الصليبية لأنها لم تكن فى حقيقة الأمر سياسية أو اقتصادية وإنما اصطبغت بصبغة دينية واضحة.

وكان لهذه الهزيمة أكبر الأثر على ألفونسو السادس الذى أرسل إلى العالم المسيحى فى أوربا وخاصة فرنسا يستنجد بهم ضد المرابطين، ويشرح لهم كيف أن القوى الإسلامية تحالفت ضده، وأنه لابد من تحالف القوى النصرانية. وقد بعث برسل وخطابات إلى الملوك والأمراء فيما وراء جبال البرانس يحذرهم من الخطر الداهم وأنه يدافع عنهم بقتاله ضد المسلمين ويشرح لهم خطورة التكتل الإسلامى عليهم[٢].

وكانت الاستجابة سريعة إذ تجهز جيش كبير فى جنوب فرنسا شمل عناصر الجيش من بورجنديا ونورمنديا وشامبانى وأكويتانيا وجاسكونى ولانجدول وبروفانس، ومعهم العديد من الأمراء والنبلاء،[٣] وعبرت الحملة جبال البرانس للتوجه إلى مدينة طليطلة للدفاع عنها. ولكن

=

E.S., T14, Madrid 1905, P. 405; Davidd, Op.Cit.P. 384; Dcourneaux, op.Cit, P. 143; Herculano, Op.Cit, PP. 268-269; Dozy,Historia delos Musulmanes Espanoles, TIV.Mdrid 1878, P.244.

عنان : دول الطوائف ، ص٣٠٠ : أشباخ : نفس المرجع السابق، جـ١ ، ص١٤ .

(١) انظر: تفاصيل موقعة الزلاقة فيما يلى : ابن بلقين، مذكرات الأمير عبد الله، القاهرة ، سنة ١٩٥٥ ، ص١٠٤-١٠٦ : المراكشى المعجب ، القاهرة سنة ١٩٦٣، ص١٩٢ : الحلل الموشية ، ص٥٢-٦٢: سحر عبد العزيز سالم، التاريخ السياسى لمدينة بطليوس الإسلامية، رسالة ماجستير آداب أسكندرية ١٩٨٤ ، ص٤٢٣-٤٧٤ .

Rodrigo, Op.Cit, PP. 259-260; Sandoval, Op.Cit,P.74; Cronicon del cerratense, C.L.R., T1,P.37 Anales Compostelanos, C.L.R- TI, P.41, CF.also: Rivero, Op.Cit,P.17; Makay,Op.Cit,PP.21-22.

(٢) Pidal, Op.Cit, PP. 239-240 .

(٣) Brandao, Op.Cit,PP.20-21; Silva,Op.Cit,P.6; CF.also: Davidd, Op.Cit,PP.385-386; =

حدث بعد دخولهم أراضى قطالونيا أن علم يوسف بن تاشفين بوفاة ولده فقرر الرجوع إلى المغرب[١]. ولما علم ألفونسو السادس بذلك أرسل إلى قيادة الحملة يشكرهم ويخبرهم برحيل المرابطين[٢] طالبا منهم العودة إلى بلادهم.

وكان أن أصيب الجميع بخيبة أمل عندما استغنى ألفونسو السادس عن خدماتهم فى مقاتلة المسلمين، لأنهم كانوا يتطلعون إلى الغنائم والثروات[٣] وكان أن اتجه كثيرون من رجال تلك الحملة إلى الملك شانشو راميرز الذى رأى الاستفادة منهم لتحقيق مشروعاته فى الاستيلاء على مدن تطيلة Tudela ووشقه وطرطوشة[٣] تحقيقا لامله الكبير فى الاستيلاء على مدينة سرقسطة ولكن الحملة فشلت فى الاستيلاء على تطيلة نتيجة لحصانتها وقوة حمايتها أنذاك ولذلك قرر رجال الحملة العودة إلى فرنسا، وأن كان قد بقى بعض أفرادها للخدمة فى جيش سانشو راميرز[٤].

=

Defoumeaux, Op.Cit,PP. 143-144; Livemore, H. V. The Origins of Spain and portugal, London 1971.P.391, Lomax, Op.Cit,PP. 101-102.

عنان : دول الطوائف ، ص ٣٣١ .

(١) ابن الكردبوس ،:نفس المصدر ، ص٩٥ ، الحلل الموشية، ص٦٦ ابن أبى زرع نفس المصدر ص١٥٢ .

(٢) Sandoval, Op.Cit,Loc.Cit; CF.also: Pidal, Op.Cit,P.239.

(٣) يشير المؤرخ ساندوبال أنه عندما أرسل ألفونسو السادس يشكر الفرنسيين من أجل حضورهم وأن الخطر زال فكروا لماذا يعودون بدون أن يفعلوا شيئا ضد المسلمين فى الأراضى القريبة من فرنسا.

Sanddoval, Op. Ct, Loc. Cit.

(٣) طرطوشة Tortosa تقع شمال شرقى أسبانيا بالقرب من ساحل البحر المتوسط عند مصب نهر أبرو (أبره) وعلى بعد ٨٤ كم جنوبى مدينة طركونة التى تعتبر طرطوشة من أعمالها. وفى العصر الإسلامى اشتهرت بدار صناعتها الضخمة التى أسسها عبد الرحمن الناصر ٣٣٣هـ/ ٩٤٥م وكذلك مسجدها الجامع الذى أمر الناصر ببنائه سنة ٣٤٥هـ/ ٩٥٦م، وكانت تتبع مملكة بنى هود فى سرقسطة، هامش١، ص١٠٠: ابن الكردبوس ولمزيد من التفاصيل انظر الحميرى. المصدر السابق ، ص١٢٤ .

(٤) Galvao, D,Chronica delRej D.Alfonso Henriques,Lisboa 1906.P.41; CF.also: Peres, D, Como nasceu Portugal, Porto 1931; Livermore,H,A new history of Portugal, Cambridge, 1976,P.42; Defoumeaux,OP.Cit., P.144; Peilly,Kingdom ofLeon-castilla under Alfonso.., P.191.

أما الملك راميرز ملك أرجون فقد استطاع الاستيلاء على قلعة منتشون Manzon ١٠٨٩ (٤٨١ / ٤٨٢هـ) ثم سار لحصار مدينة وشقة أمنع قواعد مملكة سرقسطة الشمالية، وحاصرها ولكنها صمدت لحصاره وأخيرا توفى سانشو راميرز فجأة فى يونيه ١٠٩٤م/ جمادى الأول ٤٨٧هـ[١] - فخلفه ابنه بدرو الأول الذى سار على سياسته. ومن الملاحظ أن سانشو حقق ما حققه من مكاسب بعون الفرنسيين الذين غدوا جزءا من جيشه. وقد أشار ثوريتا Zurita بأن هذا الملك مهد الطريق لخلفائه حتى ينجزوا الأعمال التى بدأها ، وأهمها الاستيلاء على المدن الإسلامية [٢] وتوطيد العلاقات والارتباطات بين مملكة أرجون والفرنسيين.

أما ألفونسو السادس ملك قشتالة فإنه وثق علاقته بفرنسا: وبالإضافة إلى زواجه من الملكة كونستانس البرجندية فإنه زوج ابنتيه الأولى دونيا أوراكا وهى الإبنة الشرعية من ريموند البورجونى ١٠٩٣م/ ٤٨٦هـ والثانية -وهى الابنه تريزا غير الشرعية بهنرى البورجونى ١٠٩٧م/ ٤٨٧هـ واعتمد عليهما فى قيادة الجيوش ومنحهما كونتيتى جليقية والبرتغال ، وبذلك تم تأسيس الأسرتين الحاكمتين فى قشتالة والبرتغال[٣].

وجدير بالذكر أنه عندما دعا البابا أوربان الثانى ١٠٨٨-١٠٩٩م فى مؤتمر كليرمونت ١٠٩٥م للحروب الصليبية فى الشرق فإنه أصدر فى الوقت نفسه مرسوما يحرم على الأسبان الاشتراك فى الحروب الصليبية فى الشرق، وأرسل إليهم رسالة ينصحهم بالبقاء فى ديارهم لمواصلة الكفاح ضد المسلمين، وتتابعت أوامره بذلك[٤]. وعلى الرغم من ذلك فإن برنارد رئيس أساقفة طليطلة جمع فرقة من الجنود واتجه بها إلى الشرق، ولكنه عندما مر وهو فى طريقه

---

(١) Cronica de la corona de Aragon,PP.9-10; Zurita,Op.Cit.,PP. 100-101; CF.also: Kehr,0p Cit,P.120.

(٢) Zurita, Op. Cit, P. 74 CF.also: Ballesteros, Op.Cit,Loc. Cit.

(٣) انظر : محمد النشار ، نفس المرجع السابق ، ص٢٢-٤٤ .

(٤) Beiroa, C, Historia breve de portugal, Lisbao (sLd), P. 8.

أشباخ : نفس المرجع والجزء ، ص١٣١ : عبد القادر اليوسف : نفس المرجع ، ص٤٨ : عنان : دول الطوائف ، ص٤٢ .

بروما، منعه البابا وأمره بالعودة فورا، وأصدر مرسوما جديدا يحرم فيه على رجال الدين والفرسان الأسبان المساهمة فى الحروب الصليبية فى الشرق(١).

ويوضح هذا أن البابوية أدركت تماما أن الحروب الصليبية فى شبه الجزيرة الإيبيرية لا تقل أهمية عن نظيرتها فى الشرق، وإنها تدور على أرض أوربية مسيحية استولى عليها المسلمون.

وبعد ، فإنه يستفاد من هذا البحث أن فكرة الحروب الصليبية نبتت فى بداية الأمر فى شبه الجزيرة الإيبيرية متمثلة فى المواجهة بين المسيحيين الأسبان ومعاونيهم من الجنود الفرنسيين من جهة وبين المسلمين الأندلسيين ومعاونيهم من المرابطين من جهة أخرى. وهكذا فإنها كانت بداية ومقدمة للحروب الصليبية فى الشرق .

(١) Herculana, Op.Cil" I .P.279; Lafuente.M.Historia general de Espana, TI,Barcelona.

بيان بالمختصرات الوارد ذكرها فى الحواشى:

C.R.A.L. Cronicas de los Reinos de Asturias Y Leon.
Mon. Lus: Monarquia Lusitana.
C.L.R. Las Cronicas Latinas de la Reconquista.
E.S. Espana Sagrada.

مصادر ومراجع :

أولا المصادر الأجنبية:

- Basta:A.M:
  Cronica de cinco Reis de portugal. Vol. I.Porto (s/d).
- Brandao, A. :
  Monarquia Lusitana. Parte 3, Lisfoa 1973.
- Carlos: Principe de Viana:
  Croncia de los Reyes de Navarra. Pamplona 1843.
- Chronicon Lusitano:
  Espana Sagrada, T14, Preparar por Henrique Florez, Madrid 1905.
- Cronica dos Godos.
  A Pendice Brandao, Cronica de conde D.Henrique, D.Teresa
  E.infanteD. AJfonso, Porto 1944.
- Croncia de la corona de Aragon.
  Anol919.
- Cronica del obispo de oviedo Don pelayo.
  Cronicas de los Reinos de Asturias Y Leon, Leon 1985.
- Cronicon de cerratense.
  Las cronicas Latinas de la Reconquisu. Tl, Valencia 1913.
- Cronicon de los Reyes Leoneses.
  C.L.R. T.T I.Valencia 1913.
- Duarte yunes, de Leao.
  Croncia dos Reis de portugal. Porto 1Q75.
- Florez,H:
  Memorias de los Reynas catholica.Tl, Madridd 1790.

- Galvao, D:
    Chronica del Rej D Alfonso Henriques. Lisboa 1906.
- Primera Cronica general de Espana.
    Publicado por Ramos Menendez Pidal, Madrid 1955.
- Rodrigo, Jimenes de Rada:
    Historia de los hechos de Espana, Madrid 1982.
- Sandoval, F.P.:
    Historia de los Reyes de castilla Y de Leon. Pamplona 1634.
- Siva. G.T.:
    Cronicas dos sete primeiros Reis de portugal. Vol.I,Lisboa 1952.
- Textos Y Documentos de Historia Antigua, Media Y Hodema.
    Historia de Espana XI,(s/d).
- ZuritaJ: -
    Anales de la corona de Aragon.TI, zaragoza 1976.

ثانيا: المصادر العربية:

ابن الأبار : (ت ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبى بكر القضاعى.

- "الحلة السيراء" الجزآن تحقيق الدكتور حسن مؤنس، الأول القاهرة سنة ١٩٦٣م والثانى سنة ١٩٨٥م .

ابن أبى زرع: (ت٧٢٦هـ/ ١٣٢٦م) أبو الحسن على بن عبد الله

- "الأندلس المطرب بروض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس الرباط سنة ١٩٧٢ .

ابن الأثير : (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م) عز الدين أبو الحسن على بن محمد.

- الكامل فى التاريخ، ١٢ جزءا ، بيروت سنة ١٩٧٩م.

ابن بسام: (ت٥٤٢هـ/ ١١٤٧م) أبو الحسن على الشنتريني.

- "الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة" ، المجلد الأول ، القسم الثالث تحقيق الدكتور إحسان عباس ، بيروت ١٩٧٩م .

ابن بلقين: (ت٤٨٩هـ/ ١٠٩٦م) الأمير عبد الله الزيرى.

-"مذكرات الأمير عبد الله المسماه بكتاب التبيين "نشر وتحقيق ليفى بروفنسال القاهرة سنة ١٩٥٥م .

ابن عذارى: (٧١٢هـ/ ١٣١٢م) أبو عبد الله محمد المراكشى.

- "البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب" جـ٢، بيروت سنة ١٩٨٣م ، جـ٣ بيروت سنة ١٩٨٠، جـ٤، تحقيق إحسان عباس، بيروت سنة ١٩٨٠م .

ابن الكردبوس: (عاش فى القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى) أبو مروان عبد الملك بن الكردبوس.

-"تاريخ الأندلس ووصفه لابن الشباط" ، تحقيق الدكتور أحمد مختار العبادى، معهد الدراسات الإسلامية بمدريد سنة ١٩٧١م.

أبى عبيد البكرى: (ت ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م) عبيد الله الأندلسى.

-"جغرافية الأندلس وأوربا من كتاب المسالك والممالك"، تحقيق دكتور عبد الرحمن الحجى، بيروت سنة ١٩٦٨م .

الإدريسى: (ت ٦٥٠هـ/ ١٢٥٥م) الشريف محمد بن عبد العزيز

-"صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس ووصف إفريقية وأسبانيا" تحقيق دوزى، امستر دام ١٩٦٩م.

الحميرى: (عاش فى القرن التاسع الهجرى/ الخامس عشر الميلادى) أبى عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم.

-"صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار فى خبر الأقطار" ، تحقيق ليفى بروفنسال، القاهرة ١٩٣٧م.

عبد الواحد المراكشى: (ت ٦٦٩هـ/ ١٢٧١م) محى الدين عبد الواحد بن على

-" المعجب فى تلخيص أخبار المغرب "تحقيق سهيل زكار الدار البيضاء سنة ١٩٧٩م.

المقرى: (ت ١٠٤١هـ/ ١٦٣١م) شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد التلمسانى.

-"نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب " جـ٣، القاهرة سنة ١٩٣٦م، جـ٤، القاهرة سنة ١٩٦٨م.

مؤلف مجهول:

-"الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية" الدار البيضاء سنة ١٩٧٩م.

ياقوت الحموى: (ت ٦٣٦هـ/ ١٢٢٩م) شهاب الدين الرومى.

-"معجم البلدان" المجلد الأول ، بيروت سنة ١٩٧٧م .

ثالثا: المراجع الإجنبية

- Antuno de la Torre:

La Reconquista en el pirineo, "La Reconquista Espanola Y 1 Rep-oblacion del pais. " Zaragoza 1951.

- Atkinson, W.C:

A History of Spain and portugal, London 1960.

- Ballesteros Y Beretta:

Historia de Espana Y su influencia en la Historia universa, T2, Bar-celona 1944.

- Beirao; caetano:

Historia breve de portugal, Lisboa (s/d).

- Bishko; C.J.:

The cluniac priories of Galicia and portugal Their Acquistion and Ad-ministration 1975-1230, Studia Monastica, Abadia de Montserrat 1965.

–Chapman; L.A. :

A History of Spain, New York 1931.

-David,P:

Etudes Historques sur la Galica et le portugal du BI au XII seicle; Par-is 1947.

- Defoumeaux,M.:

Les Francias en Espagne aux XU siecles. Pals 1949.

-Dozy:

Los Musulmanes Espanoles, T4Madrid 1867.

- Dufourcq Y Gautire:

Historia E-conomicay social de la Espana cristiana en la Eded Me-dia,Barcelona, 1983.

-Kehr,P.:

El papado Y los Reinos de Navarra Y Aragon, Estudios de Eddad Media de la corona de Aragon, Vbl.2,Zaragoza 1946.

-Lacarra; J.M.:

1 - Historia Politica del Reino de Navarra, Vol 3, Editorial Aranzo 1979.

2 - La Repoblacion del camino de Santiago, La Reconquista Espanola YLa Replacion del pais. Zaragoza 1951.

-Lafuente, M.:

Historia general de Espana. TI, Barcelona 1879.

- Ledesma, R.:

Templarios Y Hospitalarios en el Reino de Aragon, Zaragoza 1982.

- Livermore:

1 - The Origins of Spain and portugal,London 1971.

2 - A new History of portugal, Cambridge 1976.

-Lomax; D.W.:

La Reconquista. Barcelona 1984.

-Macky,A.:

Spain in the Middle Ages. New York 1977.

–Marques,0.:

History ofportugal. Vol. I,New York 1972

- Martin,.J.L.

La peninsula en la Edad Meddia.Barcelona 1978.

- Navarrete; M.F.:

Espanoles en los cruzados. Madrid 1986.

- Payne;S.G.:

A History of Spain and portugal. Wisconsin press, 1943.

- Peres, D.

Como nasceu portugal. Porto 1931.

-Pidal;R.M.:

Espana del cid. Buenos Aires 1939.

-Reilly;B.F.:

1 - The Kingdom Leon-castilla under Idng Alfonsa VI, 1065-1109, London, (n/d).

2 - The kingdom of Leon-castilla under queen uraraca 1109-1126 princeton university press 1982.

- **Rivera Recia,J.F.:**

Reconquista Y pobladores del antigua Reino de Toledo, AnulesToledonos, Toledo 1967.

- **Suarez;L.F.:**

Historia de Espana. Edad Media,Madrid 1970.

- **Tout;T.F.:**

The Empire and the papacy 918-1273. London 1924.

رابعا : المراجع العربية والمترجمة:

أشباخ يوسف:

- تاريخ الأندلس فى عهد المرابطين والموحدين ، جـ١، القاهرة، سنة ١٩٤٠، جـ٢، القاهرة سنة ١٩٤١ .

باركر

- الحروب الصليبية ، ترجمة السيد الباز الرينى ، القاهرة ، سنة ١٩٦٠م .

جرزيف نسيم يوسف أ. دكتور:

- العرب والروم واللاتين ، القاهرة سنة ١٩٨١م .

حسنين محمد ربيع أ دكتور :

- دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية ، القاهرة سنة ١٩٩٣م .

حسين مؤنس أ. دكتور:

- فجر الأندلس- القاهرة سنة ١٩٥٩م

رنسيمان:

- تاريخ الحروب الصليبية ، جـ١، بيروت سنة ١٩٦٩م .

سحر السيد عبد العزيزي سالم دكتور :

- التاريخ السياسى لمدينة بطليوس الإسلامية منذ تأسيسها سنة ٢٦١ هـ (٨٧٤م) حتى سقوطها فى أيدى الليونيين ٦٢٧هـ/ ١٢٣٠م رسالة ماجستير بآداب الإسكندرية سنة ١٩٨٤ رتم نشرها.

سعيد عبد الفتاح عاشور . أ. دكتور:

- أوروبا فى العصور الوسطى - جزءان القاهرة سنة ١٩٧٧م .

- الحركة الصليبية ، جـ١ ، القاهرة سنة ١٩٧٨م .

السيد عبد العزيز سالم أ. دكتور:

- فى تاريخ وحضارة الأندلس ، الأسكندرية سنة ١٩٨٥م.

شكيب إرسلان:

- الحلل السندسية فى الأخبار والآثار الأندلسية جـ٢ بيروت سنة طبع .

عبد الرحمن الحجى أ. دكتور:

- التاريخ الأندلسى ، القاهرة سنة ١٩٨٣م .

كاسترو أمريكو:

- حضارة الإسلام فى أسبانيا، ترجمة وتعليق دكتور سليمان العطار ، القاهرة سنة ١٩٨٣م.

محمد عبد الله عنان: أ.

- دول الطوائف ، القاهرة سنة ١٩٨٨م.

محمد محمد مرسى الشيخ أ. دكتور:

- دولة الفرنجة وعلاقاتها بالأمويين فى الأندلس الأسكندرية سنة ١٩٨١م.

محمد محمود أحمد النشار دكتور:

- السياسة الخارجية لألفونسو هنريكز ملك البرتغال سنة ١١٢٨- ١١٨٥م رسالة دكتوراه جامعة طنطا سنة ١٩٩٢م لم تنشر بعد.

نور الدين حاطوم أ. دكتور:

- تاريخ العصور الوسيط، جـ١، القاهرة سنة ١٩٦٧م.

- ٢ -

نشأة جماعتى الرهبان الفرسان الاسبتارية والداوية فى الممالك المسيحية الإسبانية والبرتغالية ودورهما فى الصراع الصليبى الإسلامى

(خلال القرن الثانى عشر الميلادى/ السادس الهجرى)

نشأت الفكرة الأولى لجماعات الرهبان الفرسان عام ١٠٧٠م/ ٤٦٣هـ عندما أسس بعض تجار مدينة أمالفى الإيطالية فى بيت المقدس جمعية خيرية تشرف على إحدى المستشفيات بالقرب من كنيسة بيت المقدس[١]، مهمتها الأولى العناية بمرضى حجاج بيت المقدس ورعايتهم، وقام بالخدمة فيها هيئة منظمة من الرهبان يرأسها راهب يدعى جيرار Gerard اكتسب فيما بعد لقب حامى فقراء المسيح Gardien des Pauvres du Christ [٢].

---

(١) كان لهؤلاء التجار الأمالفيين، علاقات قوية بالخلافة الفاطمية فى مصر والشام ونجحوا فى الحصول على امتياز من الخليفة الفاطمى تتمثل فى أحد الأحياء القريبة من كنيسة بيت المقدس والتى شيدوا بها ديرا وألحقوا به المستشفى.

Laroix, P. Vie Militaire et Religieuse au Moyen Age, Paris 1877, PP. 181-182.

نبيلة مقامى ، فرق الفرسان الرهبان فى بلاد الشام، رسالة ماجستير لم تنشر بكلية آداب القاهرة ١٩٧٥ ص٩، وقد أشارت إلى نفس التفاصيل مدونة برتغالية هى:

Brandao, A. cronica de conde D. Henrique, Teresa E Infante D. Alfonso. Porto 1944, P. 191.

(٢) يرى بعض الباحثين أن جيرار هو من أهالى مدينة أمالفى وأنه ولد فى عام ١٠٤٠م/ ٤٣٢هـ وجاء إلى الأراضى المقدسة للحج عام ١٠٨٠م، ٤٧٣هـ وهناك نظم هيئة الرهبان المقيمين على المستشفى، وبعد استيلاء الصليبيين على بيت المقدس عام ١٠٩٩م/ ٤٩٢هـ أقروا هيئة الاسبتارية برئاسة جيرار الذى توفى فى عام ١١٢٠م/ ٥١٤هـ ويعتبر أول رئيس للاسبتارية.

King, E. J. The Kinghts Hospitallers in the holy land, London 1931, PP. 15-18.

كما أطلق على هذه الجماعة اسم فرسان المستشفى Hospitallers التى حرفت العربية إلى الاسبتارية، ولم تلبث هذه الجماعة أن انضمت تحت لواء النظام الديرى البندكتى المعروف فى غرب أوربا وصاروا يتبعون البابا فى روما تبعية مباشرة(١).

أما جماعة فرسان الداوية(٢)، فإنها أسست بعد أن استقر الصليبيون بالشام وكانت مهمتها حماية طريق الحجاج ومعبد سليمان(٣)، ويرجع الفضل فى وضع أساس ونظم تلك الجماعة إلى اثنين من الفرسان هما هيودى باين Hugo de payns وجودفرى دى سانت أومر Geofforey de st. Omar يساندهما مجموعة من الفرنسيين والفلمنك(٤)، الذين حصلوا على تصريح فى عام ١١١٨م/١٢ ٥هـ من بطريرك بيت المقدس والملك بلدوين الثاني بإنشاء هذه الجماعة وأفرد لهم جناحا فى قصره(٥)، وقد استغلت تلك الجماعتان الروح

---

(١) يرجع هذا النظام إلى القديس بندكت فى القرن العاشر الميلادى وهو نظام حل محل كثير من الأنظمة الديرية السائدة فى غرب أوروبا، كما تمتع لأول مرة فى تاريخ المنظمات الديرية السائدة بتأييد البابوية وعطفها، وتتمثل أهميته فى أن بندكت كان على علم تام بمساوئ الديرية الشرقية وعيوبها مما دفعه إلى تلافيها وكان النظام البندكتى يقوم على ثلاثة أركان أساسية هى إنكار الذات والطاعة والعمل. لمزيد من التفاصيل انظر: سعيد عاشور، أوربا العصور الوسطى، جـ١، القاهرة ١٩٧٥م، ص١٦٦-١٦٨، كولتون، عالم العصور الوسطى فى النظم والحضارة، ترجمة وتعليق الدكتور جوزيف نسيم، الإسكندرية ١٩٨٣م، ص١٦٧-١٧٥ .

(٢) عرفت فى المصادر الأجنبية بعض أسماء منها الجنود الفقراء للسيد المسيح، وفرسان المعبد وغيرهما من الأسماء.

(٣) كثرت الغارات والكمائن التى كان يقوم بها المسلمون فى مقاومتهم للعدوان الصليبى . وقد أشار وليم الصورى إلى الخسائر التى أوقعتها المقاومة الإسلامية فى صفوف الفرنج.

William of Tyre: A History of deads done Beyond the sea, Vol 1, New York 1949, pp. 524-٥٢٦,

نبيلة مقامى، نفس المرجع، ص١٥ .

(٤) Contamina, P, La guerra en la Ead Media, Traduccion de Frances A Espanol., Bercelona 1984, P. 94; Castro, A, La Realidad historica de Espana, Mexico 1987, P. 134;Lacroix, op, Cit. P. 195.

نبيلة مقامى، المرجع السابق، ص١٦ .

(٥) William of Tyre, Op. Cit, Vol. 1, PP. 524-526; also: lacroix, op cit, P. 196.

نبيلة مقامى، المرجع السابق، ص ١٦ .

العالية بين الصليبيين الذين نذروا أنفسهم من أجل تخليص أرواحهم من الآثام بفتح باب التطوع للانتظام فى سلكهما وأخذوا على عاتقهم بث الروح الصليبية وضربوا الأمثال فى شدة حماسهم وفدائيتهم فى قتال المسلمين. ووصلت تنظيمات هاتين الجماعتين إلى درجة أنهم اعتبروا أنفسهم حماة الكيان الصليبى وروحه المتوثبة ولم تلبث أن اكتسبت سمات سياسية واقتصادية وعسكرية بجانب الدينية[1]، وسجل لهم التاريخ دورا كبيرا فى مساندتهم للحركة الصليبية فى بلاد الشام.

كان لنشأة هاتين الجماعتين كنظام يجمع بين الرهبنة والعسكرية صدى كبير فى شبه الجزيرة الأيبيرية والتى كانت تدرك تماما أهمية وجود مثل هذه الجماعات فى أراضيها لطبيعة الصراع بينهم وبين مسلمى الأندلس ويرجع الفضل فى دخول جماعات رهبان فرسان الشرق إلى أسبانيا المسيحية إلى الرهبان الكلونيين الفرنسيين[2]، حيث أخذوا على عاتقهم الدعوة

---

(١) لمزيد من التفاصيل عن فكرة هذه الجماعات ونشأتها وتاريخها فى الشرق انظر ما يلى:

William of Tyre, Op. Cit,Loc cit, CF. Also: Lacroix, Op. Cit, PP. 181-216; King, Op Cit, PP. 1-29.

سعيد عاشور: الحركة الصليبية، جـ١، القاهرة ١٩٧٨، ص٤٨٦-٤٨٨.

نبيلة مقامى، نفس المرجع، ص٧-٢١ .

(٢) الحركة الكلونية، هى حركة اصلاح دينية بزغت فى أوائل القرن العاشر الميلادى فى فرنسا نسبة إلى دير كلونى فى برجنديا وأول نظامها هو الاستقلال عن السلطات الدينية والدنيوية لتصبح المنظمة الكلونية تحت سيطرة البابا مباشرة ولها العديد من القوانين والأنظمة التى كان لها أكبر الأثر فى الغرب الأوروبى ولمزيد من التفاصيل انظر:

Tout, T. E. The Empire and the Papacy 1924, PP. 96-99.

سعيد عاشور، أوروبا العصور الوسطى، جـ٢، القاهرة ١٩٧٨، ص٢٤٢-٢٤٣.

واتسع نشاط الرهبان الكلونيين فى شبه الجزيرة الأيبيرية وأرسوا دعائم الأديرة الكلونية بها وعملوا على إذكاء الروح الصليبية ضد المسلمين بإرشاد من البابوية وتحمسهم المستمر لقتال المسلمين ولمزيد من التفاصيل عن دورهم فى شبه الجزيرة انظر:

Bishko, C. J, The cluniac priaries of Galicia and potugal, their ascquisition and administration 1075-1230, Studio Monastico, Abadia de Montserrat, 1965; Rivera J. E, Reconquista Y Poblasores del antiguo Reino de Toledo, Anales Toledaños, Toledo 1967, PP. 45-46.

لاتحاد الرهبنة مع العسكرية لمواجهة مسلمي الأندلس فلقيت دعوتهم استجابة من إمارة كتالونيا (Cataluna) لملائمة هذا النظام لها من ناحية ولقرب كتالونيا من فرنسا وكانت تربطها بالبابوية علاقة وثيقة وصلت إلى أن ريموند برنجير الثالث Ramon Berenguer III ١٠٩٧-١١٣١م/ ٤٩٠-٥٢٥هـ) [١]، وضع حكمه تحت رعاية البابا وخصص للكرسي الرسولي جزية سنوية، وأغدق رعايته على رجال الدين والرهبان وشجع جمع الصدقات لجماعتي الاسبتارية والداوية حتى أنه خصص لجماعة الاسبتارية مراكز في أمارته لتلقى الهبات[٢] وذلك في عام ١١٢٠م/ ٥١٤هـ[٣] . كما أغدق رعايته على جماعة الداوية، بل إنه في أواخر أيامه انتظم في سلك هذه الجماعة ونذر نفسه لقتال أعداء الدين[٤]. ومنح الداوية عدة قلاع منها قلعة ماين Malln بعد أن أمر بتعميرها في عام ١١٢٧م/ ٥٢١ه [٥]. وقلعة جرانينا Granena في لاردة L'erida [٦].

---

(١) عمل ريموند برنجير الثالث أثناء حكمه الطويل على توسيع إمارة كتالونيا وكان في حروبه ضد المرابطين يبدى ضروبا من الفروسية وكان متشبعا بالروح الصليبية ويتضح ذلك من خلال حروبه وتعاونه مع البيزيين في الاستيلاء على جزيرة ميورقه التي استولى عليها عام ١١١٥م/ ٥٠٨هـ وإن كان فقدها بعد ذلك، ثم الحرب الصليبية التي أعلنها بعد ذلك بقليل بإشارة البابا كالكستوس الثاني ضد مسلمي طرطوشه ولارده وافراغه واستطاع أن يفرض عليها الجزية وتعددت مشاريعه الصليبية ضد المسلمين. أشباخ، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة محمد عبد الله عنان، جـ١، القاهرة ١٩٤٠ص ١٨٣، ولمزيد من التفاصيل انظر:

Zurita, J, Anales de la corona de Aragon, T1, Zaragoza 1976, pp. 84-85, 88-89, 111-113, 129-131. CF. Also: Martin, J. L. La Peninsula en la Edad Media, Barcelona 1978, pp. 327-331.

(٢) يرجع المؤرخان ميريث وسانز وصول أول هبات إلى جماعة رهبان فرسان الاسبتارية من كتالونيا إلى عامي ١١٠٩/١١١١م/ ٥٠٢-٥٠٥هـ ولكن الباحثة ليبسما Ledesma تشك في هذه التواريخ وتشير إلى أن التاريخ الصحيح يلي مرسوم البابا في ١١١٣م/ ٥٠٧هـ مباشرة.)

Ledesma, R. Templarios Y Hospitalarios en el Reino de Aragon, Zaragoza 1982, P. 25.

(٣) Ibid, P. 26.

(٤) اشباخ، المرجع السابق، جـ١، ص، ١٨٤

(٥) Zurita, Op. Cit., P. 164.

(٦) Ledesma, Op., Cit., P. 27.

لاردة: مدينة قديمة مرتفعة حصينة على وادي شقر شرقي سرقسطة في منتصف الطريق بينها وبين برشلونة وكانت القاعدة الثانية بعد سرقسطة في منطقة الثغر الأعلى حينما استقل بنو هود بهذه المنطقة أيام ملوك الطوائف، وكانت سرقسطة ولاردة من أهم المناطق التي تنازع عليها ملوك هذه الأسرة وسقطت لاردة في أيدي المسيحيين نهائيا ٥٤٣هـ/ ١١٤٨م استولى عليها ريموند برنجير الرابع ملك ارجون (أرغونة) راجع، صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار للحميري، القاهرة ١٩٣٧م، ص١٦٨، تاريخ الأندلس لابن الكردبوس، تحقيق أحمد مختار العبادي معهد الدراسات الإسلامية، مدريد ١٩٧١، هامش١، ص٩٨ .

ويختلف الباحثون فى تحديد موعد دخول جماعة الداوية إلى أسبانيا المسيحية وتأسيس مراكز لهم فالمؤرخ فورى Forey يحدد دخولهم فى عام ١١٢٨م/ ٥٢٢هـ بينما يرى آخرون أن دخولهم كان سابقا لهذا التاريخ ونعتقد أن هاتين الجماعتين دخلتا إلى شرق أسبانيا المسيحية منذ عام ١١٢٠م خاصة بعد تصديق البابوية على مشروعية قيامهما(١)، بنشاطهما ضد المسلمين وتوجيهاته إلى ملوك أسبانيا المسيحية بالسماح للجماعتين بتأسيس مراكز لجمع الصدقات تمثلت فى صدقات عينية كالعقارات مما دفعهم إلى تأسيس مراكز لهم للإشراف عليها.

على أية حال فقد أوصى ريموند برنجير الثالث كونت (برشلونة) ابنه ريموند برنجير الرابع قبل وفاته برعاية جماعة الداوية فاستجاب لنصيحة والده وسار على سياسته فى رعاية تلك الجماعة وكتب إلى سيد جماعة الداوية يطلب منه إرسال عشرة فرسان لتأسيس فرع لهم فى كونتيته. وعلى الرغم من أن الخطاب لم يكن مؤرخا فإنه كان موقعا عليه من كونت برشلونه(٢)، أى قبل عام ١١٣٧م/ ٥٣١هـ الذي اتخذ فيه لقب أمير أرجون(٣). ووهبهم العديد من الأملاك ومنحهم بعض الحقوق والامتيازات والتحق مثل أبيه كفارس من فرسان الداوية(٤).

ويتفق دخول جماعتي رهبان فرسان الإسبتارية والداوية مملكة أرجون (أرغونه) مع نفس توارخ دخولهم كونتيه كتالونيا فى عهد ألفونسو (المحارب) الأول(٥) Alfonso El Btallador

---

(١) كان البابا باسكوال الثانى قد صدق على تأسيس جماعة الاسبتارية فى عام ١١١٣م/ ٥٠٩هـ انظر وثيقة المرسوم البابوى فى:

King, Op. Cit., PP. 26-28.

أما الداوية فقد صدق على تأسيسها البابا كالكتس الثانى فى عام ١١١٩م/ ٥١٣هـ

Ledesma, Op. Cit., P. 25; King, Op., Cit., P. 24.

(٢) Zurita, Op. Cit., PP. 200-201; CF. Al;so: Ledesma, Op. Cit., P. 34.

(٣) اتخذ لقب أمير أرجون (أرغونه) عندما تزوج من بترونيلا Petronila وريثة مملكة أرجون ووحد بين كتالونيا وأرجون فى عام ١١٣٧م وهو تاريخ الزواج.

Cronica de la Corona de Aragon, Ano 1919, P. 29.

(٤) Ledesma, Op. Cit., P. 27; Fernandez, L., Manual de Historia, Universal, T. 3 Edad Media, Madrid 1972, P. 378.

اشباخ ، المرجع السابق، جـ١، ص١٨٤ .

(٥) كان الفونسو المحارب من أشد الملوك ضراوة ضد المرابطين وأحرز عليهم انتصارات عديدة وانتزع =

(١١٠٤-١١٣٤م/ ٤٩٧-٥٢٨هـ) ملك أرجون أعظم ملوك أسبانيا المسيحية والذى كان متشبعا بروح الحروب الصليبية، فعلى الرغم من صدور قرارات البابوية بعدم اشتراك الأسبان فى الحروب الصليبية فى الشرق[١]، فإنه فكر فى الاستيلاء على لاردة وطرطوشة[٢]، وبلنسية[٣].

= منهم مدنا عدة وعلى رأسها سرقسطة عام ١١١٨م وكان قد تزوج من أوراكا ملكة قشتاله ابنة الملك ألفونسو السادس فى عام ١١٠٩م وكان التباين بينهما شديدا مما أدى إلى صدام ونشوب الحرب الأهلية التى استغرقت معظم فترات حكمه ولمزيد من التفاصيل انظر:

Lacarao, J. M., Alfonso El Batallador, Zaragoza 1978; Lacarra, La conquista de zaragoza por Alfonso 1, Al: Andalus, Vol. 1, XII, 1949.

اشباخ ، جـ١، ص١٤٥-١٧٦؛ محمد النشار: السياسة الخارجية لالفونسو هنريكز ملك البرتغال - رسالة دكتوراه غير منشورة لعام ١٩٩٢، جامعة طنطا، ص٤٤-٦٠ .

(1) Beirao, C, Historia breve de portugal, Lisboa (Nid) P. 8: Herculano, A, Historia de Portugal, T1, Lisboa 1980, P. 27.

اشباخ ، المرجع السابق، جـ١، ص١٣١-١٣٢؛ عبد القادر اليوسف: علاقات بين الشرق والغرب، بيروت ١٩٦٩، ص٤٨، محمد عبد الله عنان، دول الطوائف، القاهرة ١٩٦٩، ص٤٢ .

(٢) طرطوشه : Tortosa تقع فى شمال شرقى أسبانيا بالقرب من ساحل البحر المتوسط عند مصب نهر ابره وعلى بعد ٨٤ كم جنوبى مدينة طركونه التى تعتبر طرطوشة من أعمالها، وفى العصر الإسلامى اشتهرت طرطوشة بدار صناعتها الضخمة التى بناها الخليفة عبد الرحمن الناصر ٣٣٣هـ/ ٩٤٥م وكذلك بمسجدها الجامع الذى أمر الناصر ببنائه سنة ٣٤٥هـ/ ٩٥٦م وفى عصر ملوك الطوائف استقل بطرطوشة بعض الفتيان الصقالبة أمثال لبيب ومقاتل ونبيل لفترة قصيرة من الزمان ثم ضمت لملكة بنى هود حكام الثغر الأعلى (سرقسطة) وظلت كذلك إلى أن اضمحلت هذه المملكة العربية سرقسطة فسقطت طرطوشة فى يد ريموند برنجير الرابع وحلفائه فرسان الداوية ٥٤٢هـ/ ١١٤٨م. تاريخ الأندلس لابن الكردبوس، تعليق أحمد مختار العبادى، هامش١، ص١٠٠ ولمزيد من التفاصيل انظر الحميرى، المصدر السابق، ص١٢٤، ١٢٥) .

(٣) بلنسية: تقع فى شرق الأندلس بينها وبين البحر المتوسط ثلاثة أميال وهى قاعدة من قواعد الأندلس المشهورة (وهى فى مستوى الأرض عامرة القطر كثيرة التجار والعمار بها أسواق وتجارات وحط وإقلاع وهى على نهر جار ينتفع بها ويسقى المزارع ولها عليه بساتين وجنات وعمارات متصلة (الإدريسى صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق، امستردام ١٩٦٩، ص١٩١؛ الحميرى، المصدر السابق، ص٤٧-٥٥؛ السيد عبد العزيز سالم فى تاريخ وحضارة الأندلس، الإسكندرية ١٩٨٥، ص٨٩-٩٤ .

فى شرق الأندلس، ليرسل منها إحدى الحملات إلى بيت المقدس(١)، ولما تعذر ذلك عليه أسبغ رعايته على جماعتى رهبان الاسبتارية والداوية- خاصة بعد فشل محاولته إنشاء جماعة رهبان فرسان إسبانية - تمثلت فى منحهم الكثير من القلاع الواقعة على الحدود، فبعد استيلائه على سرقسطه ١١١٨م/ ٥١٢هـ(٢). منح الاسبتارية أملاكا عديدة بها، كما منح فرسان الداوية أملاكا فى تطيلة(٣)، مع امتيازات أخرى من مناطق مختلفة(٤).

وكان قد أوصى قبل وفاته ١١٣١ وقت حصاره لمدينة بيونه(٥) بحكم تقواه وإيمانه العميق وتحمسه لجماعتى رهبان الاسبتارية والداوية لعدم إنجابه بتقسيم مملكته إلى ثلاثة أقسام الأول يخص السلام وروح أبويه وتكفيرا عن زلاته لصالح القبر المقدس والقائمين عليه والقسم

---

(١) Zurita, Op Cit, P. 150, CF. Also: Macky, A, Spain in the Middle Ages, New york, 1977; P. 42. Ledesma, Op. Cit., P. 30.

(٢) يصف الإدريس سرقسطه بقوله (قاعدة من قواعد مدن الأندلس كبيرة القطر أهلة ممتدة الأطناب واسعة الشوارع والطرقات، حسنة الديار والمساكن متصلة الجنات والبساتين ولها سور مبنى من الحجارة حصين هى على ضفة النهر الكبير المسمى إبرة وهو نهر كبير يأتى بعضه من بلاد الروم وبعضه من جهة جبال قلعة أيوب وبضعه من نواحى قلهرة فتجتمع موارد هذه الأنهار كلها فوق مدينة تطيله ثم تنصب إلى مدينة سرقسطه.. وسميت بالمدينة البيضاء كثرة خصبها.. "الادريسى: نفس المصدر السابق، ص١٩٠: الحميرى، المصدر السابق، ص٩٦-٩٨، ولمزيد من التفاصيل عنها انظر: السيد عبد العزيز سالم المرجع السابق، ص٨٣-٨٧ . أما عن سقوطها، انظر بحث لاكار.

Lacarra, La Conquista de Zaragoza.

(٣) تطيله Tudela إحدى مدن أرجون تقع على وادى أبرة على بعد ٧٨ك شمال غرب سرقسطه وكانت فى العهد الإسلامى من مدن الثغر الأعلى وقد بناها الأمير الحكم الريضى، ثم اتخذها الخليفة عبد الرحمن الناصر قاعدة لإحدى حملاته فى شمال أسبانيا ٣٢٨هـ/ ٩٢٠م ولقد تكرر استيلاء المسيحيين على هذه المدينة ولكن المسلمين كانوا يتمكنون من استردادها ثانية ولم يذكر تاريخ سقوطها النهائى. هامش ٣، ص٩٩، من تاريخ الأندلس لابن الكردبوسى، ولمزيد من التفاصيل انظر الحميرى، المصدر السابق، ص٦٤ .

(٤) Zurita, Op Cit, P. 151, CF. Also: Lacarra, Alfonso El Batallador, P. 100; Valdeavellano, L., G. Historia de Espana de, de los origenes a la baja Edad Media, segunda parte, Madrid 1973. P. 563; Ledesma, Op. Cit, PP. 26-27.

(٥) يشير ياقوت الحموى إلى مدينة بيونه بقوله "مدينة فى بلاد الروم على ساحل البحر وهى بالقرب من مدينة طردة" الحميرى المصدر السابق، ص٦١ والواقع أن هذه المدينة تقع على المحيط الأطلنطى على خليج بسكاية وهى فى شمال مملكة نافار وتقع الآن داخل الجدود الفرنسية.

الثاني للفقراء وفرسان الاسبتارية ببيت المقدس والثالث لفرسان الداوية باعتبارهم حماة المسيحية فى بيت المقدس[١] . وأقرها قبل وفاته فى موقعة افراغة (١١٣٤م، ٥٢٨هـ)[٢].

وجدير بالذكر أن أمر هذه الوصية يثير كثيراً من الجدل والتساؤل وأن كان يوضح لنا مدى ما كان للجماعتين من نفوذ وسلطان على الملك ألفرنسو المحارب . حقيقة أن هاتين الجماعتين كانتا تجمعان بين الرهبنة والعسكرية والحماسة الشديدة بهدف واحد وهو قتال المسلمين وليس تولى سلطات سياسية عليا خاصة وأنهما كانتا فى بداية النشأة والتكوين ولم يتطور فكرهما السياسى آنذاك - كما سيحدث فيما بعد- ويرى الباحث أن هذه الوصية بعيدة عن الواقع العملى، وأن ما كان يهدف إليه الملك الفونسو المحارب هو تقديم امتيازات وهبات من مملكته لجماعات الرهبان الفرسان خاصة وإن هذه الجماعات لم يكن دورها الواضح فى الحرب ضد

---

(١) يذكر فى وصيته ما نصه "فانى أترك خلافتى ووراثتى إلى القبر المقدس للسيد وإلى الذين على حراسته ورعايته هناك وأيضا إلى الذين يخدمون الله فى مستشفى الفقراء أيضا والذين فى بيت المقدس وإلى المعبد مع فرسانه والذين يقطنونه من أجل الدفاع عن المسيحية ولهؤلاء الثلاثة الممنوحين أترك كل مملكتى وأمر كل من فى أراضى مملكتى من الفرسان والنبلاء ورجال الدين والعامة واليهود والعرب وجميع من فى مملكتى بتنفيذ هذا الأمر... إلخ " انظر الوثيقة كاملة فى :

Documentos Historia de Espana, Vol. 1 (sld) PP. 165-167.

وانظر أيضا الوثيقة فى

Document, N4, PP. 485-487 en Ei Jan. S, Relacions mutuas de Espana Y tierra santa, Santiago.

وانظر أيضا:

Cronica de la corona de Aragon, P. 19; Zurita, Op Cit, PP. 199-202; CF. Also: Callaghan, J.E., A history of medieval spai, London 1975, P. 222; Ledesma, Op Cit, PP. 31-32; Fory,Op Cit, P. 17.

اشباخ، المرجع السابق، جـ١، ص. ١٧٥

ويقصد بجماعة القبر المقدس Order of the Holy Sepulcher هيئة من الرهبان جعلوا واجبهم الأول حراسة قبر السيد المسيح ولم تصبح هذه الهيئة عسكرية لها نشاط حربى إلا فى القرن الخامس عشر.

انظر: نبيلة مقامى، المرجع السابق، ص. ٢١

(٢) يصف الحميرى افراغه بقوله" مدينة بقرب لاردة من الأندلس بينهما ثمانية عشر ميلا وهى على نهر الزيتون حسنة البناء لها حصن منيع لا يرام، وبساتين كثيرة لا نظير لها" وتقع افراغه إلى الشمال الشرقي قليلا من مدينة سرقسطة، انظر ص٢٤ .

المسلمين قد بدأ بعد فضلاً عن أن الشعب الأرجونى كان لا يمكن أن يقبل تفتيت مملكته وتوريثها لهيئات عناصرها أجنبية . ولم يكن هذا بأى حال من الأحوال يغيب عن ذهن الملك ألفونسو المحارب.

ولعل تتابع الأحداث بعد ذلك يوضح هذا الأمر، فما أن علم الأراجونيون بأمر تلك الوصية - التى لو نفذت ستفتت مملكتهم - حتى رفضوا تنفيذها وولوا عليهم راميرو الراهب أخا الملك ألفونسو المحارب، غير أن جماعات الرهبان والفرسان لم تتوان عن الإلحاح والإصرار بالمطالبة بتنفيذ وصية الملك ألفونسو المحارب . ووصل الأمر إلى أن عرضوا مشكلتهم على البابا انوسنت الثانى والذى أرسل الكاردينال هيوGuido de san cosme فى عام ١١٣٦م/ ٥٣٠هـ لكى يحل هذه المشكلة[١] . ولكنه لم ينجح فى التوصل إلى حل سريع مع الملك راميرو الذى سرعان ما سئم الحكم وزهد فيه، وقرر تزويج ابنته بترونيلا Petronila وريثته من ريموندبرنجير الرابع كونت برشلونه ومن ثم اتحدت مملكة أرجون مع كونتية برشلونة (إمارة كتالونيا) عام ١١٣٧م/ ٥٣١هـ[٢].

وأيا ما كان الأمر فقد كان أول مهام ريموند برنجير الرابع إصلاح وصية الملك الفونسو المحارب، وبعد اتصالات تمت بينه وبين البابا وفق فى اقناع البابوية بضرر تنفيذ الوصية، وأسفرت المفاوضات عن عقد اتفاقية بين رئيس جماعة الاسبتارية وريموند برنجير الرابع عام ١١٤م/ ٥٣٤هـ، نصت على ما يلى:

أولا: منح الاسبتارية أملاكا فى وشقة Huesca[٣] بربشتر Barbastro [٤]

---

(١) Ledesma, Op Cit, P. 34; Martin, Op Cit, P. 361; Valdeavellano, Op Cit, P. 438; Fernandez, Op. Cit, PP. 378-380.

(٢) Zurita, Op Cit, PP. 193-194; Cronica de la corona de Aragon, P. 29.
اشباخ، المرجع السابق، جـ١، ص١٧٦ .

(٣) يصفها الحميرى بقوله "مدينة بالأندلس لها سوران من حجر بينها وبين سرقسطة خمسون (ميلا) ووشقة مدينة حسنة لها أسواق عامرة وصنائع قائمة وأحوازها تتصل بأحواز بريطانية ووشقة بشرقى مدينة تطيلة وهى مدينة كبيرة أولية قديمة، رائعة البنيان "المصدر السابق، ص١٩٤-١٩٥ .

(٤) مدينة حصينة على بعد ٦٠كم شمالى سرقسطة وتقع على أحد فروع نهر الإبرو بين مدينتى لاردة وسرقسطة عمودى الثغر الأعلى، وهى مدينة ومراكز إدارى فى مديرية وشقة وقد تعرضت بربشتر لمحنة دامية عندما استولى عليها الصليبيون ٤٥٦هـ/ ١٠٦٤م وقتلوا أهلها وسبوا نساءها ونهبوها نهبا ذريعا" هامش ٦، ص٧٢ فى تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ولمزيد من التفاصيل عن جغرافيتها انظر الحميرى، المصدر السابق ص٣٩-٤١ ولمزيد من التفاصيل عن الحملة الصليبية الموجهة إليها انظر: =

وسرقسطه Zaragoza ودروقة Doroca [١]، وقلعة أيوب Calatayud[٢] .بالإضافة إلى بعض الامتيازات والهبات الأخرى [٣].

ثانيا: بالنسبة لجماعة القبر المقدس فقد أرسل ريموند برنجير الرابع رسالة إلى جالرمو (غليوم) Guillermo بطريرك بيت المقدس يعرض عليه تعويضه بكثير من المزايا والمنح[٤].

فرد عليه بخطاب يعلن موافقته على ما عرضه عليه والاستجابة لتأسيس دير للقبر المقدس فى قلعة أيوب وفى مراكز متفرقة فى أقاليم أرجون وكتالونيا. كما منح بطريرك بيت المقدس ريموند برنجير لقب فارس القبر المقدس[٥].

ثالثا: بالنسبة للداوية فإنه اتفق على منحهم قلعة منتشون Manzon[٦]. فى إقليم أرجون وقلعة مونجاى Mongay وباربيرا Barbera ورموليتز Remolinos ووعد بمنح امتيازات لهم ولحلفائهم فى قلعة قوربينز Corbins مع العشر من إيراد واحتكارات أراضى مملكته وبعض الامتيازات الأخرى[٧].

=

David, P. Etudes Historiques sur la Galica et le Portugal de viau XII siecle, Paris 1947, P. Ledesma, Op. Cit, P. 28. 371-

(١) مدينة بالأندلس من عمل قلعة أيوب عظيمة فى سفح جبل وعلى مقربة منها كنيسة أبرونية..... وبين دروقة وقلعة أيوب ثمانية عشر ميلا) الحميرى، ص٧٦ .

(٢) مدينة فى ولاية سرقسطة، كان اسمها القديم لبلة ثم أعاد بناها والى الأندلس العربى أيوب بن حبيب اللخمى (٩٧هـ) فسميت باسمه وقد اشتهرت هذه المدينة بصناعة الفخار المذهب الذى كان يصدر إلى جميع الجهات) هامش٨، ص١١١ تاريخ الأندلس لابن الكرديوس وراجع أيضا الحميرى، المصدر السابق، ص١٦٣ .

(٣) Cronica de la corona de Aragon, PP. 30-31; Zurita, Op Cit, PP. 199-200; CF. Also: Eijan, Op. Cit, P. 126.

(٤) Eijan , Op . cit , p. 125 .

(٥) Documento N5 en Eijan, Op. Cit, PP. 487-488.; Cronica de la corona de Aragon, P. 31; Zurita, Op Cit, Loc cit.

(٦) قلعة منتشون تقع فى الثغر الأعلى على مسافة قصيرة جنوبى بربشتر.

(٧) Cronica de la corona de Aragon, P. 315; Zurita, Op Cit, P. 201CF. Also: Ledesma, Op. Cit, P. 34.

ومنذ ذلك الحين بدأ دور جماعتى الداوية والاسبتارية يتضح فى مشاركة مملكة أرجون فى حروبها ضد مسلمى الأندلس وكذلك فى الدفاع عن حدود المملكة الجنوبية وفى الوقت نفسه عهد اليهم بحراسة معظم الحصون والقلاع التى فتحت مؤخرا(١) .

وبدأت تلك الجماعات تحتل مكانة عظيمة فى شرق إسبانيا المسيحية وإن كانت جماعة الاسبتارية لم تصل إلى قوة وأهمية جماعة الداوية فى مملكة أرجون حيث كان للجماعة الأخيرة دوراً أكبر فى مقاتلة المسلمين ودفعهم جنوبا وأسسوا مراكز عديدة على خط نهر وادى إبرو Ebro عن طريق توسع حركة الاسترداد داخل الأراضى الإسلامية وهبات ملوك إسبانيا المسيحية لهم(٢).

أما عن امتداد نشاط جماعتى الداوية والإسبتارية إلى مملكة قشتالة - ليون فيشوبه الغموض . ذلك أن النصوص التاريخية لم تسعفنا بأخبار عن هذا النشاط أو تأسيس مراكز لهم من خلال المنح . ويفسر ذلك أن تلك المملكة سعت إلى تأسيس جماعات رهبان فرسان أسبانية وهو ما تحقق من تأسيس جماعات رهبان فرسان قلعة رباح وجماعة القنطرة وجماعة القديس شانت ياقب(٣).

على أية حال فقد انتقل نشاط الاسبتارية والداوية إلى غرب إسبانيا المسيحية بعد أن وضح تماماً مدى ما تقدمه هاتان الجماعتان من خدمات للممالك الإسبانية فى صراعها ضد مسلمي الأندلسى وحفظ مناطق الحدود التى تتعرض لهجمات المسلمين . ونستفيد مما ورد فى المصادر أن أول إشارة إلى دخول فرسان الداوية والإسبتارية إلى البرتغال ترجع إلى أواخر

---

(1) Ledesma, Op. Cit, P. 39.

أشباخ، المرجع السابق، جـ٢، ص١٣ .

(2) Forey, Op Cit, P. 15; Lozoya, M, Historia de Espana, T2, Barcelona 1977; P. 15; Ledesma, Op Cit, Loc cit, Valdeavellano, op Cit, P. 563; Tout, Op Cit, P. 27.

(٣) (سنتعرض لجماعات الرهبان الفرسان الإسبانية فى بحث مستقل.)

عهــد دونيا تريزا [١] ، فقد فرضت ظروف الكونتية فى ذلك الوقت حاجتها لهاتين الجماعتين ، فقد تعرضت لهجمات المرابطين المتعددة على حدودها الجنوبية كانت أخطرها غزوة على بن يوسف أمير المرابطين عام ١١١٧م/٥١١هـ ضد مدينة قلمرية ولم يستطيع الاستيلاء عليها لمناعة تحصيناتها وتحصن دونيا تريزا بداخلها [٢] ، وكان مدلول هذه الحملة خطيراً فقد هددت كونتية البرتغال تهديداً عظيماً الأمر الذى جعل دونيا تريزا تفكر فى ضرورة تقوية وتحصين قلاع الحدود وإقامة عدة قلاع أخرى أمامية فى المناطق الاستراتيجية المتقدمة على الحدود وتزويدها بفرق من الجنود وحاميات قوية . بيد أن هذه القلاع والحصون كثيراً ما تتعرض للهجمات الخاطفة التى يشنها المسلمون ويقضون خلالها على الحاميات وبذلك وضح احتياج دونيا تريزا إلى نظام جديد يضمن حفظ مناطق الحدود من هجمات المسلمين بعد أن تعقدت الأوضاع السياسية فى أواخر عهدها بسبب انشغالها بحبها للنبيل الجليقى فرديناند

---

(١) دونيا تريزا هى ابنة غير شرعية للملك ألفونسو السادس تزوجت من الكونت هنرى البورجونى فى عام ١٠٩٤م فمنحها أبوها كونتية البرتغال كدوطة للزواج وظلت تشارك زوجها فى الحكم حتى وفاته عام ١١١٢م/٥٠٥هـ وتولت الحكم وصية على ابنها الصغير ألفونسو هنريكز . وسارت على نفس سياسة زوجها واستطاعت أن تقود الكونتية باقتدار إلى أن انغمست فى علاقة غير شرعية مع أحد النبلاء الجلالقة وهو فرديناند بيريز ، مما أدى إلى سخط البرتغاليين وخاصة بعد ازدياد نفوذ الجلالقة مما دفعهم إلى الالتفاف حول ابنها الذى استطاع الاستيلاء على الحكم بالقوة ، وانتصر على أمه فى موقعة ساومامدى Sao Mamade عام ١١٢٨م/٥٢٢هـ ولمزيد من التفاصيل انظر محمد النشار ، المرجع السابق ، ص ٤٤-٦٠ .

(٢) لمزيد من التفاصيل انظر ما يلى :

ابن عذارى : البيان المغرب فى اخبار الأندلس والمغرب ، جـ٢ تحقيق ليفى بروفنسال ، بيروت . ١٩٨٠ ص ٦٤ بجانب المصادر البرتغالية .

Chronicon Luistano ،E.S. ،T14 ،Madrid 1905 ،P. 407; Chronicon conimbriecense، E.S. ،T23،Madrid 1850،P.331; Recension breve continuee jusque،A.P. ،R.P.H. ،T3،Coimbra 1974،P. 108; Paez ،V.A ،Principios del Reyno de portugal ،Barcelona، 1644 ، PP.94-95; CF. Also : Huici ،M. Ali B. Yusuf Y Sus Empersas en el Andalus ،Seperata de Tamuda ano VII ،Semestres 1-11 ،Tetuan 1595 ،P. Bosch V.J،Los Almoravides، Tetuan1956 ،PP.190-192.

بيريز [١] وفي الوقت نفسه كانت تواجه ضغوطاً يمارسها عليها ألفونسو السابع ملك قشتالة من أجل اعترافها بسيادته على كونتيتها فضلاً عن كثرة ظهور حركات التمرد داخل البرتغال والتفاف النبلاء البرتغاليين ورجال الدين حول ابنها الأمير ألفونسو هنريكز . كل ذلك جعلها في خوف دائم من غارات المرابطين الذين كانوا ينتهزون فرصة هذه الاضطرابات لمهاجمة كونتيتها ، فكان ظهور جماعات رهبان فرسان الداوية في شرق إسبانيا المسيحية وتأسيس مراكز لهم هناك حافزاً لدونيا تريزا لكي تستعين بهم ضد مسلمي الأندلس .

وجدير بالذكر أن المصادر والمدونات البرتغالية تحدد تاريخ دخول جماعة رهبان فرسان الداوية البرتغال في عام ١١٢٦م/ ٥٢٠هـ حيث قدم إلى البرتغال جالدين وارنولد دي روشا Galdim، Arnuld de Rocha[٢] ومعهما عدد من فرسان الداوية حيث منحتهم دونيا تريزا بعض الأملاك في وادي فريرا Vila de Ferreira [٣] وذلك في شهر يونيو ١١٢٦م/رجب ٥٢٠هـ [٤] وفي العام نفسه أسست عدة قلاع أهمها قلعة طمان Tomar [٥] ووطنت جماعة

---

(١) هو ابن الكونت بدرودي ترابا الوصي على الأمير ألفونسو ريمونديز (السابع) ابن الملكة اوراكا الذي ساعد دونيا تريزا في تحصين قلمرية والتحصن بداخلها عندما حاصرها الأمير على بن يوسف ١١١٧م/٥٢١هـ ثم قامت بينهما علاقة غرامية غير شرعية أدت إلى سخط نبلاء البرتغال ورجال الدين فأدت إلى كثير من المشاكل . انظر :

Sandoval ،F.P. ،Historia de los Reyes de castilla Y de leon ،pampelona 1634، P.130;Basto، A.M. Cronica de cinco Reis de Portugal ، Vol 1 PORTO(N.D) ، P.53;Brandao، Op Cit،P. 156 ،CF. also : Nowel ،C.E. ،Portugal London 1973 ،P.26

محمد النشار : المرجع السابق ، ص ٥٣ .

(٢) كان جالدين سيد جماعة فرسان الداوية في البرتغال أول من أسس أملاكها وباشر تنظمها ونشاطها في البرتغال .

Brando, Op Cit, PP. 190-191.

(٣) منطقة تقع بالقرب من قلعة سوري التي تقع بدورها على خط الحدود مع المسلمين إلى الشمال من مدينة شنترين .

(٤) Brandao, Op Cit, Loc Cit.

(٥) قلعة طمان Tomar تقع إلى الجنوب الشرقي من قلعة ليريا وإلى الشمال الشرقي من مدينة شنترين. ويرجع الفضل في تأسيسها إلى دونيا تريزا في أغسطس عام ١١٢٦م وطمان تحتوي على سهل خصب من الأراضي وكان السدس من الأنتاج الزراعي لهذا الوادي يمنح للسيد المشهور سيد جماعة الداوية جالدين بابيز وهي تقع على حافة هضبة عالية وتأخذ أسمها طمان من النهر الذي يجري في واديها .

Inchbold, A.C. : Lisboa E, CintraLondon 1907, P.138.

الداوية من تلك القلعة بجانب عدة مراكز متفرقة على خط الحدود [١] ، وفى عام ١١٢٨م/٥٢٢هـ منحت دونيا تريزا قلعة سورى Soure [٢] إلى جماعة الداوية ومعها أيضا قلعة بومبال Pombal [٣] ومراكز أخرى على منطقة الحدود نفسها[٤] لمراقبة وتتبع نشاط المسلمين وتحركاتهم [٥] .

أما عن دخول جماعة الإسبتارية البرتغال [٦]، فى أواخر عهد دونيا تريزا عام ١١٢٨م/٥٢٢هـ فقد منحتهم هبات فى مدينة ليزا Leca [٧] كما منحتهم عدة امتيازات مع امتيازات فى مناطق أخرى على خط الحدود مع المسلمين [٨] وتتابع وفود مجموعات عديدة

---

(١) Brandao, Op Cit, PP. 189-191, CF. also : Benevides,F.E.Rainhas de Portugal, T1, Liboa 1878, P. 74; Stephens, H.M. Portugal, London 1981 P.43.

(٢) قلعة سورى Soure أقيمت خصيصاً كمركز دفاعي متقدم لمدينة قلمرية عاصمة الأقليم وسوف تتعرض لهجمات المسلمين كما سنرى . ويرجع تاريخ الوثيقة التى سجلت منحها لهذه القلعة إلى ١٩ مارس ١١٢٨م وفى نهاية الوثيقة سجلت توقيعات كل من فرديناند بيريز ودونيا تريزا وسيد جماعة الداوية
Benevides, Op Cit, PP. 77-78

(٣) تقع فى منتصف الطريق بين قلعة قلمرية وقلعة ليريا وهى مازالت قائمة حتى اليوم .

(٤) Brandao, Op Cit, P. 191-192; CF. also : Benevides, Op Cit, P. 74; Stephens, Op Cit, P. 32.

(٥) Livermore, H.A new history of portuga, Cambridge, 1976, P. 62; Payne, S.G., A history of spain portugal, Wisconsin press 1943, P. 119.

(٦) دخلت البرتغال عن طريق مملكة قشتالة إذ أن أول هبة صدرت عن طريق ألفونسو السابع لجماعة الاسبتارية ترجع إلى عام ١١٢٦م .
Dailliez, L.Lorde de Saint Jean de Jerusatem au portugal XI-XV Siecles, Paris 1977. P. 22.

(٧) تقع ليزا إلى الجنوب الشرقى من مدينة قلمرية فى منتصف الطريق إلى مدينة شنترين .

(٨) Brandao, Op. cit, p. 191-192 ; CF . also : Banevides, Op. cit, p. 74 ; Stephens, Op. cit, p. 32 .

وهناك بحث مستقل عن تاريخ دخول فرسان الاسبتارية للبرتغال ويذكر دابيز فيه " أنه لمن الصعوبة تحديد مصدر أول هبة للاسبتارية فى كونتية البرتغال ، فإن كثيرون يفكرون بأن هذه الهبات كان مصدرها دون هنرى البورجونى وآخرون يقولون أن مصدرها أرملته كونتية تريزا وآخرون يزعمون أنه=

من فرسان الداوية والاسبتارية إلى البرتغال للدخول في خدمة دونيا تريزا حيث كانت سخية معهم للغاية بهذه المنح والامتيازات الأخرى العديدة [١] وكان ذلك بمثابة البداية في توسيع نشاطهم واسهاماتهم في رد هجمات المسلمين من جانب وغزو أراضيهم من جانب آخر .

وعندما تولى الأمير ألفونسو هنريكز حكم كونتية البرتغال سار على نهج والدته في الاهتمام بجماعات الرهبان الفرسان واعتمد عليهم في مراقبة تحركات مسلمي الأندلس وصد غاراتهم في حين تفرغ لمعالجة المشكلات السياسية على حدوده الشمالية مع الإمبراطور ألفونسو السابع [٢] فأقر ما تنازلت عنه والدته لجماعات الرهبان الفرسان من إقطاعيات وأطلق أيديهم فيها وزاد عليها . ويتضح ذلك من منحهم كل السهول المحيطة بقلعة سوري Soure التي كانت هدفا لغارات المسلمين[٣]. وفي الوقت نفسه اعتمد عليهم في تعمير تلك المناطق [٤] وشجعهم على التوطن في المنطقة الثغرية وذلك بتأكيده على منحهم هذه الامتيازات من خلال اتفاقية عقدها معهم ١١٣٢م/٥٢٦هـ [٥].

وهكذا تفرغت جماعتا الاسبتارية والداوية لصد غارات مسلمي الاندلس بل وأيضا شن الغارات على المسلمين من قواعدهم في سوري وطمان ، وكان ألفونسو هنريكز يمدهم بكل مساعدة ممكنة لمساندتهم ولهذا أسس قلعة ليريا Leiria [٦] عام ١١٣٥م/ ٥٣٠هـ [٧].

= دون ألفونسو هنريكز ومن المستبعد أن يكون هنري أول من منح الجماعة لأنه توفي في استورقة (استرقة) ١١١٢م إذا فإن هبة ليزا ترجع إلى دونيا تريزا فقط.

Dailliez.Op CitLoc Cit.

(١) Stephens,Op cit, P. 48.

(٢) يمكن الرجوع لتفاصيل تلك العلاقة في الفصل الخاص بسياسة ألفونسو هنريكز الاستقلالية ضد الإمبراطور ألفونسو السابع ملك قشتالة ، محمد النشار ، المرجع السابق، ص ٦٧-٨٦ .

(٣) Herculano ،OP Cit ،P 20; Callaghan J.E. A history of Medieval Spain ،London 1975،p. 228.

(٤) Sousa, A.S., Historia de portugal, Barcelona 1929 , pp. 24-25 .

(٥) Dailliez , Op . cit , Loc cit .

(٦) تقع ليريا إلى الجنوب الغربي من قلمرية وفي منتصف الطريق إلى شنترين وقاعدة أمامية لحراسة الطريق إلى قلمرية ومازالت حتى اليوم مدينة كبيرة وقريبة من ساحل المحيط وكانت تعتبر من أهم وأقوى القلاع البرتغالية آنذاك .

(٧) Cronica dos Godos, P268; Chronicon Lusitano, E.S.,Tl 4, P 409; Brandao, Op Cit, =

ولقد كان لهذه السياسة الدفاعية أعظم الأثر فى الحد من نشاط المسلمين فى غرب الأندلس ، الذين لم ييأسوا وأعدوا عدتهم فى عام ١١٣٧م/ ٥٣١هـ لاختراق حدود كونتية البرتغال وهاجموا قلعة طمان Tomar وقتلوا من وجدوا بها من الداوية ثم خربوها (١) وهدموا كل من ماقابلوه فى طريقهم من عمران وبذلك أوقفوا إلى حين خطر جماعات فرسان الداوية ، ولم يتخذ الأمير ألفونسو هنريكز موقفاً ايجابياً إزاء ما فعله المسلمون بقلعة طمان لكثرة انشغاله بالحروب على الحدود الشمالية لكونتيته فآثر التمهل حتى يعيد تحصين مناطق الحدود من جديد ، ثم قام فى عام ١١٣٩م/٥٣٣هـ باختراق الاراضى الإسلامية ونجح فى التغلب على المسلمين فى معركة أوريك Ourique (٢) (٢٥ يوليو ١١٣٩م/ ذى الحجة ٥٣٣هـ).

= P..240; CF.also: Walter, M.B. Aifonso I, Von Portugal, Zurich 1966, PP. 28-29; Ballesteros Y Beretta Historia de Espana Y su influencia en la historia , Universal, T2, Barcelona 1944; Stephens, Op Cit, P. 43.

(١) Cronica dos Godos, P268; Chronicon Lusitano, P.499; Brandao; A, Monarquia Lusitana, parte 3,Lisboa 1973,P.10.

(٢) معركة أوريك من أهم الأحداث التاريخية للبرتغال وإذ كانت فى رأى المؤرخين القدامى سبباً فى استقلال مملكة البرتغال ، فقد أفاضت المدونات والمصادر البرتغالية فى سردها وإلحاق الكثير من الأساطير والخرافات بها وترتب على ذلك زيادة الاهتمام بها فتعددت الدراسات التاريخية عنها وتختلف هذه المصادر فى تحديد مكان المعركة واقتصرت على أنها دارت فى أراضى الانتخو وقد استعرضنا الآراء جميعها وتوصلنا إلى أن موقعها إلى الشمال قليلاً من مدينة شنترين . أنظر محمد النشار ، المرجع السابق ، ص ١٢٤-١٣٠ ، وانظر مصادرها فى :

Cronica dos Godos ، P. 268; Chronicon Lusitano P. 409; Chronicon Conimbricense P. 331; Duarte ،chronica del Rei D. Alfonso Henriques ،porto 1975 ،P.60; Galvao D. chronica del Rei D. Alfonso Henriques ،Lisboa 1906، PP.61-62; Silva G.T. ،cronicas dos sete primeiros Reis de Portugal ،Vol. 1 ،Lisboa 1952 ،PP.36-37; CF. also ،Oliveira ،P.M. Ourrique em Espanha ،Lisboa 1941 ،PP. 16-17.

وتوالت ردود فعل المسلمين لهزيمتهم فى أوريك حيث قاموا فى العام التالى ١١٤٠م/٥٣٤هـ بحملة ضد الحدود الجنوبية للبرتغال واستطاعوا اقتحامها وتوغلوا فيها حتى حاصروا قلعة ليريا وهدموها مع بعض القلاع الأخرى [١] ونستنتج من هذه الحملة أنها كانت تهدف إلى الإغارة على جماعات الرهبان الفرسان الذين يقطنون فى تلك الجهات وعلى الرغم من ذلك فإن هذه الغزوة لم تضع حداً لنشاط جماعات الرهبان الفرسان الاسبتارية والداوية إذ سرعان ما كرسوا جهودهم لتعمير القلاع التى تهدمت وأعادوا تحصين خط الحدود مع المسلمين [٢] .

وجدير بالذكر أن نشاط جماعات الرهبان الفرسان كان بالغ الخطر مع مسلمى الأندلس ، لذلك تشير المصادر إلى أن الأمير أبو زكريا والى شنترين [٣] قام بإعداد حملة ضخمة عبر بها الحدود فى عام ١١٤٤م ٥٣٩هـ واتجه مباشرة إلى المركز الرئيسى لجماعة الداوية التى تمثله قلعة سورى وحاصرها وتحصن بداخلها فرسان هذه الجماعة ولكنه استطاع اقتحام القلعة وقتل عدداً كبيراً منهم وفر الباقون فى الوقت الذى سارع فيه الملك ألفونسو هنريكز بإعداد نجدة سريعة لهم ولكنها وصلت بعد فوات الأوان إذ كان جزء كبير من القلعة قد دمر [٤] .

---

(١) Cronica dos Godos ،P 269; chronicon Lusitano, PP. 410-411 ; Galvao ،Op Cid، P .92; Silva ،Op Cit ،P. 51; Brandao ،Mon..Lus...، P. 135; Paez ،Op Cit ،P. 105; CF. also : Herculano ،Op Cit ،P. 41; Ballesteros، Op Cit ،PP. 384-385 .

(٢) وأهم القلاع التى أسست آنذاك جيرمانيلو . Germanelo

Cronica dos Godos ،PP. 269-270; Chronicon Lusitano ،P. 412 CF. also : Livermore ،A new history of Portugal ،P. 54.

(٣) أبو زكريا (Auizary) Auzechri والى مدينة شنترين كما أشارت المدونات والمصادر البرتغالية وكان من أعظم قادة المسلمين المحاربين .

Galvao Op Cit ،p. 108; Brandao ،Mon Lus .. ،PP. 152-153;CF. also : Stephens، Op Cit ،p. 49.

وهناك من يرى الربط بينه وبين أزمير اسمار (Esmar) قائد جيوش المسلمين فى معركة أوريك ولمزيد من التفاصيل أنظر محمد النشار ، المرجع السابق ، ص ١٢٧-١٢٩ .

(٤) Brandao , Op. cit , Loc , Stephens, Op. cit, p. 49 .

ومن الملاحظ أن اشتراك جماعات الرهبان الفرسان الداوية والاسبتارية منذ دخولهم البرتغال اقتصر فى المرحلة الأولى على حماية الحدود والإغارة على أراضى المسلمين ، إلا أنه حدث بعد ذلك تحول هام فقد اشتركت مجموعة منهم فى جيش البرتغال فى حملة على مدينة شنترين(١) وكان ألفونسو هنريكز قد وضع خطته الحربية للتغلب على مناعة أسوار المدينة وشدة تحصيناتها فأرسل احدى الفرق أوائل عام ١١٤٧م/٥٤١هـ بقيادة أحد فرسانه ويدعى ميم راميرز Mem Ramirs (٢) الذى اصطحب معه مائتين وخمسين من أفضل الفرسان معظمهم من جماعة فرسان الداوية من أجل استطلاع أحوال المدينة وحصونها وأسهل الطرق للاستيلاء عليها (٣) . ثم اتبعها بإحكام الحصار عليها وتمكن من الاستيلاء عليها فى ١٥ مارس ١١٤٧م (شوال ٥٤١ هـ) ومن الملاحظ أن جماعتى الداوية والاسبتارية (٤)

---

(١) Dailliez , Op . cit, pp. 23-24 ; Livermore , Portugal, p. 42 .

أما عن شنترين فقد ذكر الادريسى أنها تقع على جبل عال كثير العلو جداولها من جهة القبلة حافة عظيمة ولا سور لها، وبأسفلها ربض على طول النهر وشرب أهلها من مياه عيون ومن ماء النهر أيضا ولها بساتين كثيرة وفواكه عامة ومباقل وخير شامل "الادريسى ، المصدر السابق ، ص ١٨٦ وقد وصف بن خاقان مناعتها بقوله " فأخبرنى بأنه سايره إلى شنترين قاصية أرض الإسلام السامية الذرى والأعلام التى لا يروعها صرف ولا يقرعها طرف ، لأنها متوعرة المراقص معفرة للراقى ، متمكنة الرواسى ، والقواعد ، من ضفة نهر استدار بها استدارة القلب بالساعد ، قد أطلت على خمائلها أطلال العروسى من منصتها واقتطعت فى الجو أكثر حصتها " ابن خاقان ، قلائد العقيان ، مصر ١٢٨٣هـ ، ص ٤٣-٤٤ ، ولمزيد من التفاصيل انظر وصفها فى المؤلفات التالية : الحميرى المصدر السابق ، ص ١١٣ : أبو الفدا ، تقويم البلدان ، باريس . ١٨٩٠ م ص ١٧٢-١٧٣ القزوينى ، آثار البلاد وأخبار العباد ، بيروت ١٩٧٩ ، ص ٥٤٢ : ابن غالب ، فرحة الأنفس فى تاريخ الأندلس ، القاهرة ١٩٥٦ ، ص ٣٢ : الاصطخرى ، المسالك والممالك ، القاهرة ١٩٦٦ ، ص ٣٥ .

(٢) انظر احداث تلك الحملة والتعريف بهذا القائد فى محمد النشار، المرجع السابق، ص ١٤٢-١٤٣ .

(٣) Galvao ،Op Cit ،Loc Cit; Duarte ،Op Cit ،P. 65; CF.also : Serrao ،Op Cit ،P.49; Stephens ،Op Cit ،P. 49.

(٤) Cronica dos Godos ،PP. 270-271; Galvao ،Op Cit ،PP. 105-107; Brandao ،Op Cit، PP. 163-164; CF. also : Herculano ،Op Cit ،P. 72; Serrao ،Op Cit ،P. 95; Suarez Op Cit ،P. 232; Stephens ،Op Cit ،Loc Cit.

قامتا بدور فعال فى ذلك الحصار ، وكانت مهمتهم الأساسية صعود الأسوار ومهاجمة حامية المدينة ، ونتيجة لما قدموه من خدمات جليلة إلى الملك ألفونسو منح جماعة الداوية كل ما يتعلق بكنيسة شنترين ويشير إلى ذلك فى مرسومه بقوله :

" أنا ألفونسو ملك البرتغال بفضل الله بدأت
رحلتى إلى القلعة المدعوة شنترين واننى نذرت
أن منحها الله لى برحمته
سأهب كل ما يتعلق بكنيستها إلى
أخوة جماعة معبد سليمان (الداوية) والتى
تأسست فى بيت المقدس لأجل الدفاع عن القبر
المقدس ، ولمن ينوب عنهم فى مملكتى " (١)

ولا شك فى أن الملك ألفونسو هنريكز عندما أصدر هذا المرسوم كان بعيد النظر لأنه أراد أن يشجع هذه الجماعة على معاونته مستقبلا وبذل الجهد الوافر خاصة وأنه كان يخطط من أجل الاستيلاء على المدن والقلاع الأندلسية وانتزاعها من أيدى المسلمين (٢) .

وألحق بالمرسوم صفات المنحة وشروطها فقال :

" والآن كما أن السيد منحنى الشرف

انظر التفاصيل : الاستيلاء على شنترين ايضا فى محمد النشار ، المرجع السابق ، ص ١٤٢-١٤٤ .

Documento N2 ،Monumenta Henricine ،Vol 1 ،Coimbra 1960.

انظر ترجمة هذا المرسوم كاملا فى الملحق رقم ١ .

(١) Galvão, Op. cit , Loc cit ; Duarte, op. cit. p . 65 ; CF. also : Serrão , Op . cit , p . 49

Stephens, Op. cit., p. 49 .

(٢) بعد أن استولى ألفونسو على شنترين تمكن من الاستيلاء فى نفس العام على لشبونة وشنترة وحصن المعدن Almeda وبلمالة Palmela واتبعها فى العام التالى بالكثير من القلاع و الحصون =

المذكـــور وحـــقق رغـــبـــتى أنا ألفـــونســـو

الملك المذكـــور اتفق مـع زوجــــتى دونيـــا

مـــافلدا بمنح وثيـقـة كل الكنيـســة القـديمة

ارين Ireneإلى جـمـــاعـة الداوية المذكـورة

يملكونهـــا ولكل خلفـــائهم على الدوام "(١).

ثم حذر الملك ألفونسو فى ذات المرسوم أى شخص من التعرض لعطايا جماعة الفرسان الداوية بقوله :

" ولكن إذا مـــا حـــاول أحـــد اغـــتـــصـــاب

عطايانا هـذه فـــلا يكون مـــبـــاحـــا تحت أى

ســـبب وإذا مـــا أراد أحـــد أن يعـــتـــرض

على ذلك سـيكون مـفـصـولا من اتحاد الكنائس

المقـــدســـة ولا يشـــتـــرك فى حـــسـنات بيت

المقدس"(٢).

وكانت هذه المنحة مشروطة بموافقة أسقف لشبونة عندما يتم الاستيلاء عليها بناء على نصيحة الملك ألفونسو لهم بالاتفاق استنادا على أن رئاسة كنيسة شنترين تخضع لرئاسة كنيسة لشبونة(٣).

P. Cronica dos Godos, P. 271; Chronicon Lusitano, P. 414; Chronicon conimbbricens, =
331.CF.also: Herculano, op. cit , p. 107 .

وذكر كل من ابن الخطيب والسلاوى بأن المسلمين فقدوا فى هذا العام شنترين ولشبونة المرية وطرطوشة ولاردة وافراغه ، ابن الخطيب ، الاحاطة فى أخبار غرناطة ، جـ٤ القاهرة ، ١٩٧٣م ، ص ٣٤٦ السلاوى ، الاستقصاء لاخبار دول المغرب الأقصى ، جـ٢ الدار البيضاء ، ١٩٥٤ ، ص ١٠٥ .

(١) Documento, N2.

(٢) Ibid.

(٣) يرجع تاريخ تنظيم الكنائس فى شبه جزيرة ايبيريا إلى ما قبل استيلاء المسلمين عليها ، ويمقتضى هذا=

أما بالنسبة لجماعة رهبان الاسبتارية فقد منحهم الملك كنيسة سان خوان دى البورا Sao Joao de Alpora فضلا عن كثير من الأملاك الأخرى فى شنترين وفى الضواحى القريبة منهم (١) .

بدأ الملك الفونسو هنريكز بعد الاستيلاء على شنترين يستعد لضم لشبونة (٢) ونجح فى الاستيلاء عليها بعد أن عقد اتفاقا مع الأسطول الصليبى لمساعدته فى حصارها ، ولم تلبث المدينة أن استسلمت بعد حصار دام ١٧ أسبوعا (٣) وكان لجماعتى الداوية والاسبتارية دور كبير فى ذلك ولمكافاتهم منح الملك جماعة الاسبتارية كنيسة سان براز Sao Braz التى تحولت فيما بعد إلى مركز قيادة لهم فى لشبونة (٤) وبعد الاستيلاء على لشبونة وتعيين الأسقف الانجليزى جليبرت رئيسا لأسقفيتها اعترض على مرسوم الفونسو هنريكز بمنح جماعة الداوية كنائس شنترين وأصدر مرسوما بتاريخ ١١٥٩م/ربيع الأول ٥٥٤هـ يذكر فيه :

= التنظيم فإن كنيسة شنترين تخضع لرئاسة كنيسة لشبونة .

(١) Daillez , Op . cit, p. 23 ; CF . also : Livermore , A new history of Portugal, p. 62 .

(٢) وقد لمسنا من خلال زيارتنا لمدينة لشبونة فى أكتوبر ١٩٨٩ موقعها المتميز الحصين على هضبة مرتفعة وتحيط بها تحصينات طبيعية وقد أشار الادريسى وهو معاصر لتلك الفترة بقوله " مدينة لشبونة على شمال النهر المسمى تاجه وهو نهر طليطلة ، وسعته أمامها ستة أميال ويدخله المد والجزر كثيرا وهى مدينة حسنة ممتدة حارة فى الشتاء والصيف ولشبونة على نهر البحر المظلم وعلى ضفة النهر من جنوبه قبالة مدينة لشبونة حصن المعدن ويسمى بذلك لأنه عند هيجان البحر يقذف هناك بالذهب والتبر ، فإذا كان زمن الشتاء قصد إلى هذا الحصن أهل تلك البلاد فيجدون المعدن الذى به إلى انقضاء الشتاء وهو من عجائب الأرض ومن مدينة لشبونة كان خروج المغرورين فى ركوب بحر الظلمات " الادريسى ، صفة المغرب ، ص ١٨٣-١٨٤ . انظر ايضا الحميرى ، المصدر السابق ، ص١٦ : القزوينى ، آثار البلاد وأخبار العباد ، ص٤٦٩ ، أبو الفدا ، تقويم البلدان ، ص١٧٢-١٧٣ : ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، جـ٢ ص١٥٩ : السيد عبد العزيز سالم، فى تاريخ وحضارة الأندلس ، ص١٠٧-١٠٨ .

(٣) Conquista de Lisboa aos Muros 1147 Lisboa 1936 ; Cronica dos Godos , P.269; Chronicon Lusitano ,P.414.

ولمزيد من التفاصيل عن أحداث الحصار والاستيلاء على لشبونة انظر ، محمد النشار المرجع السابق ص١٤٥-١٥٦ .

(٤) Daillez , Op. cit, p. 23 .

أنا خليبرت أسقف لشبونة بالاتفاق
مع كهنتي القانونيين اعطى هذا الخطاب بفضل الله
إلى جنود المسيح ومنح كنيسة شانت ياقب
(القديس يعقوب) فى شنترين الواقعة فى حى
سريجو Seserigo مع كل ما يخص
دائرتها ، حرة من كل جزية اسقفية وأنه
لا أنا ولا خلفائي يملكون من سلطة مايسمح بازعاجهم
أو انتهاك هذا المنح للكنيسة المذكورة[١] .

وجدير بالذكر أن الفونسو هنريكز عندما منح كنائس شنترين لجماعة الداوية وما يتعلق بها كان مقرونا بموافقة أسقف لشبونةولكن بعد مرور اثنتي عشر سنة على ذلك قرر اسقف لشبونة قصر المنحة على كنيسة شانت ياقب فى شنترين مع إعفائها من دفع الجزية ويتضح من ذلك أنه كان غير راغب فى تنفيذ منحة الملك الفونسو ولذلك فإنه يقرر المنحة السابقة فقط ويضيف لها شروطاً وصفات لحماية المنحة والتى تحفظها مستقبلا ويسجل ما يتعلق بها من أملاك مع ذكر حدودها [٢] وذلك تعويضا لهم عن كنائس شنترين وما يتعلق بها ويتمثل ذلك فى قوله :

" فالملك البرتغالى دون الفونسو الذى
منح كل الكنائس المذكورة للأخوة داوية
بيت المقدس وأنهم أحرار من كل جزية
أسقفية فإنه فى مقابل كنائس شنترين

---

(١) Documento N3 , Monumenta Henricina .

(٢) انظر تفاصيلها فى الملحق رقم (٢) .

والتى منحها لهم الملك فأنا أقرر بأنهم يردونها
لى الآن ماعدا كنيسة شانت ياقب
التى منحتها لهم [١].

وبذلك يتضح أن جماعة فرسان الداوية كانوا يسيطرون على كنائس شنترين طوال الفترة التى منحها الملك لهم عام ١١٤٧م/٥٤١هـ حتى صدور مرسوم أسقف لشبونة (١١٥٩م/٥٥٤هـ) الذى قرر فيه الكنيسة المذكورة وحدها فى الوقت نفسه كان من المقرر عليهم دفع جزية سنوية عن كنيسة سانتا ماريا الواقعة داخل نطاق كنيسة شانت ياقب ، وأن عليهم أن يدفعوا جزية على كل ما سوف يؤسسونه من كنائس داخل المناطق الممنوحة لهم والتابعة لكنيسة شانت ياقب[٢] .

والواقع أن جماعة الداوية لم ترض بأن ينتزع منها ما سبق أن منحه لهم الملك الفونسو هنريكز الذى وجد نفسه أمام مشكلة كبيرة تدخل فى نطاق السلطة الدينية ومدى ما يمثله الاسقف اللشبونى الصليبى من أهمية مع أتباعه فلم يرد أن يعارضهم وهم الذين كان لهم الفضل فى استرداد تلك المناطق وقام بتعويضهم بأملاك أخرى فى فبراير ١١٥٩م/٥٥٤هـ وقد أشار إلى ذلك فى مرسومه :

«بالأسم المقدس والثالوث الذى لا يتجزأ
الأب والابن والروح القدس، آمين بالسلام
والود أنا الفونسو ملك البرتغال بفضل الله
ابن الكونت هنرى والملكة تريزا وحفيد
الملك العظيم الفونسو [٣] لأجل اتحاد أولادى

(١) DocumentoN.3; CF. also : Livermore A new history of PortugalP.62.

(٢) Ibid.

(٣) هو الملك الفونسو السادس (١٠٥٦-١١٠٩) من أشهر وأشد ملوك أسبانيا المسيحية ضد المسلمين وهو الذى استولى على العديد من المدن والقلاع الإسلامية كما أسقط دولة بنى ذى النون فى سنة =

أوفق بين أسقف لشبونة وجماعة فرسان
الداوية ببيت المقدس لأجل حب البلاد ولأجل
مغفرة ذنوبي وذنوب عائلتي أيضا اعطي واهب
إلى فرسان الداوية القلعة المدعوة سيرا
Cera [١] بدلاً من كنائس شنترين التي
قد منحتها لهم سابقاً» [٢]

ويحدد الملك تلك القلعة وأراضيها في منطقة نهر أوزيزر[٣] Ozezar والتي تبدأ من عند باب كايس وتستمر عن طريق نصف الطريق المؤدى إلى دير مورتا Murta ويمتد حتى باب قلعة طمان الواقعة على الطريق بين قلمرية وشنترين أى تلك القلعة وكل ما يجاورها في الحدود السابقة وأن لهم حق الوراثة .

«تكون ملكاً خالصاً لهم وكل

= (١٠٨٥م-٤٧٨هـ) مما دعا المرابطين في المغرب إلى التدخل السريع لإنقاذ الإسلام في الأندلس وانتصر المرابطون وملوك الطوائف على القشتاليين ومن تحالف معهم من ملوك المسيحية في أسبانيا في موقعة الزلاقة (١٠٨٦-٤٧٩هـ) (ولمزيد من التفاصيل انظر بجانب معظم المدونات والمصادر الأسبانية هناك مؤلف خاص به هو :

Reilly B.F : The Kingdom of Leon-castilla Under King Alfonso VI London (S/D).

وأيضا محمد النشار ، المرجع السابق ، ص٢١-٣٣ ، وسحر السيد عبد العزيز سالم، التاريخ السياسى لبطليموس الإسكندرية ، ١٩٩١.

(١) إحدى القلاع التى أسست في ضواحي مدينة شنترين للدفاع عنها .

(٢) انظر ترجمة هذه الوثيقة في الملحق رقم ٣ :

Monumenta Henricina . .Documento N4

(٣) رافد يصب في نهر تاجه ويأتى منحدرا من إحدى المرتفعات نتيجة لتجمع الأمطار في ذلك المرتفع والواقع أن هناك العديد من الروافد وهي لا تعدو أن تكون مجارى مائية صغيرة جداً تتجمع من سقوط الأمطار ولكن الأسبان يطلقون عليها أنهاراً وإن لم تكن كذلك .

خلفــــائهم على الدوام ولا يحق لأحـــــد

أن ينتهك هذا الحق "(١)

وهنا حاول الملك الفونسو هنريكز ترضية جميع الأطراف محاولا صرف تلك الهيئات الهامة في مملكته عن الاشتباك في نزاعات وخصومات في ظروف حرجة تستلزم الوفاق والتعاون المشترك لمقاتلة المسلمين والاستيلاء على أراضيهم .

وجدير بالذكر أن جماعة الداوية كانت غير راضية تماماً عن انتزاع كنائس شنترين منها ، كما أنها وجدت أن تأسيس الكنائس في المناطق التي منحها لهم الملك الفونسو هنريكز سوف تقابل بمعارضة أسقف لشبونة الذي كان يرى ضرورة خضوع أي كنائس توسس إلى سلطته وتدفع له الجـــزية ، وقـــد تطور ذلك النزاع ووصل إلى أســـمـــاع البـــابا أدريان الرابع (١١٥٤-١١٠٩م/٥٤٩-٥٥٤هـ) فوافق على طلب رئيس جماعة الداوية محاولا إرضائهم بمنحهم حق إنشاء الكنائس في أراضي قلعة سيرا Cera ووضعها تحت حمايته على أن يدفع الأساقفة والأحبار جزية سنوية للبابوية ويسمحوا للإخوة الداوية الاستعانة بالزيت المقدس المخصص للكنيسة والمذبح وفي الوقت نفسه يحذر من انتهاك قرارات البابوية وصدر ذلك في منشور مؤرخ في ١٢ يونيو ١١٥٩م/جمادى الأول ٥٥٤هـ(٢) .

وبعد ثلاثة أيام من صدور تلك الوثيقة صدرت في يوم ١٥ يونيو ١١٥٩م (جمادى الأول ٥٥٤هـ) نشرة من البابا نفسه موجهه إلى رئيس جماعة الداوية لتسوية الخلاف والتوفيق بينهم وبين أسقف لشبونة حول كنائس شنترين وقصرها على قلعة سيرا Cera في منطقة طمان (٣) وفي هذه الوثيقة تأكيد للاتفاقات التي تمت بين الجهات الثلاثة (أسقف لشبونة والداوية والملك الفونسو هنريكز) وتحريم لنقضها .

ويرى الباحث أن البابا في نشرته الأولى لم يذكر ما يتعلق بكنائس شنترين واعتراض الداوية على انتزاع سلطتها من تلك الكنائس ولذلك اضطر إلى إصدار نشرته الثانية لتوضيح الأمور وتهدئة الموقف المتأزم بين أسقف لشبونة وجماعة الداوية وتضع حدوداً لكل القواعد والاتفاقات السابقة بين الاطراف المتنازعة .

---

(١) Ibid .

(٢) Documento NS Monumenta Henricina.

(٣) Documento, N 6 , Monumento Henrieina .

وكيفما كان الأمر ، فقد واصل الملك الفونسو هنريكز إغداق المنح والعطايا على جماعة الداوية حيث أنه بمقتضى وثيقة مؤرخة فى أكتوبر ١١٦٩م(محرم ٥٦٥هـ) يمنح فيها حدود ومناطق جديدة تضم إلى قلعة طمان مركز جماعة الداوية بجانب قلعة كارديكو(١) Cardico ويعض القلاع الصغيرة على نهر أوزيزر Ozeza(٢) ومن الواضح أنه بتقديمه هذه المنح كان يهدف إلى تلقى المزيد من الخدمات التى تقدمها إليه هذه الجماعة .

أما عن تنظيمات جماعة الداوية فهى هيئة منظمة لها قواعدها ولوائحها الخاصة والمأخوذة عن ذات النظم واللوائح التى كانت لجماعة داوية بيت المقدس وهى فرع من فروعها وكان رئيسها فى البرتغال جالدين بايز Gualdin Pais أو بمعنى أدق رئيساً للفرع البرتغالى المنبثق من الجماعة الرئيسية ببيت المقدس وهو الذى أعاد تأسيس قلعة طمان وحصنها وجعلها المركز الرئيسى لجماعة الداوية فى البرتغال(٣) .

وقد أكد ذلك عام ١١٦٢م(٤) وأصبحت مهمتهم الدفاع عن وادى تاجة أو بمعنى أدق الدفاع عن مكاسبهم وأملاكهم فى الوقت نفسه والرغبة فى توسيع تلك المكاسب على حساب المسلمين حيث تعهد لهم الملك الفونسو بأن لهم ثلث الأراضى التى يستولوا عليها من المسلمين(٥) .

أما عن جماعة الاسبتارية فلم تصل فى الأهمية إلى مثل ما وصلت إليه جماعة رهبان فرسان الداوية فى البرتغال إذ أن دورهم ونشاطهم على الحدود الجنوبية مع مسلمى الأندلس

---

(١) قلعة أمامية تعتبر نقطة استكشافية للدفاع عن قلعة طمان .

(٢) Documento N.7Monumenta Henricina CF. also : Cruz AA situacao politica em Portugal em 1179 Centenario de reconhecimento de Portugal pela santa S Lisboa 1979, PP.43-45.

(٣) SilvaOp CitP. 72; CF. also : Benevides, Op CitP. 74; LivermorePortugal University press, P.42.

(٤) انظر وثيقة التأسيس لطمان كمركز رئيسى لجماعة الداوية فى :

Portugaliae Monumenta Historica , Vol, PP.338-389.

(٥) Stephens, Op. cit, p. 57 .

لم تكن بدرجة مماثلة لجماعة الداوية ونجد أن الاسبتارية كانت تتركز فى شمال وشرق المملكة بالقرب من حدود ليون وقشتاله ، أما تمركزهم فى الجنوب فكان غير مستقر وفى بداية الربع الأخير من القرن الثانى عشر تركزت الجماعات (الداوية والاسبتارية) فى المناطق التالية :-

الداوية : فى الوسط جنوب قلمرية ، وفى اتجاه الجنوب الغربى مع قلعة طمان .

الاسبتارية : فى الشمال من منطقة جماعة الداوية . خاصة إلى الشرق على الحدود مع قشتالة(١) .

أما عن الأراضى التى انتزعت من المسلمين فى غرب الاندلس مقسمة إلى ثلاثة أقاليم :

الأول : بلاتا Belata وهو السهل الكبير الواقع بين شنترين ولشبونة بالإضافة إلى شنترة(٢) وقد اقتسم الداوية والاسبتارية هذا الإقليم .

ثانيا : قصر بن ابى دانس (٣) ومدينة يابرة(٤) والأراضى والتى تقع فى أسبانيا الآن وهى:

---

(١) Daillies, Op. cit, p. 25 .

(٢) وصف الحميرى شنترة بقوله " من مدائن الاشبونة على مقربة من البحر ويغشاها ضباب دائم وبينها والبحر قدر ميل ، وهناك نهر ماوه يصب فى البحر " الحميرى ، المصدر السابق، ص ١١٢-١١٣ انظر أيضا القزوينى المصدر السابق ، ص ٥٤٢، ياقوت الحموى ، المصدر السابق ، جـ٣ ص. ٣٦٢

(٣) مدينة بقرب الأندلس تقع إلى الجنوب الشرقى من لشبونة وهى على نهر سادر (شطوبر) بالقرب من المحيط الاطلنطى "الحميرى ، المصدر السابق ص١٦١-١٦٢، عنان ، عصر المرابطين والموحدين فى المغرب والأندلس ، جـ٢ ، القاهرة ١٩٦٤ ص ٢٥ .

(٤) مدينة يابرة وصفها الادريسى بقوله " مدينة يبورة كبيرة عامرة بالناس ولها سور وقصبة ومسجد جامع وبها الخصب الكثير الذى لا يوجد بغيرها من كثرة الحنطة وسائر البقول والفواكة وهى أحسن البلاد بقعة وأكثرها فائدة والتجارات إليها داخلة وخارجة ومن مدينة يبورة وأكثرها فائدة والتجارات إليها داخلة وخارجة ومن مدينة يبورة إلى مدينة بطليوس مرحلتان " نفس المصدر ، ص١٨١ ، الحميرى نفس المصدر ، ص ١٩٧ ولمزيد من التفاصيل عنها وعن استيلاء البرتغاليين عنها انظر سحر عبد العزيز سالم ، التاريخ السياسى لمدينة بطليوس الإسلامية رسالة ماجستير ١٩٨٤م أداب إسكندرية ، محمد النشار، المرجع السابق، ص١٦٨-١٦٩ .

بطليوس(١) ، وشريش(٢)، وماردة(٣) ، والقنطرة(٤) ،وقورية (٥) وكانت جماعتا الاسبتارية والداوية تحميان شمال ذلك الإقليم . وإذا كان الاسبتارية الأوائل قد استقروا في يابرة١١٦٦م/٥٦١هـ بعد الاستيلاء عليها فإنهم هجروها نهائياً في عام ١١٧٥م/٥٧١هـ .

---

(١) بطليوس Badaajoz : مدينة وولاية بجنوب غرب أسبانيا وتروى المصادر أن عبد الرحمن بن مروان المعروف بالجليقي هو الذي بناها وعمرها وحصنها ولقد اتخذها بنو الأفطس بعد ذلك عاصمة لملكتهم ، الحميري ، المصدر السابق ، ص٤٦ ، الادريسي ، انس المنهج وروض الفرج مخطوط حكيم أوغلي ص١٤٤ ، أبو الفدا تقويم البلدان ص١٧٢-١٧٣، البكري ، جغرافية الأندلس وأوربا ، بيروت ١٩٨٦ ص ١٢١-١٢٣ ، ولمزيد من التفاصيل انظر لدراسة الشاملة لسحر عبد العزيز سالم ، التاريخ الإسلامي لمدينة بطليوس الاسلامية، وأيضاً رسالة الدكتوراه الخاصة بحضارتها.

(٢) أشار إليها الحميري بقوله " من بلاد الأندلس وهي قاعدة كورة اكشونية وهي مدينة بقبلي مدينة باجة ولها بسائط فسيحة وبطائح عريضة ......ومن شلب إلى بطليوس ثلاث مراحل ومن شلب إلى مارتلة أربعة أيام " الحميري ، المصدر السابق ، ص١٠٦-١٠٨ .

(٣) ماردة Merida : وهي الآن مركز إداري في مديرية بطليوس في جنوب غرب أسبانيا واسمها القديم اللاتيني Emerita وتفسيره كما يقول صاحب الروض مسكن الأشراف وهي مدينة حصينة كانت قاعدة لحكام الرومان الذين أقاموا فيها منشآت ضخمة لازالت آثارها باقية إلى اليوم " ابن الكرديوس ، تاريخ الأندلس ، هامش ١ ص١٤٧، انظر أيضا الحميري ، المصدر السابق ، ص١٧٥-١٧٧ ، ولمزيد من التفاصيل عنها انظر السيد عبد العزيز سالم ، في تاريخ وحضارة الأندلس ص٧٩-ص٨٢ .

(٤) القنطرة Alcantra : مدينة تقع على نهر التاجة في شمالها الغربي وتقع إلى الشمال الغربي من مدينة قاصرش بغرب الحدود البرتغالية وأشار إليها الادريسي " حصن منيع على نفس القنطرة وأهلها محصنون فيه ولا يقدر لهم أحد على شيء والقنطرة لا يأخذها القتال إلا من بابها فقط ومن مدينة قنطرة السيف إلى مدينة قورية مرحلتان " ص١٨٣ ، والحميري ، نفس المصدرص.١٦٤

(٥) قورية : قريبة من ماردة وبينها وبين قنطرة السيف مرحلتان، ولها سور منيع وهي أولية البناء واسعة الفناء ، من أحصن المعاقل وأحسن المنازل ولها بواد شريفة خصيبة وضياع طيبة وأصناف من الفواكه كثيرة وأكثرها العنب والتين " الحميري ، المصدر السابق ، ص١٦٤ .

ثالثا : شلب[١] وما جاورها من قلاع عديدة اقتسمتها الإسبتارية والداوية [٢] ومع ذلك فقد كان استيطان الإسبتارية فى المناطق الجنوبية غير مستقر وكان دورهم فى التاريخ الحربى لا يرقى إلى دور جماعة رهبان الداوية .

ويتضح مما سبق أن جماعات رهبان الفرسان الداوية والاسبتارية شغلوا مكانة سامية فى مملكة البرتغال وكانتا من الهيئات التى شملتها رعاية الملك ألفونسو هنريكز ورعاية البابوية فى روما . ومن الطبيعى أن تتضح تلك الأهمية من خلال نشاطهم فى حفظ قلاع الحدود ومراقبة تحركات الجيوش الإسلامية واشتراكهم الفعلى فى حملات الملك الفونسو هنريكز وأيضا اعتماده عليهم فى تعمير وحراسة المناطق الشاسعة التى استولى عليها وعجز عن الحفاظ عليها . ومن مظاهر النفوذ والسلطان الذى تمتعت بها جماعات الرهبان الفرسان وخاصة الداوية الحسد الذى ظهر من رجال الدين الكنيسيين تجاه جماعة الداوية حيث اعتبرهم رجال الدين منتهكين لسلطاتهم ونفوذهم وثرواتهم وهذا ما يفسره النزاع بين أسقف لشبونة والجماعة المذكورة .

---

(١) شلب Silves أشار إليها الحميرى بقوله " من بلاد الأندلس وهى قاعدة كورة اكشونية وهى مدينة بقبلى مدينة باجة ولها بسائط فسيحة وبطائح عريضة ولها جبل عظيم منيف كثير المسارح والمياه وأكثر ما ينبت فيه شجر التفاح العجيب .... وعليها سور حصين وغلات وجنات .... ومن شلب إلى بطليوس ثلاث مراحل ، ومن شلب إلى مارتلة أربعة أيام " الحميرى، المصدر السابق ، ص١٠٦ .

(٢) Dailliez, Loc Cit Op Cit .

الملحق الأول
ABRIL 1147

Carta de el-rei D. Alfonso Henriques a doar a Ordem do Templo o eclesiastico de Santarmem cumprimento de voto que fizera antes da sua coniquistaem marco anteriore a comprometer-se a obter a confirmacao da doacao pelo bispo de Lisboalogo que esta cidade fosse reconquistada.

Jn. nomin Sancatae et Jndividuae Trinitatis videlicet Patries et Filij et Spiritus Sancti amen.

Ego AlfonsusDeis gratia Portugalensium rex, incipiens iter meum ad illud castellum quod dicitur Sanctaremproposititum feci in corde meo et votum vovi quodsi duessua misericordiaillud mihi atribueretomne ecclesiasticum darem Deo et militibus fratibus Templl Salomonis, constitutis in Jherusalem pro defensione Sancti Sepulcri, quorum pars meacum erat in eodem comitatu.

Et, quia Dominus mihi talem fecit honorem et bone complevit volumptatem meam, ego Alfonsus, supra nominatus rex, una cum vxore mea domna Mifalda facimus kartam supradicits militibus Tem Pli(1) de omni eccleesiastico Sancte Herene, ut habeant et possideant ipsi et omnes successores eorum, jure perpetuo, ita ut nullus clericus in eis vel laicus aliquid interrogare possit. Sed, si forte evenerit ut, in aliquo tenpore, mihi Deus, sus pietate, daret illam civitatem que dicitur Vlixbona, illi concordarentur cum episcopo ad meum consilium.

Si quis, autem, hoc donum nostrum irrumpere temptaverit, non sit ej licitum per ullam asserionem. Et, si contradicere hoc eis voluerit aliquis, a consortio sanctae eclesiae sit separatus et in bonis Jherusalem non comisceatur.

Facta Karta mense aprilis, era M.C. Lxxv. Ego Alfonsus, superius rex nominatus, pariter cum conjuge mea domna Mifalda, qui kartam facere jussimus, cum manibus nostris, coram idoneis testibus, rovoravimus et signum fecimus.

Pertus, prior Vimarensis ts. Ferrandus Petriz, curiae dapifer, ts. Menendus Moniz ts. Mocellus Venegas ts. Gualterius Burgundiensis ts. Johannes archiepiscopus. Petrus Portugalensis episcopus(2) Vgo Martoniensis, frater Templi, tunc temporis in his partibus, kartulam recepit(3). Menendus, jussu proiori, in Vimaranis kartulam notuit(4).

Vos autem, summe pater, Proculdubio credatis nos, fratres militiae Templi, cum Vlixbonensi episcopo, consilio regis, ut supra refert, conocordiam quesisse, sed ipse nuluit, Tune rex, consilio suo, presntiam domini papae Eugenij nbos, una cum episcopo, petere jussit. Ad quem cum venissemus et in conspectu ejus adstaremus, ita inter nos et illum decrevit ut in rescriptis contineturt(5).

ترجمة الملحق رقم (١)

خطاب من الملك دون الفونسو هنريكز منح فيه جماعة الداوية كنائس شنترين تنفيذا للوعد الذى قطعه على نفسه قبل فتحها فى مارس السابق والنصيحة بحصولهم على تصديق الهبة عن طريق أسقف لشبونة.

نص الوثيقة

بالاسم المقدس والثالوث الذى لا يتجزأ ، الأب والابن والروح القدس آمين .

انا الفونسو ملك البرتغال بفضل الله بدأت رحلتى إلى القلعة المدعوة شنترين وأننى نذرت أن منحها الله لى برحمته سأهب كل ما يتعلق بكنيستها إلى إخوة جماعة معبد سليمان (الداوية) والتى تأسست فى بيت المقدس للدفاع عن القبر المقدس ولمن ينوب عنهم فى مملكتى.

والآن كما أن السيد منحنى الشرف المذكور وحقق رغبتى أنا الفونسو الملك المذكور اتفق مع زوجتى دونيا مافلدا بمنح وثيقة كل الكنيسة القديمة أرين Iren إلى جماعة الداوية المذكورة يملكونها ولكل خلفائهم على الدوام ، ولا يحق لأحد من من رجال الدين أو العلمانيين مطالبتهم بشئ .

وبعد أن يتم الاستيلاء على مدينة لشبونة بفضل الله فعليهم أن يستمعوا إلى نصيحتى بالاتفاق مع أسقفها ولكن إذا ما حاول أحد اغتصاب عطايانا هذه فلا يكون مباحاً تحت أى سبب أو إذا ما أراد أحد أن يعترض على ذلك سيكون مفصولا من اتحاد الكنائس المقدسة ولا يشترك فى حسنات بيت المقدس.

محرر هذا الخطاب فى شهر فبراير عام١١٨٥(١) ، أنا الفونسو الملك المذكور ومعى زوجتى دونيا مافلدا اللذين أمرنا بإعطاء هذا الخطاب ونوقع بأيدينا كشاهدين ووضعنا ختمنا.

الشهود:

أنا حضرة الاب، كان إخواننا جماعة الداوية طلبوا الاتفاق مع أسقف لشبونة بناء على نصيحة الملك كما وضح سابقاً ولكن الأسقف لا يرغب، وحينئذ نصح الملك وأمرنا بالذهاب إلى البابا أبوجنيوس (الثالث) ومعنا الأسقف والذى عندما مثلنا أمامه وكنا فى حضرته أمر بأن نتمثل بما هو مكتوب .

Documento N.2April 1147Monumenta HenricinaVol. I Coimbera 1960.

(١) هذا هو التاريخ القيصرى الذى وضعه يوليو قيصر فى أسبانيا والذى يقابل ١١٤٧م فى التاريخ الميلادى.

الملحق الثانى

FEVEREIRO 1147

Carta do bispo de Lisboa D. Gilberto., em que, de acordo com el-rei D. Afonso Henriques, cede a Ordem do Templo a igreja de Santiago de Santarem e seu territorio paroquial e, em comensacao das restantes igrejas escalabitanas pelo monarca doadas aquela Ordem em 1147 mas reclamadas depois pelo prelado, doa-lhe este as que os templarios vierem a edificar na regiac de Tomar, que delimita, devendo eles pagar-lhe e a seus sucessores, anualmente, o tributo eclesiastico de cinco soldos pela de Santarem, mas nao pelas da regiao tomarense, a menos que se prove serem esas da sua Jurisdicao.

In nomine Sancte et Indiuiduc Trinitatis Patries et Filij et Spiritus Sanctj amen.

Ego Guilibertus, Ulixbonesis episcopus, una cum consensu omnium canonicorm meorum, facio kartam firmltudinis Deo et militibus Christi de illa ecclesia Santj Iacobi de Sanctaren, que est in subur\bio de Seserigo, cum omnj parrochja sua, liberam ab omnj episcopali debito. Et ego et successores mej non habeamus potestatem aliquam perturbandi in aliquo uel diminnuendi ecccsiam liiam, sedtantum exsoluamus illi ecclesie episcopale debitum, qnando et ad quod a predictis militibus inuitati fuerimus, Huius ergo ecclesie Sanctj Iacobi de Sanctaren donum sit firmum, ratum et in perpertuum ualiturum sub nulla controuersia, sub nulla conditione deinceps ponendum.

Addo etiam et indissolubili pacto firmo et scripto roboro de omnibus illis ecclesijs quas hedificauerint a portu de Thomar, qui est in strara de Colimbria, et inde per portum de Houren et inde ad sumitatem de Beselga et inde per lumbum de contra Sanctaren, quomodo uertit aquam ad Beselga et

quomodo descendit ad Thomar et inde peruenit ad stratam, de Colimria per portum de Thomar, qui uadit de Fraxineda, scilcet ut habeant eas iure perpetuo(1).

Et ego, Guilibertus. Ulixbonensis episcopus, una cum canonicis meis. Ilustrissimo Portugalensium rego domno Alfonso concedente(2) do atque concedo omnes ilia surpradictas ecclesias fratribus Templj Iherosolimitatani ab omnj episcopalj debito liberas, iure perpetuo. Et hoc faclo pro illis ecclesi js de Sanctraren, quas eis rex dederat(3) et ego concesseram et nunc michi ipsi relinquunt\, excepto ecclesiam Sanctj Iacobi , quam supra nominauimus(4).

Et predicti milites exsoluant michi et successorbus meis quinque solidos per singulos annos, apud ecclesiam Sancte Marje de Sanctaren, de illa scilicet ecclesia Sancti Iacobj de Sanctraren et de unaquaque ecclesia que hedificate fuerint infra terminos ipsos supra nominatos, eo tamen tenore et ea condit jone si ecclesi infra predictos terminos de Cera constructe ad ius meum spectare noscentur et eas ego iudicio ecclesiastico uendicare poturero aduersus illum qui michi questionem uoluerit. Aliter enim, de perdicto censu quinque solidorum ipsi milites michi non tenenture in ecclesi js hedificatis in terminis de Cera(5).

ترجمة الملحق الثانى

فبراير ١١٥٩

خطاب من أسقف لشبونة دون خليبرت Gilberta يوضح فيه أنه تم الاتفاق فى المجمع الديوانى مع الملك الفونسو هنريكز بمنح جماعة الداوية كنيسة شانت ياقب (القديس يعقوب) فى شنترين وأراضيها كتعويض عن الكنائس التى منحها لهم الملك فى عام ١١٤٧م والذى أذن لهم بعد ذلك بتشييد قلعة طمان Tomarوحدد لهم جزية تدفع له ولخلفائه سنويا عما يشيد من كنائس بعد ذلك.

نص الوثيقة

بالاسم المقدس والثالوث الذى لا يتجزأ ، الأب والابن والروح القدس آمين .

أنا خليبرت أسقف لشبونة بالاتفاق مع كهنتى القانونيين أوجه هذا الخطاب بفضل الله إلى جنود المسيح ومنح كنيسة شانت ياقب (القديس يعقوب) فى شنترين الواقعة فى حى سسريجو Sescrigo مع كل ما يخص دائرتها ، حرة من أى جزية أسقفية وأنه لا أنا ولا خلفائى يملكون من السلطة ما يسمح بإزعاجهم أو انتهاك هذه المنحة للكنيسة المذكورة ولهذا تكون المنحة ثابتة ومصدقة وقانونية أبدية وتنتفى عنها أى دعوى أو شروط.

والهبة مثبتة لإحدى المعاهدات غير القابلة للفسخ ومعززة بالكتابة ومن كل الكنائس والتى تكون منشأة من بداية باب طمان Tomarوالتى تقع على الطريق إلى قلمرية حتى باب اورين Ouren وأعلى من Beselga وعن طريق الانحدار الذى يمتد حتى مشارف شنترين واصلاً الاستمرار حتى طريق قلمرية.

وأنا خليبرت أسقف لشبونة ومع كهنتى القانونيين فبدلاً من المنحة عن طريق الملك السامى البرتغالى دون الفونسو والذى منح كل الكنائس المذكورة فى شنترين للأخوة الداوية ببيت المقدس وأنهم أحرار من كل جزية أسقفية فإنه فى مقابل كنائس شنترين والتى منحها لهم الملك فأنا أقرر بأنهم يردونها لى الآن ماعدا كنيسة شانت ياقب التى منحتها لهم والجنود المذكورين يدفعون لى وإلى خلفائى خمسة رواتب كل سنة عن كنيسة سانتا ماريا الواقعة فى نطاق كنيسة شانت ياقب فى شنترين وأنه يتوجب عليهم دفع الجزية عن كل كنيسة سوف يأسسونها داخل الحدود المذكورة وللعلم أن الكنائس المؤسسة داخل الحدود المذكور من Cera فإنها

تكون تحت سلطتى القانونية وأنا أتكفل بالدفاع عنهم ضد من يتمرد أو يرفض ذلك وتكون الجزية هى خمسة رواتب لكل كنيسة منشأة فى حدود سيرا .

حرر هذا الخطاب فى شهر فبراير- أنا خليبرت أسقف لشبونة والذى اتفق مع كهنتى القانونيين وموافقة الملك دون الفونسو أمرت بعمل هذا الخطاب ووقعت بيدى وختمت بختمى .

الشهود

Vol. I. .Monumenta Henricina .Fevereiro 1959 .Documento N.3

الملحق الثالث

FEVEREIRO 1159

Carta de el-rei D. Afonso Henriques, de paz e concordia entre o bispo de Lisboa e a Ordem do Templo, pela qual o monarca doa aos Templarios o castelo e termo de Cera (Tomar), em compensucao do eclesiastico de Santarem, que lhes dera em 1147 e de que o prelado referido apenas lhes cedeu a igreja de Santiago da dita vila.

Jn nomine sancte et individve Trinitatis Patris et Filii et Spiritus Sancit amen.

Hec est pax et concordia qvan ego Alfonsvs, Dei gratia Portvgalensivm rex, comitis Henrici et regine Tharasie filius, magni quoque regis Alfonsi nepos, una cum filiis meis facio inter episcopum Ulixbonensem et fratres militie Templi Iherosolimitani, pro amore Dei et remissione peccatorum meorum meorumque parentum.

Do et concedo Deo et militibus Templi illud castrum quod dicitur Cera (1) pro ecclesi js illis de Sanctaren, quas eis prius dederam(2), preter ecclesiam Sanct j Iacobi. Do et concedo illud castrum quomodo diuidit per flumen Ozezar, ubj uocatur portus de kajjs, et inde per mediam strarm usque ad monasterium Murta et inde per aquam de Murta, quomodo descendit in Fraxineta et uenit ad portum de Thomar, qui est in strata de Colimbria que uadit ad Sanctaren, et inde per mediam stratam per portum de Ourens et inde per mediam stratam quomodo uadit per sumitatem de Beselga et inde per limbum de contra Sanctaren, quo uertit auam ad Beselga, et quomodo descendit ad Thomar et inde desdendit im Ozezar et inde ad porum de Kai js.

Do illis illud castrum ut habeant hereditario iure ad populandum, sed ut homines ultra flumen Mo [n] decum usque ad Tagum in meis populat joinibus habiatantes sine mea spontanea uoluntate ad inhabitandum illonon re-

cipiant. Quod, si aliquis ex interdictis hominibus ibj uenerit, fratribus ig-norantibus, non imputetur inde aliqua occasio super fratres; sed mox, eo cognito, foras expelli cogatur. Habitatores etiam ipsius castri iure et moribus de Sanctaren utantur.

Ego Alfonsus, supra nominatus rex, una cum fili js meis, facio kartam fir-mitudins supradicits militibus Christ j de illo castro qoud dicitur Cera, cum terminis supra nominatis, cum toto meo iure, ut habeant illud ipsi et omens successores eorum, iure perpetuo. Et nulli sit liejtum hoc meum factum ir-rumpere.

Facta karta mense februarjo, era MaCa Lax bija Ego Alfonsus predicutus rex, pariter cum filiis meis, quihance kartam firmitudinis facere iussuss, si-manbus propri js, coram odoneis, gratuita uoluntate, roborauimvs et hoc sig-num+++ fecimvs(4).

Ego Gunsalluus, curie dapifer. Confirmo+

Ego Petrus Peiaiz, signifer regis.conf. +

Fernandus Alfonsus ts.

Domnus Uelascus Sanchiz ts

Laurentisu Uenegas ts.

petrus pater ts.

ترجمة الملحق الثالث

فبراير ١١٥٩

خطاب من الملك دون الفونسو هنريكز بالاتفاق مع أسقف لشبونة وجماعة الداوية ، يمنح جماعة الداوية قلعة Cera وفى الأراضى المحيطة بطمان Tomar تعويضاً لهم عن كنائس شنترين التى سبق أن منحها لهم فى عام ١١٤٧م والتى لم يوافق عليها الأسقف وقرر منحهم كنيسة شانت ياقب فقط .

نص الوثيقة

بالاسم المقدس والثالوث الذى لا يتجزأ ، الأب والابن والروح القدس آمين .

بالسلام والود أنا الفونسو ملك البرتغال بفضل نعمة الله ابن الكونت هنرى والملكة تريزا وحفيد الملك الفونسو العظيم لأجل اتحاد أولادى أوفق بين أسقف لشبونة وجماعة فرسان الداوية ببيت المقدس ، لأجل حب البلاد ولأجل مغفرة ذنوبى وذنوب أسرتى أيضاً اعطى واهب إلى فرسان الداوية القلعة المدعوة سيرا Cera بدلا من كنائس شنترين لتى قد منحتها لهم سابقاً وأعطى واهب القلعة المذكورة من بداية نهر أوزيزر Ozezar والتى تدعى باب Caiis وتستمر عن طريق نصف الطريق حتى دير مورتا Murta ويصل بعدئذ حتى باب طمان To-mar والواقعة على الطريق بين قلمرية وشنترين ويمتد حتى باب أورنيس Ourens ويصل بعد ذلك إلى مرتفع Besclga ويستمر فى الانحدار إلى مشارف شنترين وإلى أسفل حتى طملن ويمتد منها حتى أوزيزر وأخيرا إلى باب كاييس . Caiis

واعطى لهم القلعة المذكورة لأجل أن يكون لهم حق الوراثة وكل من يقطن فى تلك المناطق من نهر مونديجو إلى نهر التاجة لابد لهم من الأذن وأن من يكون هناك من الرجال والذين لا يملكون الأذن بالاستقرار فى تلك المناطق بمعرفة الأخوة الداوية فعليهم أن يغادروا تلك المناطق.

أنا الفونسو الملك المذكور سابقا جنبا مع أبنائى أعطى هذا الخطاب المذكور لفرسان المسيح على القلعة المذكورة سيرا Cera مع كل حدودها المذكورة سابقاً مع كل الحق لأجل أن تكون ملكا خالصا لهم ولكل خلفائهم على الدوام ولا يحق لأحد أن ينتهك هذا الحق .

حرر الخطاب فى فبراير .

أنا الفونسو الملك المذكور سابقا جنبا مع أولادى والذين أمرنا بتحرير هذا الخطاب ووقعت بيدى أمام إدارتى واوضع ختمى عليه.

توقيعات الشاهدين.

Vol. I. .Monumenta Henricina .Fevereiro 1959 .Documento N.4

قائمة المصادر والمراجع

A.P. : Annales Portugalenses.

C.L.R. : ..Las Cronicas Latinas de la Historia.

R.P.H. : Revista portuguesa de Historia.

E.S. : Espana Sagarada.

Mon..Lus : Monarquia Lusitana.

أولاً : مجموعات الوثائق

- Monumenta Henricina, Vol. 1 Coimbra 1960

  1) Documento N2Abril 1147.

  2) Documento N3Fevereiro 1159.

  3) Documento N4Fevereiro 1159.

  4) Documento N5Junho 1159.

  5) Documento N6Junho 1159.

  6) Documento N7Outubra 1169.

- Portuglias Monumenta Historica, vol 1 , Olisipone , Lisboa 1856 .

  1- Documento (Thomar 1162) pp.388-389.

  2- Documento N4, PP. 485-487. Documento N5; en EijanS Relaciones mutuas e Espana Y Tirra santaSantiage 1912.

  Bull of pope paschal II Confirming the Foundation of the order Hospital. Dated 15 February 1113King E.J. the knights Hospitallers in the Holy Land London 1931pp. 26-28.

- Documentos Historia de EspanaVol. 1(s/d).

ثانياً : المصادر الأجنبية :

- Annalas Portugalenses : Recension breve continueRevista Portuguesa de Historia, Coimbra 1974.
- BastoA.M.Cronica de cinco Reio de PortugalVol 1Porto (S/D).
- Brandao, A
- Cronica do conde D.Henrique, DTeresa E Infante D.Alfonso, Porto 1944.
- Monarquia Lusitana, Parte 3Lisboa 1973.
- Chronicon conimbricense. Espana SagradaT23 preparar Por Henrique Florez, Madrid 1850.
- Chronicon Lusitano, Espana Sagrada, T14preparar Por Henrique Florez, Madrid 1905.
- Conquista de Lisboa aos Mouros 1147 Lisboa 1936.
- Cronica dos Godos " A pendic Brandao Cronica do conde D.Henrique, DTeresa E Infante D.AlfonsoPorto 1944.
- Cronica de la corona de Aragon ano 1915.
- Duarte Nunesde Leao :" Chronica del Rei D.Alfonso Henriquez " Porto 1975.
- GalvaoD. : Chronica del Rei D.Alfonso Henriquez, Lisboa 1906.
- Paez Viegus, A : Principios del Reyno de Portugal " Barcelona 1944.
- SandovalF.D. :"Historia de los Reyes de castilla Y de Leon " pampelona 1934.
- Silva, G.T. :"Cronicas dos sete primeiros Reis de Portugal " Vol, Lisboa 1952
- William of Tyre :" A history of deed done Beyond the Sea " Vol. 1New York 1949.
- Zurita, J.:"Anales de la corona de Aragon " T1Zaragoza 1976.

ثالثاً : المصادر العربية :

– ابن خاقان (ت٥٣٥هـ / ١١٤٠م) أبو نصر الفتح بن محمد بن عبد الله القيس

" قلائد العقيان " مصر ١٢٨٣هـ .

– ابن الخطيب (٧٧٦هـ / ١٣٧٤م) لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله

" الاحاطة فى أخبار غرناطة "٤أجزاء تحقيق محمد عبدالله عنان ، القاهرة ١٩٧٣م.

– ابن عذارى (ت٧١٢هـ / ١٣١٢م) أبو عبد الله محمد المراكشى

" البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب " الجزء الثانى والثالث ، تحقيق ليفى بروفنسال، بيروت ١٩٨٠ الجزء الرابع ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ١٩٨٠ ، القسم الثالث (تاريخ الموحدين) نشر مراندة ، تطوان ١٩٦٠م .

– ابن غالب (عاش فى القرن السادس الهجرى/ الثانى عشر الميلادى) محمد ابن أيوب ابن غالب الغرناطى

" قطعة من كتاب فرحة الأنفس فى تاريخ الأندلس " تحقيق لطفى عبد البديع ، القاهرة ١٩٥٦ .

– ابن الكردبوس (عاش فى القرن السادس الهجرى/ الثانى عشر الميلادى) أبو مروان عبد الملك بن الكردبوس

" تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط " تحقيق الدكتور مختار العبادى، معهد الدراسات الإسلامية بمدريد ١٩٧١م.

– أبو الفدا (ت٧٣٠هـ / ١٢٥٢م) الملك المؤيد عماد الدين أبو الفدا إسماعيل

" تقويم البلدان " باريس ١٩٨٠ م .

– الادريسى (ت٦٥٠هـ / ١٢٥٢م) الشريف محمد بن عبد العزيز

" صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس ووصف أفريقيا وأسبانيا " تحقيق دوزى ، أمستردام ١٩٦٩م .

– البكرى (ت٤٨٧هـ / ١٩٤٩م) عبيد الله الاندلسى

" جغرافية الأندلس وأوربا من كتاب المسالك والممالك " تحقيق الدكتور عبد الرحمن الحجى، بيروت ١٩٦٨م .

– الحميرى (عاش فى القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى) أبى عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم

" صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار فى خبر الأقطار " تحقيق ليفى بروفسنال، القاهرة ١٩٣٧م .

– السلاوى (ت١٣١٥هـ / ١٨٩٠م) أبو العباس احمد بن خالد الناصرى

" الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى " ٩ أجزاء الدار البيضاء ١٩٥٤م .

– الاصطخرى (ت٣٥٠هـ / ٩٦٢م) أبو اسحق إبراهيم بن محمد

" المسالك والممالك " تحقيق الدكتور محمد شفيق غربال وآخرون ، القاهرة ١٩٦١ م .

– القزوينى (ت٦٨٢هـ / ١٢٨٣م) زكريا بن محمد محمود

" آثار البلاد وأخبار العباد " بيروت ١٩٧٩م .

– ياقوت الحموى (ت٦٢٦هـ / ١٢٢٩م) شهاب الدين الرومى

" معجم البلدان " المجلد الأول ، بيروت ١٩٨٤م .

رابعاً : المراجع الأجنبية :

- Ballesteros Y Beretta : Historia de Espana Y su influencia en la HistoriaUniversalT2Barrcelona 1944.
- Beirao : Caetano : Historia breve de PortugalLisboa (N/D).
- Benevides, F.E. : Rainhas de PortugalT1Lisboa 1878.
- Bishko : C.J. : The cluniac priories of Galicia and Portugal their Acquistition 1075-1230studia Monastica Abadia de Nontserrat 1965.
- Bosch VillaJ:Los AlmoravidesTetuan 1956.
- Callaghan : J.E. : A History of Medieval Spain, London 1975.
- CastroA : La realidod historica de EspanaMexico 1987.
- ContanineP : La Guerra en la Eded mediaBarcelona 1984.
- Cruz, A : A situacao politica em Portugal em 1179centenario do rechonhecimento de Portugal pela santa SLisboa 1979.
- DailliezL : Lord de saint jean de Jerusalem au Portugal XI-XV sieclesParis 1977.

- David, P. : Etudes Historiques sur la Galica et le Portugal de VI and XII siecleParis1947 .
- Eijan,S : Relaciones mutuas de Espana Y Tierra Santa, Santiago 1912.
- FernandezLManual de Historia UniversalT3Edad MediaMadrid, 1972.
- Fory : A.G. The Templars in the corona de Aragon, London 1973.
- Herculano, A : Historia de PortugalT3, Lisboa 1983, T1Lisboa, 1983 .
- Huici, A.M: Ali B. Yusuf Y sus Empresas en al Andalus, separata de tamuda ano VII Semestree 1-11. Tetuan 1959.
- Inchbold, A.C. : Lisboa E cintra, London 1907.
- King. E.J. ; The knights Hoispitallers in the Holly Land, London 1931.
- Lacarra, J.M. :

  La conquista de Zaragoza, por Alfonso I, AL-Andalus, Vol. XII, 1947 .

  Alfonso El Batallador, Zargozo, 1978 .
- Ledesma, R,Templarios Y Hospitalarios en el Reino de Aragon, Zargozo,1982.
- Livermore,H. :

  A new history of Portugal, Cambridge 1973.

  Portugal; University press 1973.
- Laroix, P. Vie Militaire et Religieuse au Moyen Age Paris 1877.
- Lozoya, M: Historia de Espana; T2, Barcelona 1977.
- Makay, A : Spain in the Middle Ages, New York 1977.
- Martin, J. L : La peninsula en la Edad Media, Barcelona 1978.
- Nowell, C.E. : Portugal, London 1973.
- Oliveira, P.M : Ouiique em Espanha, Lisboa 1941.
- Payne; S.G. : A history of Spain and Portugal , Wisconsin press,1943.
- Reilly, B.F. : The Kingdom of Leon-castilla under king Alfonso VI1065-1109;London (N/D).
- Rivera Recio; J.F. : Reconquista Y pobladores del antiguo Reino de Toledo, Anales ToledanosToledo1967 .
- Serrao, J.V. : Historia de Portugal, Vol. 1, Lisbao 1976.

- Sousa, A.S. : Historia de Portugal, Barcelona 1929.
- Stephena, H.M : Portugal, London 1891.
- Suarez, L.F. : Historia de Espana, Edad Media, Madrid 1970.
- Tout : The Empire and the papacy 918-1273 London 1924.
- Valdeavellano, L.G. : Historia de Espana, de los origenes a la baja Edad Media, Segunda Parte, Madrid 1973.
- Walter, M.B : Alfonso I von Portugal, Zurich 1966.

خامساً : المراجع العربية والمترجمة :

- أشباح يوسف تاريخ الأندلس فى عهد المرابطين والموحدين جـ١ ، القاهرة ١٩٤٠، جـ٢ ، القاهرة ١٩٤١م.
- سحر السيد عبد العزيز سالم : (دكتور) التاريخ الإسلامى لمدينة بطليوس الإسلامية منذ تأسيسها فى ٢٦١هـ (٨٧٤م) حتى سقوطها فى أيدى الليونيين ٦٢٧هـ / ١٢٣٠م رسالة ماجيستير آداب ، الإسكندرية ١٩٨٤م ،نشرت .
- سعيد عبد الفتاح عاشور : (دكتور) الحركة الصليبية جـ١ ، القاهرة ١٩٧٨، أوربا العصور الوسطى جـ١ ، القاهرة ١٩٧٥جـ٢ القاهرة ,١٩٧٨
- السيد عبد العزيز سالم (دكتور) : فى تاريخ وحضارات الأندلس ، الإسكندرية ١٩٨٥م.
- عبد القادر اليوسف (دكتور) : علاقات بين الشرق والغرب بين القرنين الحاديعشر والخامس عشر ، بيروت ١٩٦٩م .
- كولتون عالم العور الوسطى فى النظم والحضارة ، ترجمة وتعليق دكتور جوزيف نسيم يوسف الإسكندرية ,١٩٨٣
- محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين جزآن القاهرة ١٩٦٤م. الأعلام الجغرافية والتاريخية الأندلسية ، المعهد المصرى بمدريد ,١٩٧٦
- محمد محمود النشار (دكتور) : السياسة الخارجية لألفونسو هنريكز ملك البرتغال ١١٢٨–١١٨٥م رسالة دكتوراه ١٩٩٢م ، لم تنشر بعد- جامعة طنطا .
- نبيلة إبراهيم مقامى (دكتور) : فرق الفرسان الرهبان فى بلاد الشام، رسالة ماجستير لم تنشر بعد بكلية الآداب جامعة القاهرة ١٩٧٥ .

- ٣ -

نشأة جماعات الرهبان الفرسان الأيبيرية

النصف الثانى من القرن الثانى عشر / السادس الهجرى

ترجع فكرة اشتراك الرهبان فى الحروب ضد المسلمين إلى شبه الجزيرة الايبيرية (١)، إذ أن طبيعة الصراع بين المسلمين والمسيحيين بها، جعل من مهام الرهبان المقدسة المشاركة

---

(١) كان الرهبان الكلونيون قد بدأوا التوغل فى داخل الممالك المسيحية الأسبانية أوائل القرن الحادى عشر حتى وصلوا إلى أرفع مكانة واحتلوا أكبر المراكز الدينية فى تلك الممالك وكان لهم الدور الكبير فى تدعيم سلطة البابوية الروحية على الممالك المسيحية الاسبانية بجانب أنهم كانوا المنظمين مع البابوية فى الدعوة للحروب الصليبية لطرد المسلمين من شبه الجزيرة الايبيرية حيث كان أول البابوات هو اسكندر الثانى (١٠٦١-١٠٧٣م) عندما وجه الدعوة عام ١٠٦٣م إلى الممالك الأوربية بتشكيل فرق عسكرية من أجل مساعدة الأسبان فى طرد المسلمين وتوالت دعوات البابوات وتعددت الحملات الصليبية منذ ذلك الحين ضد مسلمى الأندلس ، وكانت جماعات الرهبان يتولون بث الروح القتالية وضرب المثل باشتراكهم فى القتال ضد المدن والقلاع الإسلامية حتى أنهم كانوا يخالفون بعض الملوك الأسبان فى اتفاقياتهم مع المسلمين من أجل الاصرار وعدم المهادنة فى قتال المسلمين وخير مثال على ذلك ، عندما استولى الملك الفونسو السادس على طليطلة عام ١٠٨٥م / ٤٧٨هـ اتفق مع المسلمين على حفظ مسجدهم والذى نقضه الرهبان الكلونيين ومعهم الاسقف برنارد رئيس أساقفة طليطلة وزعيم الرهبان الكلونيين فى شبه الجزيرة ويتضح من ذلك مدى ما أدوه الرهبان فى قتال المسلمين بل واشتراكهم فى القتال اشتراك فعلى .

وانظر النقاط السابقة فى المصادر والمراجع التالية :

Rodrigo . J.R., Historia de los hechos de Espana, Madrid 1982 , pp. 247-250 CF , also : Pidal, R.M; España del cid , Buenos Aires, 1939 , pp. 96-97 , Ledesma, R. Templarios Y. Hosptialarios en el Reinode Aragon, Zaragoza 1982, pp. 27-28, Chapman, C.A., History of Spain. NewYork 1931, p. 72; Painter, S. History of the Middie Ages 284-1500, NewYork 1954, p. 194; David, p, Etudes Historiques sur la Galica et le Portugal du VI au XnSiecle, Paris 1947; p. 371

وانظر أيضاً : اشباخ ، تاريخ الأندلس فى عهد المرابطين والموحدين ، ج١ ، القاهرة ١٩٤م، ص١٢٦: سعيد عبد الفتاح عاشور: أوربا فى العصور الوسطى، ج١ ، القاهرة ١٩٧٥ ، ص٥٢٩ : عبد القادر اليوسف : علاقات بين الشرق والغرب بين القرنين الحادى عشر والخامس عشر ، بيروت ١٩٦٩ ، ص١٣ .

الفعالة فى مساندة الممالك الاسبانية المسيحية فى مواجهة الوجود الإسلامى فى شبه الجزيرة الايبيرية ولقد بدأت هذه المشاركة منذ اللحظات الأولى للوجود الإسلامى وتمثلت فى ما يسمى بحركة الاسترداد المسيحى La Reconquista ثم تطور دورهم الحربى تأثرا بنظام دفاعات مسلمى الأندلس آنذاك، حيث اتبعوا نظام المرابطة لحماية حدود دولتهم الإسلامية، فكان المرابطون يقضون يومهم فى العبادة وجهاد العدو واتسمت حياتهم بالتقشف ومراقبة تحركاتهم بثبات وجلد طلبا للاستشهاد (١).

أورد أمريكو كاسترو أن بعض المؤرخين الأسبان الحديثين رأوا أن البذور الأولى لنشأة نظام جماعات الرهبان الفرسان الايبيرية إنما نبعت من تأثرهم بنظام الرباط الإسلامى ويضيف أن الفكرة التى كانت سائدة من قبل أن جماعات الرهبان الفرسان الايبرية قد نبعت كاحدى النسخ لجماعات الداوية والاسبتارية فى القرن الثانى عشر الميلادى / السادس الهجرى، مما دعا امريكو كاسترو إلى البحث عن جذور فكرة جماعات الرهبان الايبيرية فى الإسلام من خلال نظام المرابطة أو الرباط (١). وإن كان هنا بعض المؤرخين الأسبان يشككون فيما أورده ويروا من أن جماعات الرهبان والفرسان الأيبيرية ينبغى البحث عن جذورها فى المسيحية أكثر من البحث عن جذورها فى الإسلام(٢).

---

(١) الواقع أن أول ما بدأ هذا النظام كان عندما اسكن معاوية مجموعات من المسلمين على حدود الشام الشمالية للدفاع عن الحدود من هجمات البيزنطيين والذين وضعوا نظاما لحرب الثغور وكانت تخرج بانتظام حملات سنوية على بلاد الروم منذ ٤٣هـ / ٦٦٣م فى الشتاء والصيف ولذلك عرفت بالشواتى والصوائف . ولقد سمى العرب سكان تلك الثغور «بالمرابطة لملازمتهم ثغر العدو للجهاد وهو «الرباط» جمع «ربط» أو رابطة» وتأتى من قول الله سبحانه وتعالى «واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم» (سورة الانفال آية ٦٠) وكان هؤلاء المجاهدون يعيشون مع نسائهم وأولادهم على عادتهم فى الحرب وتقطعهم الخلافة القطائع . ولمزيد من التفاصيل انظر:
السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ الدولة العربية ، ج٢ ، الاسكندرية ١٩٨٤، ص٢٦٥-٢٦٧ .

عبد المنعم ماجد ، التاريخ السياسى للدولة العربية، ج٢، القاهرة ١٩٧٩، ص٣٥-٣٦ .

السيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادى ، تاريخ البحرية الإسلامية، ج١ ، الاسكندرية ١٩٨١م ص١٥ .

(١) Castro,A.,: La Realidad historica de España, Mexico, 1987, pp. 333-334; Cocherin, F.M., calatrava Y los Ordenes Militares portugueeses, ciudad Real 1959; pp 2-3.

(٢) Mackay, A. La Espana de la Edad Media, Madrid. 1958, p. 42.

ولكننا نميل إلى الأخذ بالرأى الذى يقول بأنه ينبغى البحث عن جذور جماعات الرهبان الفرسان الايبيرية فى نظام المرابطة الإسلامية، ذلك لأنه الرأى الأقرب لواقع الأحداث . فلقد شهدت شبه الجزيرة الايبيرية صراعا مستمرا بين مسلمى الأندلس ومسيحيى أسبانيا نتج عنه تأثر واضح بين كلا الجانبين فى شتى المجالات ومنها النظام الحربى حيث اعتمد مسلمو الأندلس فى حماية حدودهم من هجمات مسيحيى أسبانيا على نوع من المحاربة الفرسان الذين قضوا حياتهم فى العبادة والجهاد مما أدى فى نهاية الأمر إلى قيام دولة المرابطين والتى كان عمادها الرباط حيث يتصفون بالتدين الشديد وتشبعهم بفكرة الجهاد[1].

ولاشك أن عامل الجوار قد أتى ثماره فتشكلت فى بداية القرن الثانى عشر الميلادى/ السادس الهجرى مجموعة من الفرسان الارجونيين اطلق عليهم «الخفاف» ويسميهم المسلمون «المجاورين» وتميزت بشدة البأس ، سرعان ما أصبحوا شديدى الوطأة على مسلمى الأندلس. غير أن هذه الجماعات لم تنظم فى جمعية حربية منظمة بل كانوا مجرد فرسان محاربين دأبوا على حراسة الحدود المسيحية الاسبانية[2] وهكذا لم يكن يربطهم نظام أو قوانين معينه، وبهذا أصبح هناك نظام هؤلاء الخفاف، ونظام اشتراك الرهبان فى الحروب ضد المسلمين . وسرعان ما اندمجا معا، وجرت محاولات لتأسيس بعض الفرق التى تجمع بين التدين الشديد المتمثل فى الرهبان والحماس والبأس ومن الفرسان لقتال المسلمين أو بمعنى أدق بين نظام الفرسان الخفاف والرهبان الذين نذروا أنفسهم لقتال المسلمين ، فنجد أن الملك ألفونسو المحارب (الأول)[3] ملك أرجون عند استيلائه على مدينة سرقسطه فى ١١١٨م /

---

(١) عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ج١ ، القاهرة ١٩٦٤م، ص٤١١ .

ولمزيد من التفاصيل انظر مؤلف حسن أحمد محمود قيام دولة المرابطين ، القاهرة ١٩٥٧م، أيضا مؤلفات أحمد مختار العبادى، تاريخ المغرب والأندلس ، ص٢٨٧-٣٣٤ ، وأيضا الدكتور السيد عبد العزيز سالم والدكتور أحمد مختار العبادى ، البحرية الإسلامية، ج٢ ، ص٢٣٨-٢٤٨ .

Bosch ; J. V. Los Almoravides , Tetuan 1956 , pp. 48-49 .

(٢) اشباخ : المرجع السابق، ج٢ ، ص١٢-١٣ .

(٣) كان ألفونسو المحارب أعظم ملوم أسبانيا المسيحية متشبعا بروح الحروب الصليبية وهو من أشد الملوك ضراوة ضد المرابطين واحرز عليهم انتصارات عديدة واستولى منهم على مدن عديدة وعلى رأسها سرقسطه ١١٨م وكان قد تزوج من اوراكا ملكة ملكة قشتالة ابنة الملك ألفونسو السادس عام=

١٢ ٥هـ (١)، قد انتهز فرصة انعقاد أحد المجامع الاكليركية فيما بين فبراير ومارس ١١٢٢م/ ١٥ ٥هـ وتشاور مع أتباعه ورعاياه واقترح تأسيس جماعة دينية حربية يستعين بها على طرد المسلمين من أسبانيا والاشتراك فى مشروع الحروب الصليبية فى بيت المقدس(٢)، فأسس جماعة دينية عسكرية وهى بلشيت Belchite وعمل على تأييد الأساقفة لها وشجع كل من يلتحق بها وكانت هذه الجماعة برسم القبر المقدس (٣)، أما الإشارة بأن أول تنظيمات

= ١١٠٩م وكان التباين بينهما شديدا مما أدى إلى صدام ونشوب الحرب الأهلية والتى استغرقت معظم فترات حكمه ولمزيد من التفاصيل انظر:

Lacarra , J.M, Alfonos El Batallar Zaragoza,1978 ; Lacarra, La conquista de Zaragoza por alfonso I, Al : Anda;us , voll, XII, 1949 .

اشياخ المرجع السابق ، ج١ ، ص١٤٥-١٧٦ ، محمد النشار ، السياسة الخارجية لالفونسو هنريكز ملك البرتغال ١١٢٨-١١٨٥م رسالة دكتوراة غير منشورة لعام ١٩٩٢م جامعة طنطا، ص٤٤-٦٠ .

(١) يصف الادريسى سرقسطه بقوله « قاعدة من قواعد مدن الأندلس كبيرة القطر أهلة ممتدة الاطناب واسعة الشوارع والطرقات ، حسنة الديار والمساكن متصلة الجنات والبساتين لها سور مبنى من الحجارة حصين وهى على ضفة النهر الكبير المسمى ابرة وهو نهر كبير يأتى بعضة من بلاد الروم وبعضه من جهة جبال قلعة أيوب وبعضه من نواحى قلهرة فتجتمع موارد هذه الأنهار كلها فوق مدينة تطيله ثم تنصب إلى مدينة سرقسطة ... ، ... ، .... وسميت بالمدينة البيضاء لكثرة خصبها ... ، ... ، ... » الادريسى : صفة المغرب وأرض السودان ومصر والاندلس ووصف أفريقيا وأسبانيا تحقيق دوزى ، امستردام ١٩٦٩م، ص١٩٠ : الحميرى: صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار فى خبر الاقطار ، تحقيق ليفى بروفنسال ، القاهرة ١٩٣٧ م، ص٩٦-٩٨ ولمزيد من التفاصيل عنها انظر السيد عبد العزيز سالم: فى تاريخ وحضارة الأندلس، الاسكندرية ١٩٨٥م، ص٨٣-٨٧ ولمعرفة المزيد عن سقوط سرقسطه انظر: ابن الكردبوس ، تاريخ الأندلس، تحقيق أحمد مختار العبادى ، معهد الدراسات الإسلامية بمدريد ١٩٧١ ، ص٦٨-٦٩، عنان : المرجع السابق ج٢ ص٨٦-١٠٢ وأيضا هناك بحث للدكتور حسين مؤنس ، الثغر الأعلى الأندلسى فى عصر المرابطين ، سقوط سرقسطه فى يد النصارى ١٢ ٥هـ/ ١١١٨، فصلة من مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة م١١ ج٢ ديسمبر ١٩٤٥م، وهناك بحث هام جدا فى هذا الموضوع وهو :

Lacarra, J.M. La Conquista de Zaragoza por Alfonso I, Al Andalus, vol XII, 1947 .

(٢) Zurita, J. Anales de la corona de Aragon, TI, Zaragoza 1976 , CF . also : Ledesma, p. Templarios Y Hospitalorios en el Reino de Aragon , Zaragoza 1982, p. 30 .

(٣) Fory, A. J. The Templars in the corona de Aragon, London 1973; Ledesma Op Cit., p. 31; Martin, J. L. : La peninsula en la Edad Media, Barcelona 1977, p. 361.

الفونسو المحارب كانت جماعة مونريال Monreal[(١)] فرأى يجانبه الصواب حيث أن جماعة مونريال تأسست بعد جماعة بلشيت بحوالى سنتين أى فى عام ١١٢٤م ٥١٧هـ[(٢)]، وأجمع على ذلك معظم المصادر والمؤلفات الحديثة . ويتضح ذلك عندما انتصر الفونسو المحارب فى موقعة كتنده [(٣)] على مقربة من دروقه[(٤)] ١١٢٠م / ٥١٤هـ فإنه استولى على قلعة دروقة وانشأ على مقربة منها قلعة حصينة وهى مونريال[(٥)] عام ١١٢٤م / ٥١٧ لتكون حاجزا لصد الجيوش الإسلامية وخاصة من بلنسية ، وأمر بتعمير تلك المنطقة ووضع فيها احدى الجماعات الدينية العسكرية ونسبت هذه الجماعة إلى قلعة مونريال فعرفت باسم جماعة مونريال وزودها بالعديد من الامتيازات ، وكانت فكرتها أيضا الارتباط بالقبر المقدس وبث الروح الصليبية فى ارجون ضد المسلمين [(٦)].

---

(١) اشباخ ، المرجع السابق، ج٢، ص١٢ ، عنان ، المرجع السابق ، ج١ ص٥١١ .

(٢) يرى لوماكس Lomax أن تأسيس جماعة مونريال كان عام ١١٢٨م.

Lomax, D.W. la reconquista, Barcelone 1984 , p. 147 .

(٣) كان قد قام الأمير أبى اسحاق ابراهيم بن يوسف والى اشبيلية بأمر أخيه الأمير على بن تاشفين بالتوجه إلى قتال الملك الفونسو المحارب والذى يعد استيلائه على سرقسطه استولى على بعض القلاع الإسلامية والتقي الجيش الإسلامى مع جيش الملك الفونسو فى بلدة صغيرة تسمى كتنده أو قتنده على مقربة من دروقة وذلك فى الرابع والعشرين من شهر ربيع الأول ٥١٤هـ / يونيه ١١٢٠م وانتصر المسيحيون وهزم المسلمون هزيمة شديدة .

ابن أبى زرع ، روض القرطاس ، طبعة كارل يوحنا اوسالة ١٨٤٣م، ص١٠٦ ، عنان ، المرجع السابق ، ج١ ، ص١٠٣-١٠٤ .

Lacarra Alfonso el Batallador , p. 73-74 .

(٤) أشار إليها الحميرى بقوله «مدينة بالأندلس من عمل قلعة أيوب، عظيمة فى سفح جبل وعلى مقربة منها كنيسة ابرونيه لها ثلاثمائة باب وستون بابا وهى احدى عجائب البنيات وقيل بين دروقة وبين قلعة أيوب ثمانية عشر ميلاد «الحميرى، نفس المصدر، ص٧٦ .

(٥) اسم مونريال Monreal يأتى من معنى «البيت السماوى الملكى».

Ledesma, Op. cit., p. 31 .

(٦) Zurita, J Anales de la corona de Aragon , Ti, Zaragoza 1976 , pp. 150-151 ; Ledesma, op. cit., Loc cit, Lacarra, Alfonso el Batallador, p. 98 ; Martin, La peninsula, p. 361.

عنان ، نفس المرجع، ج١ ، ص١٠٤ .

وعلى الرغم من ذلك لم تنجح هاتان الجماعتان فى تحقيق هدفه وظل مشروعه دون أن يتحقق ومما يؤيد قولنا أنه جاء فى وصية الفونسو المحارب توريث كل مملكته لجماعة فرسان رهبان الشرق (فرسان القبر المقدس- والاسبتارية والداوية) (١). دون أن يوصى لجماعتى بلشيت ومونريال بأى شئ . ويبدو أن عدم استمرار هاتين الجماعتين يرجع إلى وجود جماعتى الاسبتارية والداوية فى أرجون مما أدى إلى عدم الاحتياج لجماعات جديدة فضلا عن النفوذ القوى والذى كانت تتمتع به جماعتا الاسبتارية والداوية وعدم توافر الامكانيات المادية والحربية لجماعتى بلشيت ومونريال مما انهى وجودهما فى فترة قصيرة .

ولنا أن نتساءل هنا لماذا تأخر ظهور جماعات الرهبان الفرسان الايبيرية إلى النصف الثانى من القرن الثانى عشر الميلادى / السادس الهجرى، وللإجابة على ذلك ينبغى أن نشير إلى أن الملوك الأسبان كانوا شديدى السخاء مع جماعات رهبان فرسان الشرق (الاسبتارية والداوية) وذلك نظير مساندتها لهم فى حروبهم ضد المرابطين، ولكن ذلك لم يرض غرور ملوك أسبانيا فكانوا يتوقعون من الجماعتين الكثير . حقيقة أن تلك الجماعات ساعدت فى الحروب ضد المسلمين ولكن لم تسهم بالقدر الفعال الذى يطمح فيه ملوك الأسبان لأن سادة هاتين الجماعتين كانوا يرون أن نشاطهم الرئيسى فى الشرق وعلى الغرب (أى ملوك الأسبان) أن يقدموا كافة المساعدات اللازمة لهم، ونضرب مثلا واضحا على ذلك بالإمبراطور الفونسو السابع (ريمونديز) ملك قشتالة وليون(٢). وعندما استولى على قلعة رباح (٣)، من المسلمين ثم

---

(١) Documento. N4 en Eijan, S.Relaciones mutuas de Espana Y tierra santa, Santiago 1912; pp. 485-487; documentos Historia de Espana Vol. I (S/D) pp. 165-167; Cronica de la corona de Argon, p. 19; Zurita, Op. cit, TI, pp 199- 200; CF. also : Ledesma, Op. Cit., p. 17; Callaghan, J.E., A history of Medieval Spain, London 1975, p. 222.

(٢) الفونسو (ريموننيز) السابع حكم من ١١٢٦-١١٥٧م وهو ابن الكونت ريموند البورجونى والملكة اوراكا ابنة الملك الفونسو السادس وقد اتخذ لقب الإمبراطور عام ١١٣٥م وقام بحروب عديدة سواء ضد المسلمين أو مملكة الامبراطور عام ١١٣٥م وقام بحروب عديدة سواء ضد المسلمين أو مملكة البرتغال، وانظر بعض تفاصيل حكمه فى رسالتنا للدكتوراه ، السياسة الخارجية لألفونسو هنريكز ص٦٨-٨٦ وهناك مؤلفات قائمة بذاتها عنه أهمها مدونته .

La Cronica de Alfonso El- Emperador C.L. R T2, Valencia 1913 ; Recurero , A.M. Alfonso VII , Emperador Leon 1979 .

(٣) وصفها الحميرى بقوله «بالأندلس أيضا من عمل جيان وهى بين قرطبة وطليطلة وهى مدينة حسنة ولها حصون حصينه على نهر وهى مدينة محدثة في أيام بني أميه، وإنما عمرت قلعة رباح بخراب =

قام بمنحها إلى جماعة الرهبان الفرسان الداوية للدفاع عنها، وعندما توفى الامبراطور وتعرضت تلك المنطقة لضغط الموحدين رأوا التخلى عنها وردوها إلى الملك سانشو الثالث[١]، بعد أن أخلوها [٢].

ويرى الباحث أن هذا الرأى يعتبر أحد الأسباب الهامة لنشأة جماعات الرهبان الفرسان الايبيرية والتى تتمثل فى أن طبيعة الصراع فى شبه الجزيرة الايبيرية يستلزم وجود مثل تلك الجماعات من الرهبان الفرسان بشكل مكثف وأن جماعتىْ الإسبتارية والداوية كان نظامهما محدداً بغرض معين بينما تركز وجودهما فى مملكة أرجون نجد أن وجودهما فى مملكة قشتالة وليون ضئيل للغاية وغير مؤثر على الرغم من أن الأندلس منذ منتصف القرن السادس الهجرى/ الثالث عشر الميلادى قد أصبحت ولاية تابعة لدولة الموحدين الذين واصلوا مهاجمة الممالك المسيحية فى شبه الجزيرة وخاصة ضد مملكتى قشتالة والبرتغال . من ثم أصبحت الحاجة ماسة إلى تأسيس جماعات رهبان فرسان ايبيرية لمواجهة هذا الخطر الماثل على حدودهم ومن هنا ظهرت جماعة رهبان فرسان قلعة رباح ، وجماعة رهبان فرسان القنطرة، وجماعة رهبان فرسان شانت ياقب[٣].

= اوربط ... ،... ، وفى ٦٤١هـ أمر الامام محمد بتحصين مدينة قلعة رباح والزيادة فى مبانيها ونقل الناس إليها والى مدينة طلبيرة ثم ملكها النصارى ولم تزل فى أيديهم إلي عام وقيعة الارك، فخلت قبل الوصول إليها وكان بقاؤها فى أيديهم احدي وخمسين سنة وعشرة أشهر ، فأمر المنصور يعقوب بن يوسف بن عبدالملك بتطهير جامعها وصلى فيه ،الحميرى، نفس المصدر، ص١٦٣

(١) هو ابن الإمبراطور الفونسو السابع وتولى حكم مملكة قشتالة بعد فصلها عن ليون بعد وفاة أبيه ١١٥٧ ولكن لم يمهله العمر كثيرا إذ توفى عام ١١٥٨م .

Rodrigo, Op. cit, p. 271 .

(٢) وتشير احدى المدونات إلى تلك القلعة كان اسمها قبل استيلاء المسلمين عليها هو Orcta وأخذت اسمها قلعة رباح بعد استيلاء المسلمين عليها .

Radas, Y . Andrada, Chronica de calatrava, p. I Cf. also: Lomax, La Reconquista, p. 143 .

(٣) الواقع أنى فضلت أن اتعرض لجماعة قلعة رباح بعد جماعتى القنطرة وشانت ياقب على الرغم من أن جماعة قلعة رباح هى أول جماعة تأسست ولكن لارتباطها بجماعة رهبان فرسان بابرة وللتنسيق وترتيب الأحداث بينهما فضلت ذلك التأخير .

جماعة رهبان فرسان القنطرة (القديس خوليان دى بيرو) :

Orden San Julian del Pereiro de Alcantara

وقد اختلف المؤرخون بالنسبة للعام الذى تأسست فيه جماعة رهبان فرسان القنطرة (١)، فيرى البعض أنها تأسست فى عام ١١٥٦م(٢)، بينما يشير رأى آخر بأنها تأسست عام ١١٦٤ م(٣) أما الرأى الثالث يحدد تأسيسها فيما بين عامى ١١٥٦-١١٧٦ (٤). والرأى الأخير فيحصر تحديدها بين عامى ١١٧٠-١١٧٥م(٥).

ولكن على الرغم من اصدار القرار البابوى بالتصديق على تأسيس هذه الجماعة عام ١١٧٧ / ٥٧٢هـ(٦)، يرى الباحث أن بذور تأسيس هذه الجماعة يرجع إلى عام ١١٥٦م /

---

(١) القنطرة Alcantara : مدينة تقع على نهر التاجة فى شمالها الغربى وتقع إلى الشمال الغربى من مدينة قاصرش بقرب الحدود البرتغالية ، وبالبحث فى مؤلف الادريسى نجد أنه ينكر مدينة قنطرة السيف ويشير بأنها (حصن منيع على نفس القنطرة وأهلها متحصنون فيه ولايقدر عليهم أحد على شئ والقنطرة لا يأخذها القتال إلا من بابها فقط ومن مدينة قنطرة السيف إلى مدينة قورية مرحلتان خفيفتان «الادريسى ص١٨٣ وأشار إليها قنطرة السيف العميرى بقوله «بالأندلس وهو حصن بينه وبين مارده يومان وهو حصن منيع على نهر القنطرة «العميرى ص١٦٤ ونجد أن الادريسى يرجع مرة أخرى فى الحديث عن نهر التاجة ويقول «إلى مدينة طليطلة ثم إلى طلبيرة ثم إلى المخاضة ثم إلى القنطرة ثم إلى قنيطرة محمود ثم إلى مدينة شنترين ثم إلى لشبونه فيصب هناك «الادريسى» ص١٨٦ .

والواقع أنه من خلال تحديد موقع قنطرة السيف نجد أنها تنطبق على مدينة القنطرة فمن خلال أنه بينها وبين مدينة قورية مرحلتان إذ أن القنطرة قريبة جدا منها وتقع إلى الجنوب الغربى منها وأن بينها وبين ماردة يومين توضح وتؤكد ذلك أيضا، إذ تقع ماردة إلى الجنوب والى الشرق قليلا من القنطرة ومن خلال الخريطة يتضح أن قنطرة السيف هى القنطرة المدنية التى سوف تصبح مركز جماعة رهبان فرسان القنطرة.

(٢) Vielva, R.R.: Ordenes Militares, Madrid, 1927, p. 14.

(٣) Conzales, J-Regesta de Femando , Madrid 1949, p. 91.

(٤) Contamine, P.La guerra en la Edad Media, Barcelona 1984.p. 96.

(٥) Martin Y, Dolores, Historia de Extremadura, T2, Badajoz 1985.p. 288.

(٦) Radas Y Andrado, chronica de Alcantara, Pl, CF. also : coeherin, op. cit., p. 3; Valdeavellano, L, G.Historia de España parte 2 Madrid 1973, p. 563.

ولمزيد من التفاصيل عن نشأة هذه الجماعة انظر:

Alfonso de torres, cronica de la orden Alcantara, Tl, Madrid 1763.

١٥٥هـ عندما اتفق الفارسان سويرو Suero ودون جومز Gomez من مدينة سلمنقة Sal-amanca(١) على نذر حياتهما لمقاتلة المسلمين، وقد وقع اختيارهما بمساعدة الناسك أماندو Amando على دير سان جوليان دى بيرو San Juilan de Pereiro ليكون مركزا لهم ، ويقع الدير على حدود مملكة البرتغال مع مملكة ليون على النهر المسمى كو Coa ، ولذلك فقد أطلق عليها اسم جماعة القديس خوليان دى بيرو (٢). ووجدوا كل تشجيع من أسقف سلمنقة وانتخب رئيسها الأول دون سويرو (٣) واتخذوا نظام جماعة السترشيان(٤) وهى إحدى فرق القديس بندكت لتكون نظاما للجماعة (٥).

---

(١) من المدن الهامة والكبيرة حاليا وتقع فى مقاطعة ليون ويشير إليها أبو الفدا بقوله «قال ابن سعيد ومدينة سلمنكه على شمال نهر قلمرية وبينها وبين مدينة قلمرية قاعدة غليسية مرحلتان وهى أعنى قلمرية فى سرقيها «أبو الفدا، تقويم البلدان، ص١٨٤-١٨٥ والواقع أن اشارة أبو الفدا بها أخطاء كبيرة فليس هناك نهر يسمى قلمرية إلا إذا كان يقصد به نهر التاجه بجانب أن قلمرية تقع إلى غربها وبمسافة كبيرة.

(٢) سميت تلك الجماعة باسم القنطرة وذلك عندما استولى الملك الفونسو الثامن على مدينة القنطرة عام ١٢١٣م ومنحها لهم.

Radas Y Andrado, chronica de Alcantara, P.8; , CF. also : Cocherin, op. cit., p. 3. king , E.J: The knights Hospitallers in the Holy Land , London 1931 , p. 310 , Vielva, Op. cit, p. 14 .

(٣) Radas Y Andrado, Op. cit , p. 1; Brandao , A. Monarquia Lusitana , Parte 3, Lisboa 1973 , p. 189 ; CF. also Gonzalez, Resgesta , p. 91; Lomax, D.W, Las Ordenes Militares en la peninsula Iberia , Salamanca 1976 , p. 60 .

اشباخ ، المرجع السابق، ج٢ ، ص١٢ .

(٤) أسس جماعة السترشيان راهب فرنسى يدعى روبرت وقد أسست حوالى عام ١٠٩٨م وغرضها العودة إلى التعاليم البندكتية الأولى مع ادخال نوع من التصوف فيها، وتجنب الملبس الفاخر والتمسك بالبساطة فى كل شئ وقد انقطع اتباع هذه الجماعة عن العالم إلى الجهات المقفرة واختصوا برعاية الاغنام وتعمير المناطق المقفرة وانتشرت اديرتهم بسرعة فى الغرب واخرجت لنا عددا من عباقرة ذلك العصر امثال القديس برنارد مؤسس ديرة المشهور فى كليوفوه ١١١٥ق .

انظر هامش رقم ١ ق١٧٣ فى كولستون ، عالم العصور الوسطى فى النظم والحضارة ، ترجمة وتعليق دكتور جوزيف نسيم يوسف ، اسكندرية ١٩٨٣ .

(٥) Callaghan , J.E., The Foundation of the order of Alcantara, 1176-1218 , The catholic Historical Review XL VII, N4, Washinhton 1962 , pp. 472-473 .

ونظرا لأن هذه الجماعة تأسست على حدود مملكة ليون مع مملكة البرتغال فقد شد هذا النظام انتباه الملك الفونسو هنريكز . ويبدو أن تلك الجماعة قد اشتركت فى القتال مع الملك فرديناند الثانى ضد سانشو الأمير البرتغالى ابن الملك الفونسو هنريكز فى معركة ارجنال[١] بتقديم خدمات معينة حيث انتصر الليونيون على البرتغاليون[٢]، ويوضح ذلك مكافأة الملك الليونى لهذه الجماعة ومنح رئيسها الثانى جومز امتيازات عديدة ومنها بعض القلاع الصغيرة والمحيطة بمدينة رودريك[٣] بعد تلك المعركة[٤] مما لفت نظر الملك الفونسو هنريكز إلى أهمية تلك الجماعات المتحمسة دينيا وأنه من الضرورى عليه أن يستميل تلك الجماعات ويبعدها عن نزاعاته مع الملك الليونى وملك قشتاله .

ولذلك سنراه يتبع مع تلك الجماعات دورا تعاونيا ومحاولة تحييدها بمنحهم الامتيازات والأملاك فى مملكة البرتغال وذلك من خلال الجماعات الرهبان الفرسان التالية .

---

(١) ارجنال : تقع بالقرب من مدينة رودريك بين أنهار تورنس Turones واجيدا
Agueda Vielva, Op. cit., p. 15 .

(٢) كان العداء ناشبا بين الملك البرتغالى الفونسو هنريكز والملك الليونى فرديناند الثانى فعندما حصن الملك الليونى مدينة رودريك الواقعة على الحدود مع مملكة البرتغال أمر الملك الفونسو هنريكز ابنه الأمير سانشو بالخروج بجيشه الذى وصل إلى مدينة رودريك واستولى عليها فى أواخر ١١٦٦م / ٥٦٢هـ وأوائل ١١٦٧م / ٥٦٢هـ مما دفع الملك فرديناند الثانى إلى ترك جبهة قشتاله والتى كان يحارب فيها وتوجه مع بعض قواته لمقاومة الجيش البرتغالى فى ارجنال .
Rodring Op. cit, p. 292 ; Lucas de Tuy, chronicon mundi, Hispanise Illustratae, T4, Francafurti 1608, p. 106; Primera cronica general de Espana, Madrid 1955; p. 675; CF. also : Suarez, L.F., Historia de Espana, Madrid 1970; p. 241; canovas del Castillo A, Historia gneral de Espana, Madrid 1983, p. 78.

ولمزيد من التفاصيل عن علاقة الفونسو هنريكز بالملك الليونى انظر: محمد النشار، نفس المرجع ص٨٨-١٠٣ .

(٣) وهى بالاسبانية Cuidad Rodrigo وبالقشتالية القديمة Cibdad ومنها حرفت التسمية العربية «سبطاط» عنان ، نفس المرجع ج٢ ، ص٣١ .

(٤) Vielva, op. cit, Loc cit.

جماعة القديس شانت ياقب Orden de Santiago

أما عن نشأة جماعة رهبان فرسان القديس شانت ياقب (القديس يعقوب) فتتزامن مع بداية استعادة الموحدين لزمام الأمور ضد الممالك المسيحية فى شبه الجزيرة الايبرية وخاصة فى النصف الثانى من القرن الثانى عشر الميلادى / القرن السادس الهجرى فى الوقت نفسه الذى تفاقمت فيه الخلافات بين الملوك المسيحيين مما دفع البابا اسكندر الثالث (١١٥٩-١١٨١م) إلى ارسال مبعوث لأجل احلال السلام بين ملوك شبه الجزيرة الايبرية[١] وهنا تجمع عدد من الفرسان فى مملكة ليون ارادوا نذر أنفسهم للجهاد وتوحيد صفوف المسيحيين من أجل قتال المسلمين . وكان يتزعمهم إثنان هما بدرو فرديناند Pedro Fernando[٢] سويرو رودريجز Sucro Eodrigues ثم ما لبث أن تطورت تلك الجماعة ونظمت نفسها وخاصة بعد استلام فرديناند الثانى ملك ليون مدينة قاصرش من خيرالدو سيمبافور (جرانده الجليقى)[٣] بعد حصار بطليموس وهزيمة البرتغاليين عام ١١٦٩م[٤] وقد اتخذوا مركزًا لهم فى احدى كنائس قاصرش وأسسوا مجموعتهم على نظام جديد يدعى اخوة قاصرش Fratres de Cacares وذلك عام ١١٧٠م / ٥٦٥هـ وفقا لمنهج القديس اوغسطين[٥]

---

(١) Radas Y Andrade Chronica De Santiago, p. 2.

(٢) Idem, pp. 3-4. CT. also : Valdeavellano, Op. cit., p. 564; Vielva, Op. cit., p. 9;Tout: The Empire and the papacy 918-1273. London 1924, p. 471.

(٣) كان من أشد الفرسان المغامرين وقائدا لفرقة من البرتغاليين والذين اعتمد عليهم الملك الفونسو هنريكز فى الاغارة والاستيلاء على العديد م القلاع والمدن الإسلامية ولمزيد من التفاصيل انظر:

Lopes, D, Cid Portugues, Geraldo , Sempavor.

وأيضا انظر : R.P.H. Tl, Ciombra محمد النشار نفس المرجع ص١٦٧ .

(٤) عندما تصادم الليونيون مع البرتغاليين قام الليونيون بمعاونة أهل بطليوس المسلمين ، وانتصروا على البرتغاليين ووقع الملك الفونسو هنريكز وتابعه خيرالدو سمبافور فى الأسر وكان ثمن اطلاق سراحهما هو تسليم خيرالدو لكل ما استولى عليه من المسلمين ومنها مدينة قاصرش ولمزيد من التفاصيل انظر محمد النشار – نفس المرجع، ص٩٨-١٠٠ .

(٥) وأحيانا كان يطلق عليهم اسم جماعة القديس اوغسطين :

Duarte, N. L., Chronica del Rei D. Alfonso Henriquez , Porto 1975 , p. 79 ; Radas Y Andrado, Chronica de Santiago , Barclona 1980 , pp. 4-12 .

وعهد إليهم بحماية المدينة ثم ما لبثوا بعد عام أن وضعوا أنفسهم تحت حماية الراعى القديس شانت ياقب واتخذوا اسما جديدا وهو جماعة رهبان القديس شانت ياقب[١].

وقد أكد المؤرخ مارتين من خلال الوثائق إن إخوة قاصرش قد تأسست عام ١١٧٠م / ٥٦٥ وقد شملها الملك فرديناند برعايته واعطاهم الكثير من المنح والعطايا واعترف بها أيضا الأسقف بدرو رئيس أساقفة شانت ياقب وفرض عليها حماية الراعى القديس شانت ياقب ومنحها بعض الأملاك والاقامة فى كنيسة الراعى[٢] . ومن هنا أضيفت مهام جديدة لجماعة القديس شانت ياقب بجانب قتال المسلمين مثل حماية طريق الحجاج إلى القديس شانت ياقب[٣]

= عاش القديس اوغسطين فى القرن الرابع وأوائل القرن الخامس (٣٥٤-٤٣٠م) وهو من أعظم أركان الكنيسة اللاتينية وأسست جماعة القديس أوغسطين فى القرن الحادى عشر الميلاد وشعارها الفقر والطاعة ومناهجها فى غاية الاعتدال بالنسبة لمناهج الجماعات الأخرى وهى منتشرة فى جميع أنحاء العالم المسيحى ، اشباخ ، نفس المصدر، ج٢ ، ص١٧ سعيد عاشور، أوربا العصر ج١، ص٣٢٣ . ولمزيد من التفاصيل عن أصل ونشأة هذه الجماعة انظر:

Martin, J.L : Origenes de la orden Militar de Santiago 1170-1195 Barcelona 1974 .

حاول بعض المؤرخين القدامى إيجاد جذور لتلك الجماعة منذ وقت راميرو ملك ليوم عام ٨٢١م ولكن الربط بين أى جماعة رهبان قديمة وجماعة القديس شانت ياقب يجانبه الصواب تماما . انظر :

Radas Y Androdo , Op. cit, p. 5 .

(١) Radas , Y Andrado, Op. cit, p. 6; CF. also : Martin Y Dolores , Op. cit, p. 288 . Mackay , Op. cit, p. 32; Vielva, Op. cit., p. 10; Valdeavellano, Op. cit., Loc cit .

(٢) Documento N 42, Martin, Op. cit, pp. 212-13 ; CF. also Vielva, Op. cit, p. 11 .

(٣) منذ منتصف القرن الحادى عشر بدأت احدى الظواهر الجديرة بالذكر وهى زيادة عدد الحجاج والذين يأتون من كل أنحاء أوربا المسيحية لزيارة القبر المقدس للراعى شانت ياقب. وهؤلاء الحجاج يجب أن يمروا من خلال طرق سيئة ويعبروا جبال وهى جبال البرينية وجبال اوكا وجبال ليون واجتياز أنهار خطيرة وأسرع الملوك والنبلاء والكنيسة للاعتناء وإصلاح الطرق وانشاء الجسور واعدوا الفنادق فى طرق المرور لأجل استقبال هؤلاء الحجاج والذين أحيانا يتشكلون فى مجموعات كبيرة. وكان ذلك يتطلب تعمير هذه الطرق من حانات ونزل ومستشفيات والمؤن وكان من أهم مشاكل تلك الطرق هو قطاع الطرق واعتدائهم على الحجاج فكان أهم مشاكلهم تأمين تلك الطرق وحراستها .

Lacarra, J.M. La Repolacion de Camino de santiago Zaragoza 1951 , pp. 223-224 .

ومحاولة هداية قطاع الطرق[١] وقد أصدر البابا اسكندر الثالث نشرة بالتصديق على تأسيس جماعة القديس شانت ياقب فى ٥ يوليو ١١٧٥م / ذى الحجة ٥٧٠هـ . والواقع أن البابوية قد شجعت تأسيس تلك الجماعات وما تمثله من تأكيد سيطرة البابوية الروحية والزمنية فى شبه الجزيرة الايبرية ، وأصبحت هذه الجماعات احدى وسائل البابوية فى بث روح الحروب الصليبية وما يمثل ذلك من ازدياد سلطة البابوية على الممالك المسيحية فى شبه الجزيرة الايبرية ، وهكذا كانت نشأة تلك الجماعات استجابة لسياسة البابوية، والتى باشرت مهمة الدعوة الصليبية الى طرد مسلمى الأندلس وثبات المسيحيين باخلاص تقربا إلى غفران ذنوبهم، ويمكن القول أن جماعات الرهبان العسكرية الايبرية كانت احدى فرق الجيوش الصليبية والمرتبطة بالنظام البابوى وسلطة البابوية الروحية والزمنية[٢].

انكب ملك ليون فرديناند الثانى[٣] والفونسو هنريكز ملك البرتغال على منح جماعة رهبان فرسان القديس شانت ياقب العديد من الاملاك والامتيازات فى أراضيهم . فالأخير- كما أوضحنا سابقا- كان على عداء مع فرديناند الثانى ملك اليون، ولكنه قام بمنح تلك الجماعة

---

(١) أشار اشباخ إلى أن جماعة القديس شانت ياقب تأسست من عدة فرسان من قطاع الطرق، كانوا من قبل يخوضون حياة همجية عنيفة ويرتكبون كثيرا من الآثام والجرائم فوعظهم رجال الدين ونصحوهم بالاستقامة والتوبة عما ارتكبوه، فتابوا عما ارتكبوه فى شبابهم من اثم، ووهبوا بقية حياتهم للدفاع عن دين المسيح ضد اعدائه وأن يقوموا بحماية الحجاج الذين يقصدون زيارة قبر القديس شانت ياقب (نفس المصدر ج٢ ص١٦-١٧) والواقع هذا خلط واضح من اشباخ وكون جماعة رهبان القديس ياقب اهدت بعض قطاع الطرق الذى انضموا إليها، لايعنى هذا أن قطاع الطرق هم مؤسسين تلك الجماعة .

Documento N73, Martin , Origenes, p. 248-253 .

أنظر أيضا :

Radas Y Andrado , Op. cit, p. 13 ; CF . also : Macky , op. cit, p. 33; contamine , Op. cit, p. 97 ; Valdeavellano , Op. cit, p. 564 .

(٢) Benito, Las Ordenes Militares Españolas Y La idea de cruzado, de Hispania 1956 , NLXII, pp. 6-7 .

(٣) الواقع كانت منح الملك فرديناند الثانى عديدة ومتنوعة وتوجد وثائق عديدة وكثيرة جدا وعلى سبيل المثال : Documentos N 43 , 50 , 51 Martin, Origenes de la orden Militar de Santiago .

على سبيل المثال وليس الحصر فى وثيقة مؤرخة بيونية ١١٧٢م / شوال ٥٦٧هـ موقعة فى قلمرية Coimbra والتى تتضمن :

«أنا الفونسو ملك البرتغاليين مع ابنائى سانشو وتريزا نمنح السيدين بدرو فرديناند والكونت رودريك وجماعتهما الرهبانية مدينة اردو- دوس- بنيوس Arrudo- Dos- Vinhos[١]

وفى العام نفسه أيضا سبتمبر ١١٧٢م / محرم ٥٦٨هـ نجد وثيقة أخرى توضح بأن الفونسو ملك البرتغال يمنح السيدين بدرو والكونت رودريك وجماعتهما الرهبانية شانت ياقب قلعة مونسانتو Monsanto بشرط أن منصب قائد الرهبانية العسكرية فى البرتغال لايكون من خارج أراضيها [٢].

ونفهم مما أوردته المصادر المسيحية أن فرديناند الثانى ملك ليون قد منح ووهب كثيرا من الأملاك والعطايا لهذه الجماعة التى قامت تحت كنفه وفى مملكته . ولكن يفسر منح الملك الفونسو هنريكز لهذه الجماعة أملاكًا وعطايا فى مملكته البرتغال على الرغم من عدائه مع الملك فرديناند الثانى[٣] بأنه قد أحسن بخطورة هذه الجماعات وقوتها وتأثيرها ولذلك أراد أن يستبعد تلك الجماعة من عدائه مع الملك الليونى، ولذلك فإنه تعين عليه أن يمنحها الأملاك فى البرتغال أى يكون لها فرع فى مملكته وبهذا يتحكم الملك الفونسو فى هذا الفرع ويجعل الجماعة تبتعد عن صراعاته مع الملك المذكور . ومما يؤكد ذلك ما يتضح فى المنحة الثانية من أنه يشترط أن يكون قائد فرع جماعة القديس شانت ياقب من البرتغاليين، وهذا ما يؤكد رأينا السابق فضلا عن أن الملك البرتغالى برعايته تلك الجماعة الدينية يحقق ميزتين أولهما : رضاء رجال الدين عنه وخاصة البابوية لورعه وتدينه وتدعيمه للجماعات الرهبانية العسكرية والتى وضحت من خلال حكمه ، وثانيهما : فى الاستفادة من تلك الجماعات فى الحروب وفى حراسة القلاع والحدود ومد يد العون للملوك فى حروبهم ضد المسلمين .

---

(١) Documento N 54 , Martin , Origenes, pp . 228-229 .

(٢) Documento N 56 , Martin , Origenes, pp. 230-231 ; CF; also : Vielva, Op. cit., p. 110 .

(٣) لمزيد من التفاصيل عن العلاقة بين الملك الفونسو هنريكز وفرديناند الثانى ملك ليون، انظر محمد النشار، المرجع نفسه، ص٨٨- ١٠٣ .

وهكذا اختير البرتغالى دون سويرو رودريك رئيسا لجماعة رهبان الفرسان شانت ياقب فى البرتغال واتخذ من بلماله Palmela[١] مقرا لهذه الجماعة والمركز الرئيسى لهم فى البرتغال[٢].

والواقع أن نشاط جماعة رهبان فرسان القديس شانت ياقب فى البرتغال يكتنفه الكثير من الغموض لعدم وجود مصادر تتحدث عن هذا النشاط وإن كانت هناك شذرات متفرقة فى الوثائق تكشف عن أن العداوة المستمرة بين مملكة ليون ومملكة البرتغال قد أدت إلى غموض هذا الدور لحساسية مركز الجماعة بين المملكتين ودائما كان الملك الفونسو هنريكز حذرا من تلك الجماعة .

ومن الجدير بالذكر أن هبات الملك الفونسو هنريكز لتلك الجماعة ترتكز على خط نهر التاجه وتتكامل مع منح الملك فرديناند الثانى والفونسو الثامن ملك قشتالة على امتداد أملاكهم على هذا النهر وذلك لجعلهم خط دفاع أمام هجمات الموحدين[٣] وفى تلك الفترة خاصة وأن تلك الجماعة تتكامل مع الجماعات الأخرى فى الدفاع عن هذا الخط وهو نهر التاجة . ولكن سرعان ما فقدت جماعة القديس شانت ياقب املاكها على نهر التاجه نتيجة لتعرضها للهجوم الموحدين فى عام ١١٧٣م / ٥٦٨هـ[٤] وإن كانت قد احتفظت بقلعة

(١) أوردها ابن عذارى قلماله ، البيان المغرب، القسم الثالث، نشر ميرانده، تطوان ١٩٦٠، ص١٨٥ ، وأوردها الحميرى بلماله ، صفة جزيرة الأندلس، القاهرة ١٩٣٧ ، ص١٠٧-١٠٨ ونميل إلى بلمالة لأن أصلها كلمة برتغالية وقريبة من نطقها بالبرتغالية - وتقع بلماله على الضفة الجنوبية لنهر التاجه إلى الشرق قليلا قبالة مدينة لشبونه وتعتبر احدى القلاع المدافعة عنها وهى لاتفصلها عنها سوى نهر التاجه ولذلك كان من الطبيعى أن استولى عليها الملك الفونسو هنريكز مباشرة بعد استيلائه على مدينة لشبونه ١١٤٧م / ٥٤٢هـ

Cronica dos Godos, Apendice Brandao, Cronica de conde D. Henrique, D. Teresa E infante D. Aifonso, Porto 1944; Chronicon Lusitano,E.S.T14, Madrid 1905, p. 414; Chronicon conimbricense, E.S., T23, Madrid 1850, p. 331; CF. also, Herculano, A. Historia de portugal, T3, Lisboa 1983, p. 107.

(٢) Martin, Op. cit, p. 37 .

(٣) Ibid, p. 83 .

(٤) شهد ما بين عامى ٥٦٧هـ : ١١٧٢م ، ٥٦٨هـ / ١١٧٣م معارك وصدمات كثيرة بين الموحدين وكل من البرتغاليين والقشتالين إذ أنه فى عام ١١٧٢م / ٥٦٧هـ كانت حملة الملك الفونسو هنريكز والتى استولى=

ابرانيس Abrantes[(١)] والتى دمرت فى هجوم الموحدين عام ١١٧٩م / ٥٧٥هـ ويدل على ذلك أنها ذكرت من ضمن أملاك الجماعة فى نشرة البابوية عن طريق البابا اسكندر الثالث فى ٢٦ يوليو ١١٨٠م غرة ربيع الأول ٥٧٦هـ [(٢)].

ويلاحظ الباحث أنه رغم المنح والهدايا التى منحها ملك البرتغال لجماعة القديس شانت ياقب إلا أن نشاطهم كان شبه معدوم فى مملكة البرتغال، مما يدعونا إلى الشك فى مدى ولائها للملك البرتغالى وتحولها إلى تعضيد الملك الليونى فى مواجهة البرتغال[(٣)] على الرغم مما منحه الملك الفونسو هنريكز لهم من أملاك لضمان حيادهم فى نزاعه مع فرديناند الثانى ملك ليون.

جماعة رهبان فرسان قلعة رباح Orden de Calatrava

تعتبر جماعة رهبان فرسان قلعة رباح[(٤)] هى أقدم جماعات الرهبان الفرسان الايبيرية (الوطنية) فى شبه الجزيرة الايبيرية : إذ أن سانشو الثالث (١١٥٧-١١٥٨م) ملك قشتاله

= فيها على مدينة باجة وقتل كثير من أهلها واحتفظ بها لمدة خمسة شهور ثم انسحب منها بعد هدم سورها واستحكاماتها عام ٥٦٨هـ / ١١٧٣م ثم أوائل شعبان عام ٥٦٨هـ/ مارس ١١٧٣م، خرجت حملة قشتالية بقيادة الكونت خمينو واخترقت أراضى الأندلسى وعاثت فسادا فى أحواز استجه وقرطبه واسروا وغنموا الكثير وعادوا إلى بلادهم، ولكن أرسل الخليفة جيشا وراهم استطاع ابادتهم وتوالت حملات الموحدين على حوض نهر التاجه وخرجت عدة حملات للهجوم على احواز مدينة طلبيرة وطليطلة وعلى خطوط نهر التاجه مما دفع القشتاليين والبرتغاليين إلى طلب الهدنة والتى عقدت فى ذلك العام لمدة خمس سنوات بين المملكتين السابقتين ومجمل التفاصيل السابقة انظر:

ابن صاحب الصلاة ، المن بالامامة على المستضعفين فى الأرض بيروت ١٩٦٤م، ص٥١٨، ٥٢٧ : ابن عذارى ، المصدر نفسه، ص١٠١-١٠٥ : عنان المرجع نفسه ، ج٢ ص٨٦-٩٠ : محمد النشار، المرجع السابق ، ص١٨٠-١٨٩ .

Huici, Historia politica de Imperio Almohade , Tetuan 1954 , pp. 266-273 Antuno, de los, Campañas de los Almohades en España , El Escorial 1935 , p. 57-60 .

(١) هى مدينة حالية بالبرتغال وتقع إلى الشمال الشرقى قليلا من مدينة شنترين على الضفة الشمالية لنهر التاجة.

(٢) Martin, Op. cit, pp. 83-84 ; Livermore, H, Portugal, University Press 1973 , p. 42 .

(٣) Martin, Op. cit., p. 81 .

(٤) وصفها الحميرى بقوله «بالاندلس أيضا من عمل جيان وهى بين قرطبة وطليطلة وهى مدينة حسنة =

بعد اتفاقه مع أخيه الملك فرديناند فى معاهدة ساهاجون عاد إلى طليطلة[1] فوصلته الانباء

= ولها حصون حصينة على نهر وهى مدينة محدثة فى أيام أيام بنى أمية وإنما عمرت قلعة رباح بخراب أوريط، وفى عام ٢٤١هـ أمر الامام محمد بتحصين مدينة قلعة رباح والزيادة فى مبانيها ونقل الناس إليها والى مدينة طلبيرة ثم ملكها النصارى، لم تزل فى أيديهم إلى عام وقيعة الأرك فخلت قبل الوصول إليها وكان بقاؤها فى أيديهم احدى وخمسين سنة عشرة أشهر فأمر المنصور يعقوب بن يوسف عبد المؤمن بتطهير جامعها وصلى فيها «الميرى» نفس المصدر ص١٦٣ .

وتشير مدونة رباح أن مكان مدينة قلعة رباح كانت مدينة تسمى اوريتو Oreto وأنه بعد الفتح الإسلامى اكتسب اسم قلعة رباح . Radas Y Andrado, Chronica de Calatrava, p. 1

(١) بوفاة الامبراطور الفونسو السابع ١١٥٧م فإن مملكة قشتاله- ليون قسمت حسب وصيته بين ولديه فتولى سانشو الثالث حكم مملكة قشتاله والأراضى التابعة لها فى أعالى نهر التاجه وعاصمتها طليطلة بينما تولى ابنه الآخر فريناند الثانى حكم مملكة ليون فضلا عن جليقية واستوريس مع حق السيادة والسيطرة على مملكة البرتغال ، ولكن سرعان ما بدأت المشاكل بين الأخوين اللذين عُقدت بينهما معاهدة ساهوجون وبمقتضاها تم تنظيم العلاقة بينهما وتقسيم مناطق الاسترداد لكل منهما وأيضا اقتسما مملكة البرتغال مما أدى إلى النزاع بين ملك ليون فرديناند الثانى مع الملك الفونسو هنريكز . ولمزيد من التفاصيل عن هذه النزاع انظر محمد النشار، نفس المرجع، ص٨٧-١٠٣ . وأيضا مصادر ذلك الموضوع انظر:

Lucas, Chronicon Mundi, p. 105 , Cronica Latina de los Reyes de castilla, p. 8; Cronicon de cardená , C.L.R., T1, p. 355 .

Documento N44, en el libero Gonzalez, El Reino de castilla en la epoca de Alfonso VIII, parte II, Documento 1145-1190 Madrid 1960; CF. also : Filemon, Reyes Leoneses, Leon1958, p. 266; Canovas, Op.cit, pp. 75-76 .

كان الإمبراطور الفونسو السابع ملك قشتالة استولى على قلعة رباح فى أواخر ٥٤١هـ (١١٤٧م) وذلك قبل استيلائه على ثغر المرية بأشهر قلائل وقد كانت تلك القلعة تمثل مركز هاما للمسلمين فى خطوطهم الدفاعية ضد مملكة قشتالة وكان سقوطها قد أحدث ثغرة خطيرة فى خطوطهم الدفاعية وكان هذا العام (١١٤٧م) هو عام المكاسب لجميع الممالك المسيحية والتى استولت على العديد من المدن انتهازا لفترة النفور بين المرابطين والموحدين .

Rodrigo , Op. cit, p. 271 ; Radas Y Andrado, Op. cit., p. 1 ; CF . also : Callaghan, Op. cit. p. 238 .

عنان ، نفس المرجع ج٢ ، ص٣٧٦ .

بأن هناك جيشًا ضخمًا للموحدين يزحف على قلعة رباح . وكان أبيه الإمبراطور الفونسو السابع قد تنازل عنها من قبل (عام ١١٤٧م) لجماعة رهبان فرسان الداوية لحمايتها وتحصينها – كما سبقت الإشارة– ولكن عندما أحس فرسان الداوية بأن القلعة هدف لحملات الموحدين فإنه رأوا عدم قدرتهم على مقاومة وصد هجوم الموحدين المنتظر، ولذلك فإنهم ردوا الهبة إلى الملك سانشو الثالث متعللين بأن ليس لديهم القوة الكافية للدفاع عن القلعة . وهنا فإن الملك سانشو عرض إعطاء القلعة لمن يريد أو يتقدم للدفاع عنها ، وعندما لم يتقدم أحد ، فإن ريموند Raimundo رئيس دير فيترو Fitero ومعه أحد الرهبان وهو ديجو بلاسكيث Diego Velazquz تقدما للملك وطلبا أن يعهد إليهما بهذه القلعة[١] وبدأ رئيس دير فيترو ومعه ديجو التجول فى نافار وقشتاله يدعو بالعظات الدينية للانضمام إليهم للدفاع عن هذه القلعة . وعادا برفقتهما ما يقرب من عشرين ألف من الرهبان والفرسان وأيضا المزارعين القاطنين فى حقول قلعة رباح وأوديتها وقلاعها للدفاع عنها . وكان لتحصين قلعة رباح وحشدها بالمقاتلة والفرسان الفضل فى انصراف المسلمين عن مهاجمتها وأصبح نظام قاطنى القلعة نظامًا ديريًا على طريقة السسترشيان[٢] بجانب العسكرية والفروسية ولكن سرعان ما

= وكان الامبراطور الفونسو السابع يرى أن قلعة رباح تحتل موقعًا مهمًا للدفاع عن الحدود المسيحية وتفهم الصعوبات التى تواجهها من حيث موقعها على الحدود مع المسلمين مما دفعه إلى منحها إلى جماعة الداوية حيث رأى دورهم وأهميتهم فى مملكة ارجون.

Radas Y Andrado . Op. cit, p. 4 .

(١) Rodrigo, Op. it, pp. 281-282; Radas Y Andrado, Op. cit., p. 5-15.

انظر خطاب منحها إلى الداوية فى:

Javierre, La orden de calatrava en portugal, Madrid 1952 , p. 5 .

لمزيد من التفاصيل انظر :

Callaghan, J. E., The affiliation of the order of calatrava with the order citeaux, Analecta, Sacri ordinis cistericiensis, XV, Rome 1959, pp. 178-180; Vielva, Op. cit, p. 17; Benito, Op cit. pp. 7-8; Lozoya, M. Historia de Espana, T2, Barcelona 1977, pp. 15-18.

اشباخ ، المرجع السابق، ج٢، ص١٧ .

(٢) Radas Y Andrado, Op. it. p. 14- CF. also : Macky Op. Op . cit, p. 32; Atkinson, spain, London 1934, pp. 51-52,Cam. Med . Hist, voll, pp. 409 .

توفى ريموند ١١٦٣م / ٥٥٨هـ واختير مكانه دون جارثيا كرئيس للجماعة وأعقبها فى عام ١١٦٤م/ ٥٥٩هـ صدور نشرة من البابا اسكندر الثالث بالموافقة على تأسيس جماعة رهبان فرسان قلعة رباح (١). واصطبغت الجماعة بصبغة شرعية ومن ثم عملت على خدمة الملك الفونسو الثامن - الذى خلف والده فى عرش مملكة قشتالة- بإخلاص، ومنحهم الامتيازات والأملاك العديدة(٢).

وكان لجماعة رهبان فرسان قلعة رباح اتصال بمملكة البرتغال أكثر من جماعتي القنطرة والقديس شانت ياقب السابقتين ونالت من جراء ذلك نصيبًا كبيرًا من منح وعطايا الملك البرتغالي الفونسو وهنريكز وعلى الأخص فى مدن يابره(٣)

---

(١) Lomax, Las Ordenes Militares, P. 53; Vielva, Op. cit, p.18; Valdeavellano. Op. it, p. 563.

(٢) Callaghan, J. E.sobre los origines de calatrava la nueva, Hispania XXin, Madrid 1963, p. 3-5; Lomax, Op. it, p. 53; Vielva, Op. it, pp. 17-18; king, Op it p. 308.

(٣) مدينة يابرة Evora وصفها الادريسى بقوله «مدينة يبورة كبيرة عامرة بالناس ولها سور وقصبه ومسجد جامع وبها الخصب الكثير الذى لايوجد بغيرها من كثرة الحنطة وسائر البقول والفواكه وهى أحسن البلاد بقعة وأكثرها فائدة والتجارات إليها داخلة وخارجة ومن مدينة يبورة إلى مدينة بطليوس مرحلتان نفس المصدر، ص١٨١ الحميرى نفس المصدر ص١٩٧ . ويصفها المؤرخ ترند «يابرة فى التاريخ الرومانى كانت مدينة كنسية رومانية والادريسى زارها فى القرن الثانى عشر والجغرافى الحميرى فى القرن الخامس عشر وهى قلعة حصينة Trend, Portogal, London, 1957,p. 48 وكان قد استولى عليها خيرالدو سيمبافدر فى ١١٦٦م / ذى القعدة ٥٦٠ لحساب سيده الملك الفونسو هنريكز وقد استخدم تكتيكاته الحربية الشهيرة حيث أنه فى احدى الليالى المظلمة اتجه بفرقته إلى برج قلعتها المعروف باسم الطليعة وصعد خيرالدوا السرور مع فرقته منتهزا فرصة استغراق حارس البرج فى النوم ووصل إلى أعلى البرج ودخل إليه وقطع رأس حارسه واقتحم المدينة واستولى عليها بعد قتل سكان المدينة. انظر التفاصيل فى المدونات البرتغالية ومراجعها:

Cronica dos Godos, p. 272; Chronicon Lusitano, p. 415; Duarte, Op. it, p. 80' Brandao, A, Monarquio Lusitana, Parte 3, Lisboa 1973. p. 220-221; CF. also : Lopes, Op. it, pp. 94- 95; Coelho, A.R. Portugal Na Espanha Arabe, Vol. III, Lisboa 1973, pp. 277-278.

وأيضا المصادر العربية ابن صاحب الصلاة ، نفس المصدر ص٣٧٣ ، ابن عذارى نفس المصدر والجزء، ص٧٨ ، محمد النشار، نفس المرجع ص١٦٨-١٦٩ .

وشنترين(١) وألبيدرزيز Alpedriz وقلمرية(٢) ونجد أنه حدث تداخل كبير بين جماعة رهبان فرسان قلعة رباح وجماعة رهبان فرسان يابره، مما جعل فريقًا من المؤرخين يربطون بينهما واعتبروا الأخيرة ما هى إلا إحدى فروع جماعة قلعة رباح فى البرتغال بينما يرى بعض المؤرخين أن جماعة يابرة هى جماعة مستقلة وإن كانت قد تأثرت بنظامها ولائحتها من جماعة قلعة رباح لأن الاتصالات بينهما كانت قوية، وسوف نلقى فيما يلى بعض الضوء على جماعة رهبان فرسان يابرة :

---

(١) شنترين Santarem فقد وصفها الادريسى بقوله «على جبل عال كثير العلو جدا ولها من جهة القبلة حافة عظيمة ولاسور لها، وبأسفلها ربض على طول النهر وشرب أهلها من مياه عيون ومن ماء النهر أيضا ولها بساتين كثيرة وفواكه عامة ومباقل وخير شامل» المصدر السابق ص١٨٦ وقد وصف ابن خاقان مناعتها بقوله «فأخبرنى أنه سايره إلى شنترين قاصية أرض الإسلام السامية الذرى والاعلام التى لايروعها صرف ولايقرعها طرق ، لأنها متوعرة المراقص معفرة للراقى، متمكنة الرواسى والقواعد من ضفة نهر استدار بها استدارة القلب بالساعد، قد اطلت على خمائلها اطلال العروسى من منصتها واقتطعت فى الجو أكثر حصنها» ابن خاقان، قلائد العقيد ، مصر ١٢٨٣هـ، ص٤٣-٤٤ ولمزيد من التفاصيل انظر وصفها فى المؤلفات التالية، الحميرى ، المصدر السابق، ص١١٣ ، أبو الفدا ، تقويم البلدان باريس ١٨٩٠، ص١٧٢-١٧٣ ، القزوينى آثار البلاد وأخبار العباد ، بيروت ١٩٧٩، ص٥٤٢ ، ابن غالب ، فرحة الانفس فى تاريخ الأندلس، القاهرة ١٩٥٦، ص٣٢ ، الاصطخرى، المسالك والممالك القاهرة ١٩٦٦م، ص٣٥ ولمزيد من الأحداث عن استيلاء البرتغاليين عليها ، انظر محمد النشار ، المرجع نفسه، ص١٤٢-١٤٤ .

(٢) قلميرة Coimbra أشار إليها الحميرى بقوله «بالأندلس من بلاد برتغال ، بينها وبين قورية أربعة أيام، وهى على جبل مستدير وعليها سور حصين ولها ثلاثة أبواب وهى فى نهاية من الحصانة ، وهى صغيرة متحضرة عامرة كثيرة الكروم والتفاح والقراسيا ومكانها فى رأس جبل تراب لايمكن قتالها وهى على نهر عليه ارجاء» نفس المصدر، ص١٦٤ وكان قد استولى عليها فرديناند الأول ملك ليون عام ١١٦٤م / ٤٥٦ من قبلها لاميجو وبازو وكون منهم كونتيه البرتغال وعاصمتها قلمرية ورعين ششند المستعرب حاكما عليها ولمزيد من التفاصيل انظر:

Lucas, Cronica de Espana, p. 279; El cronicon del Monje silense, C.I.R. T2, pp. 129-135; Cronicon complutense. C.L. R., Tl, p. 55; Cronicon de lo Reyes Leoneses, C.L.R., Tl, p. 232; CF. also: Herculano, Op. cit, Tl, Lisboa 1988, p. 263.

٥٦٠هـ(١) وهذا أمر طبيعى إذ كان على الملك البرتغالى الفونسو هنريكز أن يختار مجموعة من المحاربين الأشداء والذين يتصفون بالرهبنة لحماية تلك المدينة الحصينة والمتقدمة على حدود المسلمين وتعمير ما حولها .

أما عن اختيار أول رئيس لهذه الجماعة فقد تضاربت الآراء حوله فالبعض يذكر أنه اختير لرئاسة تلك الجماعة الجديدة جونثالث بيجاس وكان برتغاليا وابنا للنبيل البرتغالى ايجاز فافيس Egas Fafes(٢) كـأول سيد لجماعة يابرة بينما تشير بعض الروايات إلى أن بدرو الفونسو كان أول سيد لها»(٣).

على أية حال فإن الملك الفونسو هنريكز اهتم بتشجيع تلك الجماعة ومنحها كثيرا من الامتيازات والعطايا فعلى سبيل المثال قدم احدى الهبات إلى جونثالو بيجاس Gonzalo Viegas سيد جماعة يابرة والتى اشتملت على قلعة كورش Coruche واحد القصور وبعض المنازل فى مدينة يابرة نفسها وأيضا بعض المنازل فى شنترين وسسريجو Seserigo(٤) وكان ذلك فى أبريل ١١٧٦م / شوال ٥٧٦هـ . وأيضا فى وصيته التى وضعها عام ١١٧٩م / ٥٧٥هـ قسم فيها أمواله وتصدق بها على روحه إلى الكثير من الهيئات كان من بينها جماعة رهبان فرسان يابرة والتى منحها عشرة آلاف مارفيدس Maravedises(٥) لأجل الدفاع عن مدينة يابرة

(١) Javierre, Op. cit, p. 12.

(٢) Oliveira, Op. cit, Loc Cit ; Javierre, Op. ccit , p. 13 .

(٣) هناك رواية بأن السيد الأول للجماعة كان بدرو الفونسو Pedro Alfonso الأخ غير الشرعى للملك الفونسو هنريكز وذلك من خلال احدى الوثائق الخاصة بنشأة تلك الجماعة . اشباخ المرجع نفسه ، ج٢ ص١٧ .Cocherin, Op . cit, Loc. cit والواقع أن الوثيقة الخاصة بنشأة تلك الجماعة قد ثبت زيفها وفى الوقت نفسه فإن بدرو الفونسو كان ابنا للكونت هنرى البورجونى من احدى محظياته والذى كان لديه من العمر عند وفاة أبيه ٩ سنوات وكان قد اشترك فى معارك كثيرة مع أخيه الملك الفونسو هنريكز وتوفى عام ١١٦٩م .

Brandao , Mon .., Lus.., pp. 204-205 ; CF. also : Benevides, Op. cit, p. 66; Oliveria , Op. cit, p. 347 ; Cocherin, Op. cit, pp. 5-6 .

(٤) انظر نص الوثيقة فى Javierre , Op. cit,p. 15. وانظر أيضا :

Brandao , Mon ... Lus , pp. 205 ; CF . also : Oliveria, Op. cit, p. 346 .

(٥) الواقع أن هذه العملة تستخدمها مملكة البرتغال حينئذ وقد بحثنا كثيرا فوجدنا فى احدى المؤلفات =

جماعة رهبان فرسان يابرة Orden de Evora (Aviz)

وقد اختلفت آراء المؤرخين فى تاريخ نشأتها فالبعض يرجعها إلى ما بعد معركة اوريك بقليل أى بعد عام ١١٣٩م / ٥٣٣هـ حيث تجمع عدد من الفرسان يتبعون مباشرة رئيس دير سستر[١] لمحاربة المسلمين[٢] بينما يشير البعض الآخر بأنها نشأت من مجموعة من المحاربين اشتركوا مع الملك الفونسو هنريكز فى الاستيلاء على مدينتى شنترين ولشبونه ١١٤٧م / ٥٤٢هـ ومن ثم نذروا أنفسهم لأجل اتباع الملك فى حروبه ضد المسلمين وأنهم طوروا أنفسهم فيما بعد حيث أنهم فى عام ١١٦٢م / ٥٥٧هـ أسسوا مع مجموعة من الرهبان البندكتيين جماعة عرفت باسم فرسان يابرة [٣] إذن فهذا الرأى يرجع تأسيسها إلى عام ١١٦٢م / ٥٥٧هـ باتحاد العسكرية مع الرهبنة . ولكن الرأى الأقرب إلى منطق الأحداث هو الذى يوضح بأنه بعد استيلاء الملك الفونسو هنريكز على مدينة يابرة عام ١١٦٦م / ٥٦٠هـ عن طريق تابعه خيرالدو سيمبافور فكر الملك البرتغالى فى تأسيس جماعة رهبان فرسان برتغالية[٤] نظرا لما تقدمه تلك الجماعات من خدمات مفيدة للمملكة وأن وجود جماعة برتغالية تحدث نوعا من التوازن بين تلك الجماعات .

وجدير بالذكر أن كثيرا من المؤرخين وعلى الأخص الباحث المشهور ازيفيدو-Rui de Azevedo والذى عكف على دراسة الوثائق حول أصل ونشأة جماعة رهبان فرسان يابرة وأكد وجودها بعد قليل من الاستيلاء على مدينة يابرة من المسلمين عام ١١٦٦م /

---

(١) كان دخول الرهبان السسترشيان إلى البرتغال يرجع إلى عام ١١١٩م عن طريق الفرنسيين .
Brandao, Cronica de conde D. Henrique, p. 182 .

(٢) Brandao, Mon...,Lus.., p. 204; CF also : javierre, Op.cit, p. 12; Cocherin F.M. cal-atrava Y las ordenes Militares ponugueses, cuidad Real 1959; p. 5, Navarrte, Op. cit, p. 47.

(٣) Brandao, Mon..., Lus., p. 204; CF. also: Cocherin, Op cit, Loc Cit; King, Op. it, p. 308.

اشباخ ، المرجع السابق، ج٢٢ ، ص١٧ .

(٤) Duarte, Op. cit, pp. 95-96; CF. also : Oliveira, Origens da ordem de cistercm portugal, R.P.H. Coimbra 1951, p. 346; Cocherin, Op. cit, Loc. cit; Lomax, La Reconquista, p. 146.

واستقبالهم للمسيحيين الفارين من الجنوب الذين لم يرغبوا في العيش تحت حكم مسلمى الأندلس وذلك بإعداد مأوى للفقراء منهم وللحجاج (١)، واتبعها عام ١١٨١م / ٥٧٧هـ بمنحة عبارة عن أحد العقارات في مدينة يابرة نفسها(٢).

أما عن صلة هذه الجماعة بجماعة رهبان فرسان قلعة رباح وهل هي فرع من فروع هذه الجماعة أم أنها جماعة جديدة مستقلة، فسوف نوضح عدة نقاط نستطيع بها الاجابة على ذلك.

الأول : جماعة فرسان يابرة أخذت لائحتها ونظامها من لائحة ونظام جماعة رهبان فرسان قلعة رباح. حيث كانت نظمها هي نفس نظم فرسان قلعة رباح ومشتقة مثلها من نظم الآباء السسترشيان وتتلخص واجبات الأخوة في أن يجاهدوا من أجل الدين المسيحي وأن ينزلوا الميدان دائما لقتال المسلمين وأن يكونوا خاضعين لكبير فرسان قلعة رباح بالرغم من أن لهم رئيسا خاصا (٣).

الثاني: أنه بعد الاستيلاء على مدينة يابرة في عام ١١٦٦م / ٥٦٠هـ حضر عدد من أعضاء جماعة قلعة رباح في نفس العام لأجل تأسيس مركز لهم في مدينة يابرة واتخذوا لقب اخوة يابرة أو قلعة رباح Frailes de Evora calatrava (٤).

= أنها تستخدم نفس الكلمة لاستعمال النقود في أسبانيا المسيحية أيضا وهي عملة ذهبية تختلف وزنها حسب كل عصر ويبدو أنها العملة الرئيسية لكل شبه الجزيرة . انظر:

Dufourcq Y otro , Historia Economica Y social de la Espana Cristiana en la Edad Media, Barcelona 1983 , p. 207-209 .

(١) انظر نص الوثيقة في :

Saraiva, Historia de Portugal, Madrid 1989, p. 76 ; Javierre, Op. cit, p. 13 .

(٢) انظر نص الوثيقة للمنحة في :

Javierre, Op. cit., p. 15 .

(٣) Brandaa, Mon ..., Lus ..., p. 205 .

اشباخ ، المرجع السابق، ج٢، ص١٧ .

(٤) Cocherin , Op. cit, p. 6 .

الثالث : أنه بعد الاستيلاء على مدينة يابرة منح الملك الفونسو هنريكز أملاكًا عديدة فى مدن البرتغال وخاصة فى مدينة يابرة لجماعة رهبان فرسان قلعة رباح(١).

الرابع : توجد وثيقة رومانية تذكر مدينة يابرة من بين أملاك جماعة رهبان فرسان قلعة رباح وأن أخوة يابرة كانوا فرعا من جماعة رهبان القلعة المذكورة (٢).

خامسا : في وصية الملك الفونسو هنريكز جاء بها أنه منح قلعة رباح فى مدينة يابرة عشرة آلاف مارفيدس (٣).

سادسا : يرى المؤرخ خابير Javierre أن هذه الجماعة كانت حتى ١١٨٧م منظمة إلى جماعة قلعة رباح لأنه كان لديها نفس الامتيازات الروحانية والقانونية) (٤).

سابعا : كان هناك بين جماعة قلعة رباح وجماعة رهبان يابرة اتصال وثيق إذ أن فرسان قلعة رباح فى عام ١٢١٢م(٥) حولت أملاكها فى البرتغال لجماعة ابيز على شرط أن يكون لمقدمهم (سيدهم) حق الزيارة والتفتيش عليهم(٦) ويعنى ذلك أنه فى مراحل متأخرة تم فك الاشتباك بين جماعة يابرة سابقا وابيز Aviz حاليا وجماعة رهبان فرسان قلعة رباح .

ثامنا : كانت جماعة يابرة (ابيز) حظيت بموافقة الباب انوسنت الثالث عام ١٢١٢م على وضعها تحت حماية البابوية والتى أصبحت تحت اسم جماعة ابيز والتى كنا قد منحهم الفونسو الثانى ملك البرتغال مدينة ابيز عام ١٢١١م (٧).

---

(١) Vielva, Op. cit, p. 18.

(٢) Cocherin, Op. cit, p. 7.

(٣) Saraiva, Op. cit, p. 76.

(٤) Javierre, Op. cit, p. 8; Martin, La Peninsula, p. 361; Contamine, Op. cit p. 96; co-cherin, Op. cit, p.5.

(٥) هذا تاريخ متأخر عن الفترة الزمنية لموضوع البحث ولكنه ضرورى ليوضح أن تلك الجماعة كانت عند تأسيسها غير مفصلة عن قلعة رباح.

(٦) King, Op. cit, p. 308 .

(٧) Brandao , Mon.., Lus ..., pp. 205-206 .

اشباخ ، المرجع نفسه، ج٢ ، ص١٨ .

ويتضح من خلال ما عرضته أن جماعة أخوة يابرة قد نشأت وتأسست فى ظل جماعة قلعة رباح وأخذت نظامها عنها . ولائحتها والدليل على ذلك أنه فى عام ١١٦٦م - كما أشرنا- حضر عدد من جماعة رهبان فرسان قلعة رباح إلى مدينة يابرة بعد فتحها بفترة قليلة أى فى نفس العام لتأسيس جماعة يابرة وأسسوا جماعة تدعى أخوة يابرة أو قلعة رباح . ويعنى ذلك أن الجماعتين ما هما إلا جماعة واحدة وأن مجموعة فرسان قلعة رباح اتحدوا مع مجموعة من فرسان برتغاليين ورهبان أيضا وشكلوا أخوة يابرة كفرع لجماعة قلعة رباح فى البرتغال ولذلك أطلق عليهم أخوة يابرة أو قلعة رباح Frailes de Evora o calatrava . وظل الحال كذلك إلى أن صدر المرسوم البابوى بالاعتراف بجماعة يابرة مثلها مثل باقى الجماعات الأخرى عام ١٢١٢م / ٦٠٩هـ فأصبحت منذ ذلك الحين جماعة مستقلة مثل جماعة قلعة رباح تحت اسم جماعة ابيز .

بيان بالمختصرات الوارد ذكرها فى الحواشى

A.P. : Annales portugalenses.

C.L.R.: Las cronicas latinas de la Recoaainsta

R.P.H.: Revista portuguesa de Historia.

E. S. : Espana Sagarada.

Mon. Lus.: Monarquia Lusitana.

مصادر ومراجع :

أولا مجموعات الوثائق

- Documento N4 en Eijan, S,Relaciones mutus de Espana Y tirra sanla, Santiago 1912.
- Documento N44, en Gonzalez, J, El Reine de castilla en la epoca de Alfonso VIII, parte, 2, Documentos 1145,119(h Madrid 1960.
- Documento en Martin, JJL., Origenes de la orden Militar de Santiago (1170-1195) Barcelona 1974.
  Documento N 42.
  Documento N 43.
  Documento N 54.
  Documento N 73.
- Documentos Historia de Espana, VoL (s/d).

ثانيا : المصادر الأجنبية

- Alfonso de Torres: Cronica de la ooden de la Alcantra Tl, Madrid 1763.
- BrandaoA:
  1- Cronica de conde D. Henrigne D. Teresa E. infante D. Alfonso porto 1944.
  2- Monarquia Lusitana. parte 3, Usboa, 1973.
- Chronicon Conimbriconse: Espana Sagrada, T23, Preparar por Henrique Florez, Madrid 1850.
- Chronicon Luistana : Espana Sagrada, T14, preparar por

Henrique Florez, Madrid 1905.

- Cronica dos Godos : Apendice Brandao, cronica de conde D. Henrique D. Teresa E. infante D. Aifonso, Porto 1944.
- Cronica Latina de los Reyes de Castilla. Traduccion Luis chario Brea, Universidad de cadiz 1984.
- Cronica de la corona de Aragon Ano, 1919.
- Duarte Nunes, de leao : cronica dos Reis de portugal. Chronica del Rei D. Aifonso Henriquez. porto 1975.
- Las Cronicas Latinas de la Reconquista, Traduccion Por Huici, A.M.
  1- Cronicon de los Reyes Leoneses.
  2- Cronicon Complutense.
  3- Cronicon de cardena TI, Valencia 1913.
  4- El Cronicon del Monje silense.
  5- La cronica de Aifonso El Emperador. T2, Valencia 1913.
- Lucas de tuy:
  1- Chronicon Mundi, Hispanise Illustratae, T4, Franconfurd 1608.
  2- Cronica de Espana. Madrid 1926.
- Primera cronica general de Espana publicada por Ramon menendez pidal, Madrid 1955.
- Radas Y Andrado: Cronicas de las tres Ordenes:
  1- Cronica de Santiago
  2- Cronica de calatrava.
  3- Cronica de Alcantra, Barcelona 1980.
- Rodrigo, Jimenez de Rada. Historia de los hechos de Espana, Madrid 1982.
- Zurita, J: Anales de la corona de Aragon TI, Zaragoza 1976.

ثالثا : المصادر العربية :

ابن أبى زرع : (ت ٧٢٦هـ / ١٣٢٦م) أبو الحسن على بن عبدالله «الأنيس المطرب بروض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس» طبعة كارل يوحنا - اوبساله ١٨٤٣م.

ابن صاحب الصلاة : (ت ٥٩٤هـ / ١١٩٨م) عبد الملك بن صاحب الصلاة . «المن بالإمامة على المستضعفين فى الأرض» تحقيق الدكتور عبد الهادى التازى- بيروت ١٩٦٤م.

ابن عذارى : (ت ٧١٢هـ / ١٣١٢م) أبو عبدالله محمد المراكشى «البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب»، القسم الثالث - نشر ميرانده - تطوان ١٩٦٠م.

ابن غالب : (عاش فى القرن السادس الهجرى/ الثانى عشر الميلادى) محمد بن أيوب بن غالب الغرناطى . «قطعة من كتاب فرحة الأنفس فى تاريخ الأندلس» تحقيق لطفى عبد البديع- القاهرة- ١٩٥٦م.

ابن الكردبوس : (عاش فى القرن الساد الهجرى/ الثانى عشر الميلادى) أبو مروان عبد الملك بن الكردبوس «تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط» تحقيق الدكتور أحمد مختار العبادى، معهد الدراسات الإسلامية بمدريد ١٩٧١م.

أبو الفدا : (ت ٧٣٠هـ / ١٣٣١م) الملك المؤيد عماد الدين أبو الفدا اسماعيل «تقويم البلدان» باريس ١٨٩٠م .

الادريسى : (ت ٦٥٠هـ / ١٢٥٢م) الشريف محمد بن عبد العزيز «صفة المغرب وأرض السودان ومصر والاندلس ووصف أفريقيا وأسبانيا» تحقيق دوزى - امستردام ١٩٦٩م.

الحميرى : (عاش فى القرن التاسع الهجرى/ الخامس عشر الميلادى) ابن عبدالله محمد بن عبدالله بن عبدالمنعم» صفة جزيرة الاندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار فى خبر الاقطار». تحقيق ليفى بروفنسال - الاقهرة ١٩٣٧م.

الاصطخرى: (ت ٣٥٠هـ / ٩٦٢م) ابى اسحق ابراهيم بن محمد «المسالك والممالك» تحقيق الدكور محمد شفيق غربال وآخرون - القاهرة ١٩٦١م .

القزوينى : (ت ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م) زكريا بن محمد بن محمود «أثار البلاد وأخبار العباد» بيروت ١٩٧٩م.

رابعا : المراجع الأجنبية :

- Antuno, P. : Campanas de los Almohades en Espana, El-Escorial, 1935.
- Atkinson, W.C.: Spain, London 1934.
- Benevides, F.E: Rainhas de portugal, TI, Lisboa 1878.
- Benito, E.R.: Las ordenes Militaras Espanoles Y La idea de cruzada de Hispania 1956, NLXIL
- Bosch, J.V.: Los Almoravides, Tetuan 1956.
- Callaghan, J.E.:
  1- Sobre las Origines de calatrava la nueva, Hispania XXm, Madrid 1963.
  2- A history of Medieval spain, London 1975.
  3- The affiliation of the order of calatrava with the order of citeaux.
  4- The foundaion of the order of Alcantra 1176-1218. The catholic Historical Review, A, XL VII, No. 4, Washington 1962.
- Canovas del castillo : Historia general de Espana, Madrid1893.
- Castro, A : La realidad historica de España Mexico 1987 .
- Chapman, C.:A history of spain, New York 1931.
- Cocherin, F.M. : Calatrava Y las ordenes Militares portugueses, cuidad Real 1959.
- Coelho, A.B: Portugal Na Espanha Arabe, Vol. III, Lisboa 1973.
- Contamine, P.: La guerra en la Edad Media. Barcelona 1984.
- David, P. : Etudes Historiques sur la Galica e le portugal du VI au Xn siecle, paris 1947.
- Dufourcq Y Gauer : Historia Econonca Y social de la Espana cristiana en la edad Media. Barcelona 1983.
- Filemon de la Guesta: Reyes Leoneses, Leon 1958.

- Fory, A.J. : The Templars in the corona de Aragon, London 1973.
- Gonzales, J: Regesta de Femando n, Madrid 1943.
- Javierre: La orden de calatrava en portugal, Madrid 1952.
- Herculano, A: Historia de portugal, T3, Lisboa 1983.
- Huici, A.M. : Historia politica del imperio Almohade, Tetuan 1956.
- King, E.J: The knights Hospitallers in the Holy Land, London 1931.
- Lacarra, J.M. :
  1- Aifonso El Batallador, Zaragoza 1978.
  2- La conquista de Zaragoza por Alfonso I, Al-Andalus, Vol XII, 1947.
  3- La Repoblacion del camino de Santiago, Zaragoza 1951.
- Ledesma, R.: Templarios Y Hospitalarios en el Raino de
- Aragon, Zaragoza 1982.
- Livermore, H: Portugal, University press 1973.
- Lomax, D.W.:
  1- Las ordenes Militares en la peninsula Iberia, Salamanca 1976.
  2- La Reconquista, Barcelona 1984.
- Lopes, D.: Cid portugues, Geraido Sempavor R.P.H. Tl, Coimbra 1940.
- Lozoya, M.: Historia de Espana, T2, Barcelona 1977.
- Mackay A.: La Espana de la Edad Media, Madrid 1985.
- Martin, J.L.:
  1- Origenes de la orden Militar de Santiago 1170-1195, Barcelona 1974.
  2- La peninsula en la Edad Media, Barcelona 1978.
- Martin Y Dolores : Historia de Extremadura, T2, Badajoz 1985.

- Navarrete, M.F.: Espanoles en las cruzadas, Madrid 1986.
- Oliveira, P.M.: Orignes da ordem de dster em portuguese, R.P.H., Coimbra 1951.
- Painter, S: History of the Middie Ages 284-1500, NewYork 1954.
- Pidal, R.M.: Espana del cid, Buenos Aires 1939.
- Recuero, A.M.: Aifonso VII, Emperador, Leon 1979.
- Saraiva, J.H: Historia de portugal. Madrid 1989.
- Suarez, L.F.: History de Espana, Edad Media, Madrid 1970.
- Tout, M.A.: The Empire and the papacy, London 1924.
- Trend, J.B.: Portugal, London 1957.
- Valdeavellano, L.G.: Historia de Espana, Segunda parte, Madrid 1973.
- Vielva, R.P.: Ordenes Militares de Santiago, Alcantara, Calatrava Y Montesa, Madrid 1927.

خامسا : المراجع العربية المترجمة :

أحمد مختار العبادى : «دكتور» تاريخ المغرب والأندلس- الاسكندرية.

اشباخ : «يوسف» تاريخ الاندلس فى عهد المرابطين والموحدين»ج١ ، القاهرة ١٩٤٠م، ج٢ القاهرة ١٩٤١م.

حسن أحمد محمود : «كتور» قيام دولة المرابطين - القاهرة ١٩٥٧م .

حسين مؤنس : «دكتور» الثغر الأعلى الاندلسى فى عصر المرابطين، فصلة من مجلة كلية الآداب ، المجلد الحادى عشر، الجزء الثانى ديسمبر ١٩٤٩م ، القاهرة.

سعيد عبد الفتاح عاشور : «دكتور» أوربا العصور الوسطى، ج١ ، القاهرة ١٩٧٥م.

السيد عبد العزيز عاشور : «دكتور» ١- تاريخ الدولة العربية ، ج٢، الاسكندرية ١٩٨٤م .
٢- فى تاريخ وحضارة الاندلس الاسكندرية ١٩٨٥م.

السيد عبد العزيز سالم ، أحمد مختار العبادى: تاريخ البحرية الاسلامية ، ج١، ج٢ ، الاسكندرية ١٩٨١م.

عبد القادر اليوسف : «دكتور» علاقات بين الشرق والغرب بين القرنين الحادى عشر والخامس عشر، بيروت ١٩٦٩ م.

عبد المنعم ماجد : «دكتور» التاريخ السياسى للدولة العربية ، ج٢، القاهرة ١٩٧٩م.

كولستون : عالم العصور الوسطى فى النظم والحضارة . ترجمة وتعليق دكتور جوزيف نسيم بوف» الاسكندرية ١٩٨٣م.

محمد عبدالله عنان : ١-٩ عصر المرابطين والموحدين ، جزآن ، القارة ١٩٦٤م . ٢- الاعلام الجغرافية والتاريخية الاندلسية المعهد المصرى بمدريد ١٩٧٦م.

محمد محمود النشار: «دكتور» السياسة الخارجية لألفونسو هنريكز ملك البرتغال ١١٢٨-١١٨٥م رسالة دكتوراه ١٩٩٢- جامعة طنطا ، لم تنشر بعد .

- ٤ -

مدينة شلب بين البرتغاليين والصليبيين والموحدين
(١١٨٩-١١٩١م / ٥٨٥-٥٨٧هـ)

احتلت مدينة شلب مكانا هاما فى غرب الأندلس Algarve بعد سقوط كل من قاعدتى باجه[1] ويابره[2] فى أيدى البرتغاليين ، فهى تعتبر من امنع قواعده، وحاضرة إقليمه منذ

---

(١) باجه : مدينة فى جنوب البرتغال فى منتصف الطريق بين يابره Evora وفارو Faro شنمرية الغرب) وهى من أقدم مدن الأندلس بنيانا واختطاطا وينتمى إليها يوليوس قيصر وهو أول من سمى قيصر والذى سماها باجه وتفسير اسمها فى كلام العجم «الصلح» وحوز باجه وخطتها واسعة ولها معاقل موصوفة بالمنعة والحصانة.

الحميرى، صفة جزيرة الأندلس، نشر ليفى بروفنسال ، القاهرة ١٩٢٧، ص٣٦ وانظر أيضا ابن الكردبوس ، تاريخ الأندلس ووصفه لابن الشباط ، تحقيق دكتور أحمد مختار العبادى، معهد الدراسات الإسلامية بمدريد ١٩٧١، ص١٤٦ .

وفى عام ٥٧٤هـ / ١١٧٨م استولى عليها الأمير سانشو ولى عهد الملك ألفونسو هنريكز فى حملته الشهيرة ضد الأندلس. ابن عذارى، البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب القسم الثالث (تاريخ الموحدين) نشر ويثى ميرانده ، تطوان ١٩٦٠م، ص١٠٧-١٠٨ .

Duarte, N.L. Chronica del Rie D. Alfonso Henriques, Porto 1975 , pp. 82-90 ; Galvao , Chronica del Rei . D. Alfonso Henriques, Lisboa 1906 , p. 142 ; CF. also : Ballestero Y Beretta, Historia le Espña, T2 , Barcelona, 1944 , p. 368 .

(٢) يابره Evora، يصفها الادريسى بقوله «مدينة يبورة كبيرة عامرة بالناس ولها سور وقصبة ومسجد جامع وبها الخصب الكثير الذى لايوجد بغيرها وهى أحسن البلاد بقعة وأكثرها فائدة والتجارات إليها داخلة وخارجة» الادريسى، صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس ووصف أفريقيا وأسبانيا ، تحقيق دوزى ، امستردام ١٩٦٩، ص١٨١ ، وله أيضا أنس المنهج وروض الفرج ، مخطوط حكيم أوغلى ، ص١٤٤ ؛ الحميرى ، المصدر السابق ص١٩٨م وقد استولى عليها خيرالدو سيمافور Geraldo Sempavor عام ١١٦٦م/ ذى القعده ٥٦٠هـ ولمزيد من التفاصيل عن أحداث الاستيلاء عليها انظر ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة على المستضعفين فى الأرض، تحقيق دكتور عبدالهادى التازى، بيروت ١٩٦٤م ص٣٧٣، محمد النشار، السياسة الخارجية لألفونسو هنريكز ملك البرتغال ١١٢٨- ١١٨٥م، رسالة دكتوراه ١٩٩٣، لم تنشر ص١٦٩ ومن المصادر الأجنبية راجع :

Brandão A; Monarquia Lusitano, Parte 3, Lisboa 1973 , pp. 220-221 Duarte, Op. cit, p. 80 .

أواخر القرن الثاني عشر الميلادى / السادس الهجرى، هذا وقد وردت اشارات عديدة فى المصادر الإسلامية والحوليات البرتغالية عن موقع المدينة الاستراتيجى الهام وعظم عمرانها وما كانت تتمتع به من ثروات، فهى تقع فى جنوب غرب الأندلس تحدها شمالا مملكة البرتغال، وغربا المحيط الأطلنطى على مرتفع يحيط به سهل يجرى فيه نهر دراد Drade الذى يصب فى المحيط جنوبا على مقربة من ثغر بورتماو Portmão (١).

ومدينة شلب مسورة بأسوار عالية حصينة (٢)، تعلوها أبراج للدفاع عنها، فضلا عن منعة قلعتها وربضها الفسيح ، وقد أشاد كل من الادريسى والحميرى وأبى الفدا بمنعتها وثرائها وكرم أهلها (٣).

---

(١) ميناء صغير على الساحل الجنوبى للبرتغال، يقع على المحيط الأطلنطى إلى الغرب من ميناء فارو Faro (شنتمرية الغرب) وهو يعتبر المدخل إلى مدينة شلب حيث يصب بجوارها نهر مراد المار بمدينة شلب.

(٢) أشار الأستاذ الدكتور السيد عبد العزيز سالم إلى نظام الأسوار الإسلامية بقوله «قنع الفاتحون المسلمون فى أول عهدهم بالأسوار الرومانية التى كانت تحيط بأهم مدن الأندلسى فلما اتسع نطاق هذه المدن بازدياد عدد سكانها وتمثلت أسوارها وتمزقت نتيجة طبيعية للتوسع العمرانى وإقامة الإرباض الخارجية عن نطاق المدينة واتصالها بالحومات والاحياء الداخلية وأصبحت هذه الأسوار عقبة كئداء فى سبيل العمران ، واستعمل المسلمون أحجار هذه الأسوار فى بناء منشأتهم الدينية والمدنية وتحولت مواضع الأسوار المتهدمة إلى شوارع فسيحة ثم أقيمت أسوار إسلامية البناء على نطاق أكثر اتساعا من الأسوار القديمة بحيث أصبحت الأسوار الجديدة تحيط بكل ما طرأ على المدينة من توسع عمرانى جديد بعد الفتح، وما لبث بناء الأسوار الإسلامية أن اكتسب طابعا إسلاميا خالصا وذلك منذ عهد الموحدين حيث بلغ الغاية فى الاتقان والتقدم أمام خطر الاسترداد الذى كان يهدد مملكة المسلمين فى الأندلس » وانظر مؤلفه فى تاريخ وحضارة الإسلام فى الأندلس، اسكندرية ١٩٨٥، ٢٢٧-٢٢٨ .

(٣) يشير الادريسى إليها بقوله «حسنة فى بسيط من الأرض وعليها سور حصين ولها غلات وجنات وشرب أهلها من واديها الجارى بجنوبها وعليه ارجاء البلد والبحر منها غربا على ثلاثة أميال ولها مرسى فى الوادى وبها الانشاء، والعود بجبالها كثير يحمل منها إلى كل الجهات والمدينة فى ذاتها حسنة الهيئة بديعة المبانى مرتبة الأسواق وأهلها سكان قراها عرب من اليمن وغيرها وهم يتكلمون بالكلام العربى الفصيح الصريح ، ويقولون بالشعر وهم فصحاء نبلاء خاصتهم وعامتهم وأهل بوادى هذا البلد فى غاية من الكرم لا يجاريهم فيه أحد ومدينة شلب على إقليم الشنشين وهو إقليم به غلات التين الذى يحمل إلى أقطار الغرب» الادريسى صفة المغرب ، ص١٧٩-١٨٠ وله أيضا «أنس المهج=

وقد احتلت مدينة شلب منذ عهد الموحدين مكانة بارزة، خاصة بعد سقوط مدينتي باجة ويابرة في أيدى البرتغاليين لأن الغرب الأندلسي كان مثارا الاحتكاك المستمر بين الموحدين والبرتغاليين فلولاها الموحدون جل اهتمامهم، فعملوا على تحصينها وزودوا مدن وقلاع غرب الأندلس بالحاميات القوية والتي نجحت في صد هجوم وغارات البرتغاليين، لذلك اعتبرها البرتغاليون مركز المقاومة الإسلامية والمركز الرئيسي الذي تخرج منه غارات الموحدين ضد المدن والقلاع البرتغالية (١). فقد اشارت المدونات البرتغالية إلى مدى ما كان يعانيه البرتغاليون من الغارات البحرية التي شنها أهالي مدينة شلب ضدهم حيث كانوا يخرجون بسفنهم للإغارة على السواحل البرتغالية مما دفع المؤرخين البرتغاليين القدامى إلى إطلاق لقب لصوص البحر عليهم، بالإضافة إلى خروج الحملات البرية للإغارة على المدن والقلاع البرتغالية المجاورة لها ويرجعون محملين بالعديد من أسرى البرتغاليين وما حصلوا من غنائمهم (٢).

= ص١٤٥ ولمزيد من التفاصيل عن صفة المغرب، ص١٧٩-١٨٠ وله أيضا «أنس المنهج، ص١٤٥ ولمزيد من التفاصيل عن مدينة شلب ، انظر : الحميرى ، المصدر السابق ، ص١٠٦، أبو الفدا: تقويم البلدان باريس ١٨٤٠م، ص١٦٧ ، ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب، تحقيق دكتور شوقي ضيف ، ج١ ، دار المعارف ١٩٦٤، ص٣٨١ .

(١) Herculano, A. Histroria de portugal, T2, Lisboa, 1980 , p. 51 .

وقد أشار بعض المؤرخين إلى أن تعداد سكانها آنذاك يتراوح ما بين عشرين إلى ثلاثين ألف نسمة ، انظر:

Mattoso , A. Historia de Portugal, Vol, Lisboa, 1939, p. 67 ; Herculano Ibid, Peres Youtro, Historia de portugal, Barcelos 1929 , p. 130 .

وقد بالغ اشباخ في عدد سكانها وأشار بأنهم ستين ألف نسمه . اشباخ : تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ، ج٢، القاهرة ١٩٤١، ص٨٠ .

(٢) Duarte, Chronica del Rei D. Sancho I, en " Cronicas does Reis de Portugal", Porto 1975 , p. 101 ; Silva Cronica do Rei D. Sancho I en " Cronicas does sete Primeiros Ries de Portugal" vol . I, Lisboa 1952 ; Pina , R. Cronica del Rei D. Sancho I, Lisboa 1906 ; Cf also . Huici, A.M.Historia Political del Imperio Almohade , Tetuan 1956 , p. 342 ; Serrão, J. V. Historia de Portugal, vol I, Lisboa 1976, p. 108 .

انظر أيضا محمد عبدالله عنان : عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس ج٢، القاهرة ١٩٦٤، ص١٧١ .

ونخلص مما سبق أن مدينة شلب من عهد الموحدين أصبحت تمثل خطرا شديدا على مملكة البرتغال وخاصة على القلاع والمدن البرتغالية على خط نهر التاجه، عقب وفاة الملك البرتغالي ألفونسو هنريكز في ديسمبر ١١٨٥م / رمضان ٥٨١هـ[١] وانشغال خلفه وابنه، سانشو الأول[٢] منذ بداية حكمه في تعمير الأراضي الشاسعة التي استولى عليها والده حتى

---

(١) يعد ألفونسو هنريكز من أشهر وأهم ملوك شبه الجزيرة الايبيرية فقد حكم في الفترة من عام ١١٢٨م ٥٢٢هـ إلى ١١٨٥ / ٥٨١هـ فطوال حكمه الطويل دافع عن استقلال مملكته والتي أعلنها في عام ١١٣٩م كمملكة مستقلة وخاض الحروب الطويلة ضد أعدائه من القشتاليين واليونانيين والمسلمين وحقق أكبر الانجازات لملكة البرتغال في شتى المجالات ولمزيد من التفصيلات عن هذا الملك وأعماله راجع محمد النشار، السياسة الخارجية لألفونسو هنريكز ملك البرتغال ١١٢٨- ١١٨٥م، رسالة دكتوراة غير منشورة - جامعة طنطا، ١٩٩٢ .

ولمزيد من التفصيلات عن هذا الملك وأعماله راجع محمد المشار ، السياسة الخارجية لألفونسو هنريكز ملك البرتغال ١١٢٨-١١٨٥م ، رسالة دكتوراه غير منشورة - جامعة طنطا، ١٩٩٢ .

(٢) كان سانشو هو الابن الوحيد بجانب ثلاث فتيات وهم دونيا مافلدا ودونيا اوراكا ودونيا تريزا ، وقد ولد سانشو عام ١١٥٤م / ٥٤٩هـ، انظر:

Clvão, Op. cit, p. 124 Brandao , Monorquia Lusitana , Parte 3 p. 156 Zurita, J. Anales de la corona de Aragon, T 1 , Zaragoza 1976 , p. 209 . CF. also: Benevides , F.E. Rainhas de portugal, T1, Lisboa 1878, p. 94 .

وكان الملك ألفونسو هنريكز بعد معركة بطليموس ١١٦٩م مع الليونيين واصابة ساقه وعجزه عن الحركة السريعة قد أعلن تعميد ابنه سانشو فارستا في قلمرية ١٥ أغسطس ١١٧٠م / ذي الحجة ٥٦٥هـ ليقود جيوش البرتغال نيابة عنه، انظر أيضا : Herculano, Op. cit, T3, Lisboa 1983 , p. 141 .

وكان سانشو منذ ذلك الحين ذا نشاط ملموس في حربه ضد المسلمين ولعل أشهر حملاته حملته ضد الأندلس ١١٧٨م / ٥٧٤هـ والتي استطاع فيها أن يحرز النصر على الموحدين من خلال هجومه على ضواحي اشبيلية وكذا العديد من المناطق المجاورة لها واستولى خلالها على مدينة باجة . انظر ابن عذاري: البيان، القسم الثالث، ص١٠٧-١٠٨ .

Cronica dos Godos, A Pendice Brandão, Cronica de Conde D. Henrique , D. Tersa E. Infante D. Alfonso, porto 1944 . p. 277; Chronicon Lusitano , Espanã Sagrada, T14, Preparar por Henrique Florez , Madrid 1905 , p. 416 ; Chronicon conimbricense , Espãna Sagrada, T 23 , Preparar por Henrique Florez , Madrid 1850 , p. 334 ; Calvão, Op. cit pp. 142-152 ; CF. also: Ballesteros, Op. cit. , p. 386 .

وانظر أيضا محمد النشار، المرجع السابق، ص١٨٣-١٨٤ .

أطلق عليه المؤرخون القدامى لقب «المعمر Povoador»[١] لكنه أدرك خطر المسلمين وقرر التصدى لهجماتهم واغاراتهم البحرية والبرية على مملكته لاسيما وهو الذى كان له الباع الطويل فى قتال المسلمين أثناء حكم والده، لذلك قرر مواجهة هذا الخطر، ولما كانت مدينة شاب مكمن هذا الخطر لما تمثله من تهديد مباشر لمملكته فإنه قرر الهجوم على منطقة الغرب والاستيلاء على مدينة شلب .

الأحداث السياسية التى كانت تمر بها أوربا ومنطقة الشرق العربى آنذاك قد ساعدته إلى حد كبير فى تحقيق هدفه إذ أنها أدت إلى اذكاء الروح الصليبية لدى الشعوب المسيحية لاسيما بعد سقوط بيت المقدس . فى أيدى صلاح الدين الأيوبى فى ١٢ أكتوبر ١١٨٧م / ٢٧ رجب ٥٨٣هـ وما صاحبه من ضجة كبرى فى أوربا لاستعادة هذه المدينة مرة أخرى إلى أيدى الصليبيين[٢]، ودعوة البابوات (جريجورى الثامن وكليمنت الثالث) إلى ملوك أوربا وأمرائها ومنها رسالة البابوية إلى الملك سانشو تشرح فيه ما تعرض له المسيحيون فى الشرق ودعوته لتقديم كل امكاناته لاسترجاع بيت المقدس . ويتضح لنا من خلال روايات المدونات البرتغالية بأن الملك سانشو تأثر من ذلك الخطاب وقرر تكريس كل جهده لتخليص روحه ولكنه لايستطيع تقديم أى امدادات أو عون ملموس بقوله أن «مملكتى صغيرة جدا ومحاصرة بالمسلمين وإنى على حرب مستمرة معهم [٣]. بل إنه استفاد من استجابة العديد من الأمراء والملوك وعامة

---

(١) أطلق عليه لقب المعمر لأنه اهتم بتعمير المناطق الشاسعة المستردة من المسلمين سواء بالزراعة أو تشييد العمائر والأديرة فضلا عما اتصف به من الكرم مع جماعات الرهب أن الفرسان ولمزيد من التفاصيل عن تلك الأعمال انظر:

Rodrigo, Historia de les hechos de Espanã, Madrid 1982 , p. 273 ; Primera cronica general de Espanã , vol . 2 , Madrid 1955, p. 652 ; Duarte , Op. cit, pp. 99-100 ; Basto , A.M.Cronica de cince Reis de portugal , vol. 1, (S/d), p. 135 ; CF. also: Denis, F. Historia de Portugal, Barcelona 1845, pp. 16-17 .

(٢) سعيد عاشور : الحركة الصليبية، ج٢ ، القاهرة ١٩٧٦، ص٨١١ .

Benevides, op. cit, p. 101 ; Herculano, op. cit, T 2, p. 34 .

(٣) Duarte, op. cit, p. 100 , Silva, op.cit, pp. 146-151 ; Basto, op. cit, pp. 137-140 ; Pina, op. cit, pp. 45-49 ; CF. also: Peres Y outre op. cit, pp. 120-127 .

وقد أشارت المدونات البرتغالية إلى أحداث الاستيلاء على بيت المقدس وأفاضت فى سرد ما تعرض له المسيحيين فى الشرق.

المسيحيين لدعوة البابوية ، إذ تقاطرت السفن والأساطيل الصليبية فرادى ومجموعات من غرب أوربا مارة بسواحل أسبانيا والبرتغال على المحيط الأطلنطي متجهة إلى الشرق كمقدمات لما عرف باسم الحملة الصليبية الثالثة وهنا تراءى للملك سانشو الأول الاستعانة بإحدى الأساطيل للقيام بحملة على غرب الأندلس والاستيلاء على مدينة شلب (١).

ولتحقيق مشروعه كان لابد من خطوة أولية وهى الاستيلاء على قلعة ألبور Alvor(٢)

---

(١) شهدت سواحل البرتغال منذ بداية الحروب الصليبية مرور كثير من السفن والأساطيل التى تمد الامارات الصليبية فى الشام بالرجال والعتاد وكان أول إشارة إلى استخدام البرتغاليين لإحدى هذه الأساطيل فى مشاريعها الحربية عندما وصل أسطول صليبى من غرب أوربا فى ١١٤٢م / ٥٣٦هـ إلى سواحل البرتغال فى طريقه إلى الأراضى المقدسة فى الشام، فطلب منهم الملك ألفونسو هنريكز أن يساعدوه فى الاستيلاء على مدينة لشبونه فيحاصرونها بحرا فى الوقت الذى تفرض فيه قوات البرتغال الحصار عليها برا وذلك مقابل منحهم مكافآت مالية كبيرة وغنائم المدينة فاستجاب قادة الأسطول إلى ما طلبه الملك وكان الأسطول الصليبى يتكون من سبعين سفينة وشن الهجوم على ضاحية لشبونه ودمرها وقتل كثيرا من سكانها ولكن رجال الأسطول لم يتمكنوا من دخول المدينة وأدركوا أن استعداداتهم ليست كافية للاستيلاء على المدينة فضلا عن قوة تحصينات المدينة وعندئذ رحل الأسطول الصليبى إلى بلاد الشام وتركها الملك ألفونسو هنريكز وعاد بجيشه مكتفيا بما فرضه على المدينة من جزية. انظر تفاصيل ذلك فى :

Cronica dos Cados, p. 269 ; Chronicon Lusitano, E.S., T14 , pp. 411-412 ; CF . also : Livermore , H.A. new history of portugal, Cambridge 1976 , pp. 45-55 ; Lafuentem, Historia general de Espanã , T1, Barclona 1879 , p. 354 ; Callaghan, J.E.A. history of Medieval Spain , London 1975 , p. 230 , Herculano , op. cit, T3, pp. 45-46

أعاد الملك ألفونسو الكرة مرة أخرى فى عام ١١٤٧م / ٥٤٢هـ واستعان بأسطول صليبى لنفس الغرض وقد نجح فيما أراد . ولمزيد من التفاصيل عن هذا الموضوع انظر مدونة فتح لشبونة التى سجلها أحد الصليبيين المشاركين فى الحملة.

Conquista de Lisboa aos Mouros 1147 , Lisboa, 193 .

وانظر : أيضا محمد النشار ، المرجع السابق ص١٤٨-١٥٧ .

وتعددت فيما بعدها محاولات استعانة مملكة البرتغال بالصليبيين فى الاستيلاء على مدن الغرب الأندلسى.

(١) أطلق الادريسى على تلك المنطقة غرب الأندلس، وأطلق على إقليم جنوب غرب الأندلس إقليم الفقر Al Faghar ص١٧٥ ولكن الدكتور حسين مؤنس فسرها بأن المقصود بها هو إقليم القفر، انظر =

إحدى القلاع الإسلامية القوية على ساحل المحيط الأطلنطى وبمثابة خط دفاع أمامى لمدينة شلب ومن يستولى عليها يستطيع إلى حد كبير السيطرة على تلك المنطقة البحرية[١].

على أية حال استعد الأسطول البرتغالى وما انضم إليه من السفن الصليبية التى كانت تتوجه فرادى إلى البحر المتوسط فى طريقها إلى الشام واستطاع الأسطول البرتغالى الصليبى حصار قلعة ألبور ورغم مقاومة حاميتها الإسلامية تمكن البرتغاليون والصليبيون من اقتحامها عن طريق تسلق السلالم التى نجحوا فى تثبيتها على الأسوار وقتلوا كل من وجدوه داخل القلعة من رجال ونساء وأطفال بدون رحمة وتقدر المصادر عددهم بستة آلاف شخص[٢] وبعد تدمير القلعة انسحب البرتغاليون والصليبيون دون أن يتركوا أى حامية فى أراضيها ويرجع ذلك إلى اضطرار الأسطول الاسراع للتوجه إلى فلسطين.

وفى شهر يوليو ١١٨٩م / جمادى الأول ٥٨٥هـ وصل أسطول صليبى آخر إلى ميناء لشبونه وقد اختلف المؤرخون فى عدد سفنه وهل هو أسطول واحد أو أسطولين : فهناك رواية تقول أن أسطولا صليبيا وصل إلى جليقية قبالة مدينة شانت ياقب (سنتياجو) دى كومبوستلا

= تاريخ وجغرافية الجغرافيين فى الأندلس، معهد الدراسات الإسلامية بمدريد ١٩٦٧، ص٢٦٠ وأشار الادريسى مرة أخرى إلى هذا الاقليم بأنه إقليم الشنشين ص١٨٠ ولم يشر إلى تلك القلعة ، وإن كان هرقلانو قد أشار أنها من الممكن أن تكون قرية شقرش والتى تقع على مقربة من البحر ، انظر:
Herculano , Op. cit, T 2, pp. 44-45 .

والبور تقع على بعد ١٦ كم من شلب وتقع بين Portimao, Lagos

Huici, Historia - Politica ...., T1 , p. 342 .

(١) ويشير هرقلانو إلى أن هذه القلاع (البور) كانت أسست لخدمة القرى المجاورة ومركزا للدفاع عنها .
Herculano , Op. cit, Loc cit .

(٢) أشار ابن عذارى إلى ذلك بقوله «واستأصل العدو حصنا عن نظره يعرف بالبيور وأتى القتل على كل من كان فيه من صغير أو كبير وإناث وذكور » انظر البيان، القسم الثالث ص١٧٥ .

Herculano , op. cit, T2, p. 45 ; Peres Y outro, op. cit, pp. 129-130 ; Huici , Historia Politica, p. 342 .

الواقع أن حملة الاستيلاء على حصن ألبور سبقت الحملة التى تكون من البرتغاليين والصليبيين وتوجهت للاستيلاء على شلب وذلك ينفى ما ذكره عنان من أن نفس الحملة التى استولت على شلب كانت هى نفسها التى استولت على البور ما يؤكد ذلك أن جميع المؤرخين المسيحيين لم يشيروا فى حملة شلب أنهم استولوا على البور. راجع عنان المرجع السابق ، ج٢ ، ص١٧٢ .

Santiago de Compostela فى أوائل عام ١١٨٩م / ٥٨٥هـ ويتكون من خمسين إلى ستين سفينة تقل ما بين عشرة آلاف واثنى عشر ألف محاربا من الدنمارك والفلمنك والألمان فى طريقهم إلى البحر المتوسط . وقد نزل عدد كبير منهم لزيارة قبر القديس شانت ياقب (القديس يعقوب) فى مدينة شانت ياقب (سنتياجو) دى كومبوستلا ولكن سكانها كانوا قد عانوا مرات كثيرة من قرصنة النورمانديين ، وتوجسوا شرا من هؤلاء الأجانب واعتقدوا أنهم حضروا لسرقة رأس القديس شانت ياقب ونهب النخائر المكدسة فى قبره مما أدى إلى وقوفهم فى وجه الصليبيين ومنعوهم بالقوة من دخول المدينة . ونشب القتال بين الفريقين راح ضحيته عدد كبير من القتلى من كلا الجانبين وأجبر الصليبيون على العودة إلى سفنهم[١] والإبحار فى طريقهم إلى البحر المتوسط متجهين إلى الأراضى المقدسة ولكن اطاحت بهم العواصف إلى ميناء لشبونه.

أما الرواية الثانية فتنص على أن أعدادا كبيرة من الفلمنك والألمان والإنجليز تجمعوا فى الجزيرة البريطانية بهدف التوجه إلى بلاد الشام فى ثلاث وخمسين سفينه[٢] ولكن أطاحت بهم العواصف إلى ميناء لشبونه [٣]. بعد اتحادهم مع الأسطول الآتى من شانت ياقب دى كومبوستلا[٤].

والواقع أن مؤرخى البرتغال قد اختلفوا فى أخبار الأساطيل الصليبية فلم يتفقوا على أعداد سفنهم أو أعداد رجالها المحاربين بل واختلفوا أيضا فى عدد الأساطيل وخط سيرها

---

(١) Herculano , Op. cit, T 2, pp. 42-43; Peres Y Outro , Op. cit, p. 12 .

اشباخ ، المرجع السابق، ج٢، ص٧٩ : عنان : المرجع السابق ، ج٢ ، ص١٧٠-١٧١ .

(٢) فى رواية أخرى أنهم حوالى ثلاث وأربعين سفينه انظر:

Basto, Op. cit , p. 141 .

(٣) Silva, Op. cit, p. 152 ; Pina, Op. cit, p. 53 ; CF . also : Huici, Historia politica, p. 342 .

والواقع أن الرواية الثانية أشار إليها المؤرخون القدامى الذين تجاهلوا أخبار احتكاكهم بسكان شانت ياقب.

(٤) Peres Y Outro , Op. cit, Locc cit .

اشباخ نفس المرجع والصفحة، عنان نفس المرجع ، ج٢، ص١٧١٧-١٧٢ .

ويرى الباحث، بعد دراسة جميع الروايات التى أشارت إلى ذلك ، أن كلا من الروايتين الأولى والثانية مكملٌ للآخر ، لأنه من المألوف أن الأساطيل الصليبية الآتية من الجزيرة البريطانية أو غرب أوربا يكون أول مرسى لها هو السواحل الجليقية شمال غرب أسبانيا . وحسب الرواية الأولى فبعد اشتباك قوة الأسطول مع سكان شانت ياقب دى كومبوستيلا فإنهم توجهوا إلى الجنوب . وهناك التقوا مع الأسطول الآخر المكون من ستة وثلاثين سفينه والذى كان يضم ثلاثة آلاف وخمسمائة محارب من الألمان والإنجليز[1] وتوجهوا جنوبا إلى البحر المتوسط ولكن تعرضوا لعاصفة هوجاء دفعتهم للجوء إلى ميناء لشبونه فى الأيام الأولى من شهر يوليو ١١٨٩م / جمادى الأول ٥٨٥هـ . ومما يؤيد ذلك ما ذكره المؤرخ باستو Basto من أن الأسطول الذى رسى فى لشبونه يتكون من سبع وثمانين سفينه تنتمى خمسين سفينه منها إلى الدانمارك وهولنده بينما تنتمى باقى السفن وعددها سبعًا وثلاثين إلى الفلاندرز والإنجليز[2] وهذا العدد يمثل مجموع الأسطولين الوارد ذكرهما فى الروايتين السابقتين .

كيفما كان الأمر تحققت الفرصة التى ينتظرها الملك سانشو الأول لتحقيق مشروعه فى القيام بحملة ضد مسلمى الغرب الأندلسى[3] وخاصة قاعدة شلب. وتفيد المصادر أنه عند

---

(١) أشار هرقلانو إلى اتحاد الأسطول الأول والذى يتكون من خمسين سفينة والثانى الذى يتضمن ستًا وثلاثون سفينة وذلك قبل الدخول إلى ميناء لشبونه .

Herculano , Op. cit, T 2 , pp. 42-43 - 46 ; Stephens , H.M. portugal, London 1891, pp. 60-62 ; Peres Y Outro, Op. cit, p. 130 .

(٢) Duarte, Op. cit, p. 100 .

(٣) أشارت بعض المدونات البرتغالية إلى أن أول حملاته ضد المسلمين بعد توليه الحكم كانت فى عام ١١٨٨م / ٥٨٤هـ عندما حاصر قلعة شيربه Serpa لكنه لم يستطع الاستيلاء عليها انظر:

Silva, op. cit, pp. 151-152 ; Pina, Op. cit, p. 54; Bisto , Op. cit, p. 141 .

وتقع قلعة شيربة إلى الجنوب قليلا من بطليوس على نهر وادى يانه وكان قد استولى عليها خيرالدو سيمبافور فى عام ١١٦٦م / ٥٦١هـ مع عدد من القلاع الأخرى وأهمها يابرة وقاصرش وترجاله وحصن منتجانش، انظر: ابن صاحب الصلاة ، المن بالإمامة ص ٣٧٣- ٣٧٤ ؛ ابن عذارى ، البيان : القسم الثالث ص٧٨-٧٩ .

وكان حصن شيربه مع باقى الحصون والقلاع التى استولى عليها خيرالدو قد سلمت إلى الملك فرديناند الثانى على أثر أسر خيرالدو مع مليكه ألفونسو هنريكز فى أحداث بطليموس١١٦٩م انظر:=

رسو الأسطول الصليبي في لشبونه كان الملك البرتغالي في شنترين وعندما نمى إلى علمه وصول الأسطول الصليبي أسرع إلى لشبونه للاتفاق مع قادة الأسطول الصليبي من أجل مساعدته في حملته ضد مدينة شلب . ووافق الصليبيون في مقابل منحهم ذخائر المدينة(١).

كانت خطة الملك سانشو الأول للاستيلاء على شلب هي محاصرتها برا وبحرا؛ فأسند قيادة جيشه البري إلى دون مندو دي ساوسا Don Mendo de Sousa الذي توجه بقواته صوب

Gonalez, J. Regesta de Fernande II, Madrid 1943 , p. 81 ; Herculano Op. cit, T3 , =
p. 134-135 .

ولكن في حملة الموحدين ضد مملكة ليون ١١٧٤م ٥٧٠هـ استرجع الموحدون معظم هذه القلاع ومنها حصن شيربه والذي تولى حكمه على بن وزير راجع ابن عذاري، البيان القسم الثالث ، ص١٠٤ ، ١٠٧ ، ١٠٨ .

Huici, Los Almohades em Portugal, Lisboa 1956 , pp. 23-24 .

(١) duarte, Op. cit, pp. 100-101 ; Silva, Op. cit, pp. 152-153; Pina . Op. cit, pp. 54-55; CF , also: Serrão, Op. cit, p. 108 , Benevides, Op. cit, p. 101 .

وقد أشار إلى ذلك ابن عذارى والمراكشي بقوله «وفي هذه السنة كان غلبة ابن الرنك اللعين على قاعدة شلب واخراج أهلها عنها إلى أن فتحها المنصور عنوة وجرها للإسلام بحد السيف وكان من موافقة قدر الله وصول حملة من القراقير الرومية مجتازين على عادتهم إلى بيت المقدس منذ انتزع من أهل ملتهم فيصلون أبدا في كل سنة إليه ليزيلوا عن أعناقهم بزعمهم عهدا في أديانهم ويخرجوا عن عهد ما شرط عليهم ونفذ إليهم مع رهبانهم فعقلت الأنواء بالقراقير المذكورة بجهة اشبونة فألقى ابن الرنك مادة لعونه على كفره وجيشا ميسر لما دبره من ختله وغدره ووجد منهم قبولا لجهاد المسلمين فتحدقوا بشلب » انظر البيان، القسم الثالث، ص١٧٥ .

وقد أشار عبد الواحد المراكشي بقوله «واعانه من البحر الافرنج بالبطس والشواني وكان قد وجه إليهم يستدعيهم إلى أن يعينوه على أن يجعل لهم سبي البلد وله هو المدينة» انظر: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق دكتور محمد سعيد العريان ، القاهرة ١٩٦٣ ، ص٢٥٦ .

(٢) كان أحد القواد المشهورين في مملكة البرتغال ويعد من أشهر وأعظم نبلائها وكان نائبا للملك سانشو في قيادة الجيش، هكذا أشارت المدونات ولم تعط تفاصيل عن حياته ونشأته .

Duarte, Op. cit, p. 101 ; Silva, Op. cit., p. 154 ; Pina, Op. cit. p. 55 .

مدينة شلب(١) فى الوقت الذى أبحر فيه الأسطول الصليبى من خليج التاجة فى ١٦ يوليو ١١٨٩م / ٢٩ جمادى الأول ٥٨٥هـ ، متجها جنوبا صوب ميناء بورتماو(٢) على ساحل المحيط الاطلنطى بعد أربعة أيام حيث وصله فى ٢٩ يوليو ١١٨٩م / ٣ جمادى الآخرة ٥٨٥هـ ومنها أبحر الأسطول من مصب نهر دراد حتى وصل إلى مدينة شلب (٣).

وهكذا حاصر الأسطول الصليبى مدينة شلب بحرا ، والقوات البرتغالية برا ، فأطبقت على المدينة وحاصرتها فى ٢٠ يوليو ١١٨٩م / ٤ جمادى الآخرى ٥٨٥هـ(٤) فأحرقوا ما أحاط بها من قرى وأرياض ، وتصور المدونات البرتغالية ما قام به الصليبيون فى تلك القرى والأرباض من أعمال السلب والنهب وما حملوه إلى سفنهم وإشعال النيران فى هذه القرى والضواحى مما أثار الرعب فى قلوب أهالى شلب المحاصرين(٥) الذين نظموا عملية الدفاع عن أنفسهم وعن جميع . أجزاء سور المدينة لتسنى لهم مراقبة العدو من داخل الابراج العالية الملحقة بالسور (٦).

---

(١) أشار اشباخ بأنه فى نفس الوقت أرسل الملك سانشو إلى باجة ويابرة جيشا اللتين فقدهما فى الأعوام الأخيرة واللتين لم تكن تحرسهما حاميات قوية واستطاع الجيش الاستيلاء عليهما انظر اشباخ : نفس المرجع ج٢، ص٧٩-٨٠ والواقع أنه قد جانبه الصواب فى ذلك إذ أن مدينتى باجة ويابرة أنذاك كانتا خاضعتين لسيطرة البرتغاليين، انظر ص١ من هذا البحث .

(٢) تبعد عن شلب بـ ١٢ كم ويصب بالقرب منها بثلاثة أميال نهر دراد Drade المؤدى إلى مدينة شلب .

Huici, Historia Politica, pp. 342-343 .

(٣) Duarte, Op. cit , Loc . Cit , Silva , Op. cit, Loc . Cit ; Pina, Op. cit, pp. 56-57 ; Basto, Op. cit, pp. 143-144 ; CF . also : Huici, Historia Politica, pp. 342-343 ; Benevides, Op. cit, p. 101 ; Fernandez, Historia de Espanã , Medrid 1970, p. 256 .

(٤) اندهش الصليبيون عندما رأوا مدينة شلب فلأول مرة يرون مدينة إسلامية غاية فى التحصين وشاهدوا ثراءها وبناياتها العربية الرائعة ونظامها الفريد وقصورها المبنية بالحجارة الحمراء انظر:

Herculano, Op. cit , T 2, pp. 48-49 .

(٥) Duarte, Op. cit, Loc cit; Silva, Op. cit, p. 155; Pina , Op. cit, Loc. cit CF . a;so : Huici , Historia Poletica, p. 343 .

(٦) Peres Y Outro, Op. cit, pp. 133-134 ; Herculana, Op. cit, T2 , p. 51 .

وفى اليوم التالى الموافق ٢١ يوليو ١١٨٩م / ٥ جمادى الآخرة ٥٨٥بدأت القوات البرتغالية والصليبية هجومها على المدينة وحاولوا تثبيت السلالم المتحركة على أسوارها ولكنهم فشلوا فى تحقيق ذلك بسبب ارتفاع الأسوار من ناحية ووجود خندق عميق مملوء بالماء من ناحية أخرى . ولذلك قسم النصارى أنفسهم مجموعات وخربوا أسوار المدينة بالمجانيق وكذا داخل المدينة، الأمر الذى أحدث فزعا شديدا بين المدافعين عن الأسوار وأدى إلى وقوع الضرر البالغ بهم مما دفعهم إلى التحصن داخل قصبتها(١) . وعلى الرغم من ذلك النجاح الذى حققه المسيحيون بالحاق بعض الضرر بالمدينة فإنهم أدركوا أن الأمر يحتاج إلى تدبير آلات ضخمة للحصار وأنهم يحتاجون إلى تنظيم دقيق لصفوفهم والاستعداد لحصار شاق حتى يتمكنوا من الاستيلاء عليها، وعندئذ وصل الملك سانشو فى ٢٩ يوليو / ٣ جمادى الآخرة أمام مدينة شلب على رأس جيش كبير من البرتغاليين لمساعدة القوات التى سبق أن أرسلها لحصار المدينة. وفى نفس الوقت كان قد أرسل أسطولا يتكون من أربعين سفينة تحمل المجانيق وآلات الحصار(٢) لتدعيم الحصار حول شلب . وعندئذ أمر الملك بنصب الماكينات والمجانيق حول المدينة وبدء الهجوم الكامل من جميع الجهات بقصف أسوار المدينة بالمجانيق فى محاولة لإحداث ثغرة فى السور بين برجين للحراسة . ولكن المسلمين أسرعوا فى الرد والدفاع عن تلك المنطقة وسدوا الثغرة بالخشب وباءت جهود الصليبيين والبرتغاليين للمرة الثانية بالفشل وانتابهم اليأس حتى فكروا فى رفع الحصار عن المدينة(٣) . غير أن قوات الفلمنك توصلوا إلى خطة جديدة تتمثل فى حفر سراديب تحت الأسوار وأحداث فتحات فيها للدخول عبرها إلى المدينة وكادوا ينجحوا فى ذلك لولا أن المدافعين عن المدينة كشفوا مخططهم وأسرعوا بسد تلك السراديب بعد اشعال النيران بداخلها للقضاء على المتسللين من النصارى بداخلها . وتكرر هذا العمل فى مواضع مختلفة من الأسوار وقد أسهبت المدونات البرتغالية فى ذكر المحاولات المتعددة للنصارى لاقتحام المدينة ودفاع المسلمين عنها وإفشال تلك المحاولات (٤).

---

(١) Pina, Op. cit, pp. 58-59 ; CF . also : Peres Y Outro , op. cit, p. 135 .

(٢) Silva, Op. cit, p. 156 ; Pina, Op. cit, p. 58 ; Basto, Op. cit, p. 145; CF . also: Huici, Historia Politica, p. 343 ; Martins, O, Historia de Portugal, vol I, (S/d), p. 84 .

(٣) Duarte, Op. cit, p. 101 ; Basto, Op. cit, pp. 148-149 ; CF. also : Herculano , Op. cit, T2, pp. 45- 55 ; Peres Y Outro , Op. cit, p. 136.

(٤) Duarte, Op. cit, pp. 101-102 ; Silva, Op. cit, pp. 156-157 ; Pina, Op. cit, p. 59 ; CF . also L Herculano , Op. cit, T2 , pp. 58-59 .

اقتنع البرتغاليون والصليبيون بعد مرور ثلاثة أسابيع على بدء الحصار بصعوبة الاستيلاء على المدينة عن طريق الهجوم المباشر وأدركوا أن ذلك يمكن أن يتأتى عن طريق منع وصول المياه إلى الأهالي الموجودين بداخلها حتى يضطروا إلى الاستسلام بدلا من الموت عطشاء . فشلب كانت تستمد ماءها من نهر دراد عن طريق بئر كبير يدعى القراجه Quraga أقيم قرب السور وأقيم فوقه برج قوى لحمايته ، ففكر المحاصرون فى هدم هذا البرج وهاجموه بواسطة السلالم حتى استطاعوا إحداث ضرر كبير به، فلما رأى المسلمون هذه المحاولة خرجوا لمنعها ونشبت حوله معركة شرسة بين الطرفين تفوق فيها النصارى على المسلمين واستولوا على البئر [١].

وعلى الرغم من ذلك استمر الحصار قائما بعد انقطاع المياه عن المدينة وإن كان ابتداء من هذه اللحظة قل القتال . وبمرور الوقت بدأ الصليبيون ينتظرون حتى تستسلم المدينة من العطش إلا أن الصليبيين قد ضجروا من طول الانتظار وفكروا فى رفع الحصار بعد أن ارتابوا فى أن البرتغاليين يريدون عقد معاهدة سلام مع المسلمين خاصة بعد أن راجت الاشاعات بأن زعماء المسلمين فى الأندلس أرسلوا نجدة لانقاذ مدينة شلب، وكان لذلك وقع سئ على المسيحيين . ولكنهم بعد أن تأكدوا من زيف هذه الاشاعات شد الملك من عزيمة الجميع، وأخذوا يتأهبون من جديد للهجوم الأخير[٢] على المدينة مع الحرص الشديد على استمرار منع وصول المياه إلى المدينة[٣].

كانت الحالة داخل مدينة شلب سيئة للغاية لأن تكرار ضرب الأسوار والمدينة بالنبال والحجارة أدى إلى هدم كثير من المنازل وقتل الكثير من سكانها فضلا عن شدة العطش الذى انتاب الأهالي وانتشار الأوبئة والأمراض الناتجة عن تعفن جثث القتلى وقلة المؤن ومعاناة سكانها من الجوع مما جعلهم يقررون الاستسلام[٤] ففى الأول من شهر سبتمبر١١٨٩م/ ١٧

---

(١) Duarte, Op. cit, p. 102 ; Silva, Op. cit, pp. 158-162 ; Pina, Op. cit, pp. 62 - 64; CF. also : Huici, Historia Politica , pp. 343-344; Martines Historia de Portugal , pp. 83-84 .

عنان ، المرجع السابق، ج٢ ، ص١٧٢ .

(٢) كان مجلس الحرب بين البرتغاليين والصليبيين قد انعقد وقرر اخلاء المعسكر من كل المرضى والنساء مقررين بدء الهجوم النهائى بعد أربعة أيام .

(٣) Huici, Historia- Politica, p. 344 . Herculane, Op. cit, T2, p. 61 .

(٤) Pina, Op. cit, p. 68 ; Basto, Op. cit, pp. 149-150 ; CF . also : Herculano Op. cit, T2, p. 60 .

عنان المرجع السابق ج٢ ص١٧٢-١٧٣ . وقد أشار ابن عذارى إلى حالتها بعد إشرافهم على الهلاك من الخطأ والجوع وعدم الهجوع «ابن عذارى البيان القسم الثالث ص١٧٥ .

رجب ٥٨٥هـ أرسل سكانها وفدا[١] إلى الملك سانشو للتفاوض معه من أجل شروط التسليم وعرضوا عليه تسليم المدينة بشرط أن يسمح لهم بالخروج من المدينة حاملين أمتعتهم . ورغم اعتراض الفلمنك على ذلك إذ كانوا يرون قتل جميع المسلمين فإن الملك سانشو استطاع إقناعهم بأن يخرج المسلمون بدون أمتعتهم [٢] وفى نفس الوقت عرض الملك سانشو على الصليبيين عشرة الآف موارابيتيوز Morabitinos[٣] ثم رفعها إلى عشرين ألفا وأرسل سفراء إلى قلمرية لاحضار هذا المال[٤] تعويضا لهم عن تعاونهم معه فى هذه الحملة .

وفى ٣ سبتمبر ١١٨٩م / ١٩ رجب ٥٨٥هـ فتحت أبواب مدينة شلب أمام القوات المسيحية ولكن الصليبيين لم يحترموا مواثيق الاتفاق فعندما احتلوا المدينة أغلقوا أبوابها ولم يسمحوا لأحد من المسلمين بالخروج بأى شئ وقاموا بعمليات السلب والنهب فى كل ما يجدوه داخل المدينة وتخريب كل ما يعترضهم واثخنوا قتلا فى المسلمين مما أغضب الملك البرتغالى عليهم وأمر البرتغاليين بالوقوف أمام الصليبيين وطردهم من داخل المدينة وأجبرهم على الرجوع إلى سفنهم . وحينئذ رحلوا فى يوم ٧ سبتمبر ١١٨٩م / ٢٤ رجب ٥٨٥هـ متوجهين إلى الشام وهم يلعنون البرتغاليين وملكهم [٥].

---

(١) تشير المدونات البرتغالية إلى أن الوفد كان يتكون من والى المدينة وهو كما يشير ابن عذارى الحافظ عيسى بن أبى حفص بن على ومعه إثنان من أتباعه للتفاوض على شروط التسليم انظر:

Duarte, Op. cit, p. 103 ; Silva, Op. cit, pp. 166-167 ; Basto, Op. cit, Loc cit .

(٢) أشار الحميرى إلى وفاء الملك سانشو باتفاقه بقوله «فصالحوهم على أن يخرجوا سالمين فى أنفسهم ويتركوا البلد بجميع ما فيه من أموالهم وأثاثهم فأجابهم على ذلك ووفى لهم بما صالحهم عليه» الحميرى : نفس المصدر ص١٠٦ .

(٣) الواقع لم نستطع العثور على ما يفيد هل هذه العملة هى الدينار المرابطى أم عملة برتغالية.

(٤) الواقع افاضت المدونات البرتغالية السابقة بكرم الملك سانشو وعطفه على المسلمين وقد أشار إلى ذلك معظم المؤرخين ، انظر على سبيل المثال :

Rodrigo , J. Historia de los hechos de España , Madrid 1980 , p. 27 ; primera cronica general de España , p. 652 .

ولمزيد من تفاصيل عن أحداث الاستسلام انظر:

Herculano , Op. cit, T2 , p. 63-64 Serrão , Op. cit, p. 108 ; Huici, Historia Politica , p. 344 ; Peres Y Outro , Op. cit, pp. 139-140 .

(٥) Duarte, Op. cit, loc cit, Silva, Op. cit, p. 167 ; Cronicon Conimbricense E.S, T 23 , p. 333 ; CF . also : Herculano , Op. cit, pp. 65-66 ; Serrão , Op. cit Loc. cit, Peres Y Outro, Op. cit, Loc. cit .

وجدير بالذكر أن المؤرخ أشباخ قد أشار إلى أنه لم ينج من سكان مدينة شلب والبالغ عددهم ستين ألف نسمة سوى ثلاثة عشر ألفا بينما كان الباقى ما بين قتلى وأسرى[١] . ولكننا نرى أن هذا العدد مبالغ فيه فجميع المصادر البرتغالية والأسبانية أشارت إلى إنسانية الملك سانشو فى معاملة سكان مدينة شلب وليس من المعقول أن يقوم بقتل هذا العدد الهائل وهو يتصف بهذه الصفة الطيبة . كما أن ابن عذارى المراكشى قد أشار إلى خروج سكان المدينة بدون أمتعتهم دون أن يشير إلى قتل عدد منهم[٢] وفى نفس الوقت يشير الحميرى إلى أن الملك سانشو قد وفى لهم بما صالحهم عليه [٣].

كيفما كان الأمر ، بعد أن غادر الصليبيون مدينة شلب قام الملك سانشو بتنظيم المدينة[٤] وتعيين الكونت منلو D. Mendo حاكما عليها وأسند إليه مهمة إعادة بناء المدينة وتحصينها وحشدها بحامية قوية اتقاء لانتقام الموحدين ومحاولتهم استعادة المدينة[٥] . وفى نفس الوقت عين أسقفا من الفلمنك يدعى نيقولا Nicola لادارة اسقفيتها والتى تحولت إلى مركز من المراكز الاسقفية الهامة[٦] واتخذ الملك سانشو لنفسه لقبا جديدا وهو ملك الغرب Rei dos Algarves بجانب لقبه كملك البرتغال[٧] نسبة إلى سيطرة البرتغاليين على منطقة غرب الأندلس بعد سقوط مدينة شلب فى أيديهم .

وجدير بالذكر أن سقوط مدينة شلب كانت ضربة لسلطة الموحدين فى ولاية الغرب لأنه بسقوط تلك المدينة، عاصمة الغرب الأندلسى، سقط على أثرها عدد كبير من القلاع الصغيرة

---

(١) اشباخ ، نفسس المرجع ، ج٢ ، ص٨٠ .

(٢) ابن عذارى ، البيان ، القسم الثالث، ص١٧٥ .

(٣) (الحميرى، نفس المصدر ، ص١٠٦ .

(٤) أشار عبد الواحد المراكشى أن الذى استولى على شلب هو بطرو بن الريق يقصد به بدرو ألفونسو ابنا غير شرعى للملك ألفونسو هنريكز وأخا غير شرعى للملك سانشو الأول ولكن هذا غير صحيح لأنه عكس ما جمعت عليه المصادر الأخرى ، عبد الواحد المراكشى المعجب ص٢٥٦ .

(٥) Herculano . Op. cit. T2 . pp. 69-70 ; Sertão, Op. cit, Loc. cit, Peres Y Outro . Op. cit, p. 142 .

(٦) Rodringo, Op. cit, p. 273 ; Primera cronca general de Espanã . p. 652 ; CF . also : Serrão, Op. cit, Loc cit .

اشباخ ، نفس المرجع ، ج٢ ، ص٨٠ .

(٧) Peres Y Outro . Op. cit, p. 144 ; Benevides, Op. citt, p. 101 .

المجاورة لها والتى لم تظهر أية مقاومة كافية تجاه الجيوش البرتغالية وأصبح الخطر الأكبر بعد ذلك هو تهديد وسط الأندلس. حقيقة أن القوى البرتغالية حينئذ لم تكن لديها القوة الكافية لتهديد تلك المنطقة ولكن نشاط القشتاليين الحربى فى المنطقة وقتئذ قد أتم وجود الخطر الذى يهدد وسط الأندلس ، ففى نفس الوقت الذى توجهت فيه قوى الصليبيين والبرتغاليين تجاه مدينة شلب خرج ألفونسو الثامن ملك قشتاله[١] فى حملته ضد المناطق الواقعة بين مدينتى قرطبة وإشبيلية وهزم قوات الموحدين وهاجم كثير من القلاع والأراضى الإسلامية وقتل كثيرا من المسلمين ثم عاد إلى طليطلة [٢].

وبذلك يكون الموحدون قد تعرضوا لضربات شديدة من الممالك المسيحية فى آن واحد. ولعل ذلك مرجعه ما تعرض له الموحدون بعد وفاة الخليفة أبى يعقوب يوسف بن عبد المؤمن فى حصار شنترين ١١٨٤م / ٥٨٠هـ[٣] وتولية ابنه يعقوب المنصور[٤] بالخلافة وما تعرض له من حركات تمرد وقلاقل فى المغرب حتى عام ١١٨٩م / ٥٨٥هـ [٥].

---

(١) حكم ألفونسو الثامن مملكة قشتالة من ١١٥٨ إلى ١٢١٤ وقد توفى والده سانشو الثالث ولديه من العمر ثلاث سنوات مما أدى إلى تصارع أسرتى كاسترو ولارا حول الوصاية عليه، واندلعت الحرب الأهلية فى مملكة قشتالة حتى استطاع أن يوطد الأمور عام ١١٦٩م عندما بلغ سن الرشد وهو من أشهر ملوك قشتالة وقد شهد هزيمة الأرك عام ١١٩٥م على يد الموحدين وانتصاره عليهم فى موقعة العقاب ١٢١٢م / ٦٠٩هـ وفى حكمه احتفظت قشتالة بتفوقها السياسى والعسكرى على باقى الممالك الأسبانية المسيحية ولمزيد من التفاصيل انظر:

Cronica Latina de los Reyes de castilla, Universidad cadiz, 1984 , pp. 21-35 ; Rodrigo , Op. cit, pp. 296-329 .

وانظر مؤلف جونثالث عن ألفونسو الثامن :

Gonzalez J. El Reino de Castilla en la epoca de Alfonso VIII Madrid 1960 .

(٢) ابن عذارى : البيان ، القسم الثالث ، ص١٧٥-١٧٦ : عنان : المرجع السابق ، ج٢ ص١٧٤ .

Huici, Historia - Politica, p. 345 .

(٣) تفاصيل وفاة الخليفة فى حصار شنترين. انظر محمد النشار، السياسة الخارجية لألفونسو هنريكز ص١٩١-١٩٨ .

(٤) أشادت المصادر الإسلامية به وأنه هو الذى أظهر أبهة الملك لدى الموحدين ورفع راية الجهاد ونصب ميزان العدل وبسط الأحكام الشرعية وأظهر الدين وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر وأقام الحدود على القريب والبعيد. ولمزيد من التفاصيل انظر: ابن أبى زرع الأنيس المطرب بروض القرطاس، أو بسالة ١٨٤٣م، ص١٤٢-١٤٣ ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ، م٧ ، بيروت ١٩٦٨م، ص٣-٤ : المقريزى: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٢ ، القاهرة ١٣٠٢هـ، ص٥٣٦ .

(٥) لمعرفة المزيد من القلاقل وحركات التمرد وحروبه مع ابن غانيه انظر: ابن عذارى؛ البيان ، القسم الثالث، ص١٤٠-١٧٢ : عنان : المرجع السابق، ج٢ ، ص١٤٠-١٦٨ : أحمد مختار العبادى:=

وهنا يثار تساؤل هام ، لماذا تأخر الموحدون عن نجدة مدينة شلب علما بأن حصارها استغرق حوالى أربعين يوما ؟ وربما يرجع ذلك أولا إلى انشغال الموحدين فى القضاء على القلاقل وحركات التمرد والتى واجهتهم فى المغرب. وثانيا : اطمئنان الموحدين إلى نظام الدفاع عن المدن في الأندلس حيث أن كل مدينة كانت مسورة ومحصنة تحصينا جيدا وبها من الامدادات والمؤن ما يساعدها على مقاومة الحصار. وثالثا: حركة ألفونسو الثامن فى نفس توقيت حملة سانشو على شلب ، على مدن وسط الأندلس كانت مفاجئة للموحدين، فقتال الموحدين فى جهات ثلاث كان متعذرا وربما فضلوا الاستعداد التام من شحذ الهمم وتجهيز الجيوش والعتاد لأجل نجدة الأندلس ومواجهة البرتغاليين وكان ذلك لايتثى إلا باستغراق بعض الوقت.

على أية حال فإن وصول خبر سقوط مدينة شلب فى أيدى البرتغاليين إلى الخليفة يعقوب المنصور فى المغرب واكب استقرار الأمور إلى حد ما فى المغرب وكانت قد توالت استغاثة الأندلسيين[1] من حملات البرتغاليين والقشتاليين عليهم وتأثر الخليفة يعقوب المنصور من سقوط شلب مما دفعه إلى التأهب لعبور الأندلس[2] وإن كان قد تأخر تقريبا خمسة شهور

= دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس الاسكندرية ١٩٦٨ ، ص٣٥٧-٣٥٨ .

(١) وقد أشار ابن خلدون إلى تلك الاستغاثة بقوله «ولما بلغه تغلب العدو على قاعدة شلب وأنه واقع بعسكر إشبيلية وترددت سراياهم على نواحيها وافتتح كثيرا من حصونها وخاطبه السيد أبويوسف بن أبى حفص صاحب إشبيلية بذلك استقر الناس للجهاد » فى العبر وديوان المبتدأ والخبر ، م٦ ، بيروت ١٩٦٨ ، ص٥١١ .

(٢) أشار كل من ابن أبى زرع والسلاوى بأن الخليفة يعقوب المنصور كان قد قام بحملة ضد البرتغال فى ربيع الأول ٥٨٥هـ قبل استيلاء البرتغاليين على مدينة شلب وتوجه إلى مدينة شنترين وأخذ فى شن الغارات على ضواحيها وعلى مدينة لشبونه وضواحيها وأنه «قطع الثمار وقتل وسبى وأضرم النيران فى القرى وحرق الزرع وبالغ فى النكاية وانصرف إلى العدوة بثلاثة عشر ألف من النساء والذرية فوصل مدينة فاسى فى أواخر شهر رجب من السنة المذكورة راجع ابن أبى زرع ، المصدر السابق، ص١٤٣-١٤٤ ، السلاوى الاستقصاء لاخبار دول المغرب الأقصى ، ج١ القاهرة ١٣١٢ هـ ص١٧٤ ، أشباخ المرجع السابق ص٧٨-٧٩ ج٢ . والواقع أن أحداث هذه الحملة تواكب نفس تواريخ حصار شلب والاستيلاء عليها ولم تذكر تلك المعلومة أى من المصادر الأخرى وتنفى تماما هذه الحملة لأنه لم تؤيدها المصادر وثيقة الصلة بالفترة الزمنية ولامنطقية الأحداث حينئذ .

بعد فقد مدينة شلب، ويتضح من رواية ابن عذارى أن سبب التأخير هو الاستعدادات الضخمة التى أمر بها الخليفة وفى نفس الوقت الخطابات التى وجهها إلى ولاة الأندلس للاستعداد بالعتاد وآلات الحرب للحملة الكبرى(١).

على أية حال عبر الخليفة فى ١ مايو ١١٩٠م / ٢٣ ربيع الأول ٥٨٦هـ إلى طريف واستقبل هناك وفود الأندلس ثم توجه إلى قرطبة وأرسل ابن عمه يعقوب ابن أبى حفص الوالى الجديد لاشبيلية يطلب فيه بأن يخرج على رأس جيشه ويتجه إلى حصار مدينة شلب فنفذ على الفور ذلك الأمر فى غرة جمادى الأول ٥٨٦هـ / ٦ يونية ١١٩٠م وعسكر أمام المدينة . وبعد مرور شهر وصل أسطول الموحدين يحمل العتاد والماكينات الحربية ونصبوها حول مدينة شلب وضربوا حولها حصارا صارما (٢).

وحينئذ كان الخليفة يعقوب المنصور قد وصل إلى قرطبة ونزل فى قصر أخيه أبو يحيى محمد(٣) وبدأ يستعد بجيشه من أجل مساندة حصار شلب واستعادتها إلى أيدى المسلمين مرة أخرى فلأخذ يتوجه ناحية نهر التاجة لإعاقة الإمدادات التى قد تصل من الملك سانشو إلى المحاصرين فى مدينة شلب .

وكان الخليفة يعقوب قد قسم جيشه إلى قسمين : الأول وضع على قيادته السيد أبوزكريا بن أبى حفص(٤) وحدده لدخول الالنتخو Alentejo حتى يصل إلى مدينة يابرة مدمرا كل

---

(١) ابن عذارى ، البيان ، القسم الثالث ، ص١٧٧-١٧٨ .

Coelho, Portugal na Espana Arabe, vol . III, Lisboa 1973 , pp. 307-308 .

(٢) ابن عذارى ، نفس المصدر والجزء ص١٧٨-١٧٩ .

Huici . Historia Politica ..., p. 346 ; peres Y Otro, Op. cit, p. 143 ; Herculano Op. cit, T2, p. 72 .

(٣) فى أثناء وجود الخليفة فى قرطبة وصل إليه سفراء ألفونسو الثامن ملك قشتالة يطلبون السلم وعقد الهدنة معهم واستجاب الخليفة إلى مطالبهما لأنه حسبما يذكر فى رسالته رأى مصلحة «المسلمين فى افتراق كلمة الكفر» وكذلك عقد ملك ليون الهدنة مع الخليفة ولم يأبه بالحلف القديم الذى كان قد عقده أبوه فرديناند الثانى مع ملك البرتغال أيام موقعة شنترين . عنان ، نفس المرجع ج٢ ، ص١٧٦ نقلا عن مجموعة رسائل موحدية منشورة بعناية. ليفى بروفنسال الرباط ١٩٤١م الرسالة الرابعة والثلاثون، ص٢٢٢-٢٢٣ انظر أيضا: ابن عذارى، نفس المصدر والجزء ص١٧٩ .

Huici, Historia Politica ..., pp. 346-347 .

(٤) ابن عذارى ، نفس المصدر والجزء ، ص١٧٩-١٨٠ .

Huici, Historia Politica ..., p. 347 .

كل ما يجده فى طريقه ويلتقى مع جيش الخليفة على ضفاف نهر التاجه، وهو القسم الثانى والذى تولى الخليفة نفسه قيادته والذى سوف يدخل عن طريق وادى يانه ومنه إلى ضفاف نهر التاجه ، وذلك لتنفيذ خطته بارغام ملك البرتغال على التحصن داخل مدينة شنترين ويسهل بذلك مهمة الموحدين المحاصرين لشلب فى السيطرة عليها. وقد نفذت الخطة كما وضعت ، ووصل الخليفة إلى ضفاف نهر التاجة شمال شنترين وقام الموحدون بتدمير كل ما وجدوه فى طريقهم من زروعات وضياع ، ثم التقى مع جيش السيد أبوزكريا واتجهوا معا لمواجهة قلعة طرش Torres- Novas[١] ففرضوا الحصار عليها واستطاعوا أن يجبروا حاميتها على الاستسلام بعد أن طلب قائدها مهلة ضرورية يتفاهم من خلالها مع مليكه سانشو فى ذلك الشأن ، فوافق الخليفة على ذلك . وبعد انتهاء المهلة المحددة غادر البرتغاليون القلعة واستولى المسلمون على كل امتعتهم ودمروا القلعة حتى سويت بالأرض[٢]. ولم يفكروا فى الاحتفاظ بها لأنها كانت تقع فى قلب مملكة البرتغال ويصعب الاحتفاظ بها.

= قد اشارت المدونات البرتغالية إلى تلك الخطة وذكروا بأن جيش الموحدين قد دخل البرتغال عن طريق ثلاث أماكن مختلفة:

- والى اشبيلية دخل بجيش عن طريق الغرب Algraves ليحاصر مدينة شلب

- أما والى قرطبة فإنه مع جيشه دخل عن طريق الالنتخو حتى مدينة يابرة مدمرا كل زروع تلك المنطقة .

- الخليفة دخل بجيشه عن طريق ضفاف نهر وادى يانه ويمر إلى ضفاف نهر التاجة ليهاجم قلاعه .

Duarte, Op. cit, p. 103 ; Silva, Op . Cit, p. 168 ; Bastro . Op. cit, p. 152 ; Pina, Op. cit, p. 78.

(١) قلعة طرش Torres- Novas تقع إلى الشمال من شنترين ومن نهر التاجة ومنحرفة قليلا إلى الشرق وتعد من أقوى وأحصن قلاع البرتغال آنذاك وتقع على ربوة عالية يحيط بها خندق عميق ومزودة بحامية قوية من البرتغاليين حتى أن المؤرخين ذكروا بأنها أحصن قلعة حينئذ فى البرتغال وهى مدينة موجودة حاليا فى البرتغال .

Huici, Historia Politica ..., p. 348 .

(٢) ابن عذارى ، نفس المصدر والجزء ص١٨٠ .

Huici, Historia Politica..., p. 348 ; Serrão Op. cit, p. 107 ; Beirrao, G, Historia breve de portugal, Lisboa (S/d), p. 13 .

ثم توجه الخليفة بقواته بعد ذلك لحصار قلعة طمان Thomar[(١)] . كان الملك سانشو حينئذ قد علم باستعدادات الخليفة لدخول البرتغال وأنه قد اخترق حدوده فتحصن فى مدينة شنترين اعتقادا منه بأن الخليفة يهدف إلى حصارها انتقاما من مقتل والده أمامها[(٢)] وقد ساعدت

= اشارت مدونة سانشو إلى أن الخليفة الموحدى أثناء توجهه إلى حصن طرش سبب ضرراً كبيراً فى كل الأراضى التى مر بها وأنه استولى على كل ما وجده فى طريقه. ويشير بأنه الأول مرة يستولى المسلمون على هذه القلعة وبها حامية قوية جدا، وخرجت منها حاميتها منقذين حياتهم، أما والى قرطبة والذى دخل عن طريق الالنتخو فإنه وصل مدينة يابرة مسببا كثيرا من الضرر فى الطريق لكل ما مر عليه . انظر:

Pina, Op. cit, pp. 78-79 .

كانت مدينة يابرة حينئذ خاضعة لسلطة البرتغاليين ولم تكن هدف الحملة ولكن جيش والى قرطبة مر بها دون حصارها للالتقاء مع الخليفة على ضفاف وادى نهر التاجة حسب الخطة المتفق عليها بينهما.

(١) طمان Thomar تقع إلى الجنوب الشرقى من قلعة ليريا والى الشمال الشرقى من مدينة شنترين ، ويرجع الفضل فى تأسيسها للدونيا تريزا- والدة الملك ألفونسو هنريكز وجده الملك سانشو - وكانت قد سلمتها عام ١١٢٦م / ٥٢٠هـ إلى جماعة رهبان فرسان الداوية الذين كانوا يمارسون نشاطهم من تلك القلعة لحماية تلك المنطقة وقد اعتمد عليهم ألفونسو هنريكز أثناء انشغاله بالحروب ضد ابن خالته الإمبراطور ألفونسو السابع فى صد غارات المرابطين .

Brandão , Cronica do conde D. Henrique , pp. 189-192 ; CF. also : Stephens, Op. cit, p. 43 .

وطمان تحتوى على سهل خصب من الأراضى وكان السدس من الانتاج الزراعى لهذا الوادى يمنح للسيد المشهور سيد الداوية جولدين بايز Gualdin Pais ولجماعته فى القلعة وهى تقع على حافة هضبة عالية وتأخذ اسمها طمان من النهر الذى يجرى فى واديها .

Inchbold, A. C. Lisboa E Cintra , London 1907 , p. 183 .

وقد عانى المسلمون كثيرا من جراء هذه القلعة والتى كانت تمثل مركزا مسيحيا متقدما فى مواجهة حدود المسلمين آنذاك، وقد انتهز المرابطون فرصة انشغال ألفونسو هنريكز فى حروبه ضد ابن خالته الإمبراطور ألفونسو السابع وهاجموا الحدود الجنوبية للبرتغال فى عام ١١٣٧م/ ٥٢١هـ وهاجموا قلعة طمان وقتلوا بعض رجال حاميتها وأسروا البعض الآخر ثم عادوا إلى أراضيهم .

Cronica dos Godos, p. 268 ; Chronicon Lusitano, p. 409 ; Brandão Mon.. Lus ..., p. 10; CF. also : Livermore, Op. cit, p. 54 ; Duarnd, R, les campagnes portugises entre Douro et Tago aux XII et XIII Siecles , Centro cultural Portugues, Paris 1987,p. 32 .

(٢) اختلف المؤرخ ابن عذارى مع الروايات البرتغالية فى سبب حملة الخليفة يعقوب على شنترين =

الظروف الملك سانشو كثيرا عندما رست عشر من سفن الإنجليز والنورمان التابعين للملك ريتشارد قلب الأسد فى ميناء لشبونه وهى فى طريقها إلى فلسطين ، فأرسل الملك سانشو إلى قادتها سفراءه يطلب مساعدتهم ضد الجيوش الإسلامية، فتوجه إليه خمسمائة محارب منهم للانضمام إلى حامية شنترين بينما أبحرت إحدى سفنهم وعلى متنها مئة محارب لتعضيد حامية شلب ومد يد العون إلى نيقولا أسقف المدينة (١).

وجدير بالذكر أنه كان لمنعة تحصينات مدينة شلب وقوة حاميتها عظيم الأثر فى عجز يعقوب بن أبى حفص والى إشبيلية عن اقتحامها والاستيلاء عليها فكان حصار المدينة دون طائل وتشير الرواية المسيحية إلى أنه فقد كثيرا من رجاله وجرح عدد كبير (٢).

أما الخليفة يعقوب المنصور فقد ضرب الحصار حول قلعة طمان مركز قيادة الداوية فى البرتغال(٣) وشدد الحصار حولها وكان خلال ذلك يوجه السرايا فى سائر البسائط القريب تثخن فيها وتمعن فى تخريبها(٤) ولكنه قرر فجأة الانسحاب من أمام قلعة طمان ورفع حصار الجيش الموحدى عن مدينة شلب والعودة إلى بلادهم .

= فتوضح مرجعه ليتمكن الخليفة بعد ذلك من التوجه إلى قلمرية عاصمة البرتغال ويستولى عليها. ابن عذارى نفس المرجع والجزء ، ص١٨٠ . ولكن الواقع نستبعد تماما أن هدفه الأول هو مدينة قلمرية أولا لبعدها حيث تقع فى الجزء الشمالى من مملكة البرتغال وثانيا هدفه هو إعاقة الملك البرتغالى عن إرسال نجدات إلى مدينة شلب المحاصرة الهدف الرئيسى لحملة الخليفة .

(١) Pina, Op. cit, p. 79 ; CF . also : Herculano, Op. cit, T2, pp. 76-77; Peres Y Outro , Op. cit, p. 143 .

(٢) خلط المؤرخ ستيفن فى أحداث الحصار أن الخليفة يعقوب حاصر شلب ولكنه هزم بواسطة مائة فارس من الصليبيين والذين دعوا حامية شلب وأنه انسحب إلى طمان وحاصرها وأجبر فى النهاية على التخلى عن حصار شنترين بسبب الطاعون والذى كان البرتغاليون قد اكتسبوا المناعة منه من الله . Stephens, Op. cit, p. 62 .

(٣) كان يتركز فى القلعة الداوية وزعيمهم جوالدين واحد من أوائل الذين أرسوا قواعد الجماعة فى البرتغالومن الأعضاء المشهورين فى الشرق وفى أسبانيا .

Herculano , Op. cit, T2, p. 75 ; Inchold, Op. cit, Loc. cit .

(٤) عنان، نفس المرجع ج٢ ص١٧٧ نقلا عن الرسالة الموحدية الرابعة والثلاثين ص٢٢٥ ، ٢٢٦ .

وجدير بالذكر هنا روايتان مختلفتان فى بعض تفاصيل المضمون حول هذه الواقعة: فالرواية الأولى لابن عذارى تقول إنه أثناء حصار طمان وصلت إلى الخليفة يعقوب المنصور رسل من الملك سانشو تطلب السلم والمهادنة فأمر الخليفة برفع الحصار عن الحصن المذكور حتى ينعقد السلم والمهادنة رغم أنه كان قد عزم من قبل على أن «يروع بلاد ابن الرنك»(١) وينتهى فيها إلى أقطار قلمرية » وذلك على حد تعبيره . ويواصل المؤرخ حديثه أن السبب فى تفكير الخليفة فى الانسحاب إنما يرجع أيضا إلى شدة المرض الذى أصابه فضلا عن انهاك قوى جيشه وتعذر وصول التموينات إليه من قرطبة بعكس ما كان عليه حال البرتغاليين حيث استطاعوا قبل الغزو أن يحصدوا معظم زرعهم وأن يخزنوا المؤن الكافية. لذلك قرر الخليفة رفع الحصار والرجوع إلى إشبيلية وأمر قائد جيشه المحاصر لشلب برفع الحصار (٢).

أما الرواية البرتغالية ومضمونها أنه أثناء حصار الموحدين لقلعة طمان تعرضوا لسوء الطقس وتفشى الأمراض بينهم مما اضطر الخليفة إلى إرسال سفراء إلى الملك سانشو يقترح عليه استرداد مدينة شلب مقابل تسليمهم حصن طرش مع عقد هدنة بين الطرفين لمدة ست سنوات ولكن الملك سانشو رفض هذا الاقتراح فاضطر الخليفة الموحدى إلى الانسحاب(٣).

وبمناقشة الروايتين الإسلامية والبرتغالية يتضح لنا اختلاف الروايتين فيمن طلب الهدنة: فالرواية الإسلامية تقول إن ملك البرتغال هو الذى سارع بطلب الهدنة فى حين أن الرواية البرتغالية تقول إن الخليفة الموحدى هو الذى طلب الهدنة فى مقابل تسليم حصن طرش واسترداد مدينة شلب . والواقع أن الرواية البرتغالية تكون أقرب إلى منطق الأحداث لأن الذى

---

(١) ابن الرنك يقصد به ابن هنرى (البورجونى) والواضح أن المصادر الإسلامية اطلقت ذلك على الملك ألفونسو هنريكز والذى كانت تسميه أيضا: ابن الريق، ابن الرنق، ابن الرند والأخيرة التى أشار إليها ابن خلدون، نفس المصدر، ج٤ ص٣٩٢ والواقع تجاوزا تطلقها على سانشو على أساس أنه ابن (ابن الرنك) .

(٢) ابن عذارى : نفس المصدر والجزء ص١٨٠، عنان نفس المرجع ج٢ ص١٧٧-١٧٨، قد أشار ابن خلدون أيضا إلى الحملة الأولى لاسترداد شلب واستيلائها على حصن طرش وهدمه ثم عودتها دون الاستيلاء على شلب أما باقى المؤرخين المسلمين فإنهم جمعوا بين المحاولة الأولى والمحاولة الثانية كحملة واحدة انظر:

ابن خلدون : نفس المصدر، القسم الأول ، م٦ ، ص١١د .

(٣) Pina, Op. cit, p. 78 ; CF . also : Herculano , Op. cit, pp. 78-79; Y Outro, Op. cit, p. 134 ; Serrao , op. cit, pp. 109-110 ; Stephens, Op. cit, p. 62 Huici, Historia , p. 349 ; Fernandes, Op. cit, pp. 256-257 .

واجه الصعوبات هو جيش الموحدين . أما فيما يتعلق بعرض الخليفة تسليم حصن طرش مقابل استرداد مدينة شلب ، فإننا لانوافق على ذلك لأن حصن طرش كان قد سوى بالأرض طبقا لما أوضحته الروايات الإسلامية والبرتغالية معا من قبل . وبذلك لم يكن له وجود أثناء المفاوضات التى دارت بين طرفى النزاع ولعل ما يقصده المؤرخون أن الخليفة أراد استرداد مدينة شلب فى مقابل الانسحاب بجيوشه من مملكة البرتغال .

وخلاصة القول أن غزوة الخليفة يعقوب المنصور والتى استغرقت ثلاثة وأربعين يوما لم تحقق أهدافها على الرغم من ضخامة جيش الموحدين والاجراءات التى اتخذوها لنجاح حملتهم . ولعل السبب فى عدم التوفيق يرجع إلى سوء التخطيط، وعدم تأمين طرق الامدادات مع عدم التنظيم القيادى وتفشى الأمراض الخطيرة فضلا عن مرض الخليفة نفسه.

على أية حال بعد عودة الخليفة يعقوب المنصور إلى إشبيلية فى جمادى الآخرة ٥٨٦هـ يوليو ١١٩٠م أخذ ينظم شئون الأندلس ويجهز جيوشه ويكمل استعداداته الحربية[١] وعندما انتهى من ذلك وأدرك أن الظروف أصبحت مهيئة تماماً خرج فى أول ربيع الآخر ٥٨٧هـ / ٢٨ أبريل ١١٩١م على رأس جيشه مخترقا الأراضى البرتغالية متجها إلى قصر أبى دانس Al-caccr dc sal (قصر الفتح)[٢] وفرض الحصار عليها مدركا فى هذه المرة عدم تقسيم قواته

---

(١) أثناء وجود الخليفة فى اشبيلية وصلت سفارة هامة بقيادة ابن منقذ من الملك الناصر صلاح الدين الأيوبى سلطان مصر والشام إلى المغرب وكان سبب إرسالها أن صلاح الدين الأيوبى كان قد أرسل سفارة عام ٥٨٥هـ / ١١٨٩م إلى نفس الخليفة يطلب فيها عونه ضد الصليبيين خاصة وأن صلاح الدين علم باستعدادات الغرب الأوربى للخروج بالحملة الصليبية الثالثة، ولكن يبدو أن صلاح الدين كان لايعلم بما يمر به الموحدون وأنهم أنفسهم فى حاجة إلى معونة ضد الممالك المسيحية وما يتعرضون له من التمردات والقلاقل فى المغرب ولذلك لم يجد صلاح الدين الأيوبى صدى لرسالته الأولى فأرسل ابن منقذ فى العالم التالى ٥٨٦هـ / ١١٩٠م إلى المغرب والذى انتظر زهاء عام حتى رجع الخليفة الموحدى . أنظر: القلقشندى، صبح الأعشى، القاهرة ١٩٦٣، ج٦ ، ص٥٢٦-٥٣٠ وانظر أيضا تفاصيل السفارتين فى كل من ابن الأثير، الكامل فى التاريخ بيروت ١٩٧٩م، م١١ ص٥٤٦-٥٥٢، ابن عذارى نفس المصدر والجزء ، ص١٨٣-١٨٤ : عنان ، نفس المرجع والجزء ، ص١٨١-١٨٦ ، عاشور : الحركة الصليبية ج٢ ص٨٢٧ .

(٢) مدينة بغرب الأندلس، تقع إلى الجنوب الشرقى من لشبونه وهى كما يشير الادريسى «القصر مدينة حسنة متوسطة على ضفة النهر المسمى شطوبر وهو نهر كبير تصعد فيه السفن الكثير وهى فى ذاتها رطبة العيش خصيبة كثيرة الألبان والسمن والعسل واللحوم الادريسى، نفس المصدر، =

لأن وحدة الجيش تجعل منه إلى حد كبير قوة ضاربة تستطيع تحقيق مهامها وتساعده فى الاستيلاء على القلاع والحصون القوية والتى تمثل تهديدا كبيرا له عند حصاره لمدينة شلب الهدف الرئيسى للحملة .

فنظم الخليفة قواته حول المدينة، وأمر العبيد والاتباع بردم خندق كبير يحيط بالمدينة من جهاتها الأربع ثم ركز الموحدون هجومهم على الأسوار ولكن البرتغاليين أمطروا المهاجمين بالنبال والحجارة مما أدى إلى إصابة عدد كبير من جنود الموحدين فقرر الخليفة عندئذ ايقاف القتال لمدة ثلاث أيام حتى ينال الجنود قسطا من الراحة وتكون سفن الأسطور الموحدى قد دخلت فى نهر شطوير حاملة معها آلات الحصار والمجانيق . وبعد أن انتهت فترة الراحة أمر الخليفة بنصب أربعة عشر منجنيقا خلال يوم وليلة حول أسوار المدينة . وفى ١٥ من جمادى الأول ٥٨٧هـ / ١٠ يونيو ١١٩١م أمر الخليفة جنوده بالهجوم المكثف على المدينة فاشتد القتال بين الطرفين حتى أصاب المدينة بضرر كبير وظهرت للبرتغاليين صعوبة المقاومة مما دفعهم إلى طلب الأمان واستسلموا فحملهم الموحدون فى المراكب وأرسلوهم إلى اشبيلية واستولى الموحدون بذلك على المدينة. وقام الخليفة بتنظيم شئون القلعة وأمر بإصلاح ما تهدم منها وترك بها حامية كبيرة نظم لهم الرواتب وعين أبا بكر محمد ابن وزير(١) واليا

= ص٢٣٨ : الحميرى نفس المصدر، ص١٦٠-١٦١ . وقد تعددت محاولات الملك ألفونسو هنريكز للاستيلاء عليها أربع مرات حتى استطاع فى المحاولة الأخيرة عام ١١٥٨م / ٥٣٣هـ أن يستولى عليها عندما انتهز فرصة وصول بعض السفن الصليبية من فرنسا والمناطق المجاورة إلى لشبونه واتفق مع قادتها لمحاصرتها فحاصرها الأسطول بحرا بينما أحاطها الملك ألفونسو بجيشه برا وكان الحصار متكاملا وتمكن الطرفان بهذه الطريقة من تضييق الخناق على أهلها واستمر الحصار مدة شهرين والقتال على أشده حتى سقطت المدينة فى ٢٤ يونيو ١١٥٨م / جمادى الأول ٥٥٣هـ وهم يحتفلون بعيد القديس خوان باتيستا João Baptista ثم قاموا بطرد كل سكانها المسلمين .

Cronica dos , p. 271 ; Chronicon Lusitano, p. 415 ; Chronicon Conimbricense, p. 332 ; Recension breve Continuee Jusque , A.p.P, 109 ; Brandão Mon. Lus, p. 193 Cf. also: Herculano, Op. cit, T3, pp. 114 ; Lozoya , M. Historia de Espanã , Barcelona 1977, p. 433 ; Stephens Op. cit, p. 54 .

محمد النشار ، المرجع السابق، ص١٦٢ .

(١) هو ابن محمد سيدراى بن وزير أشهر زعماء الغرب الأندلسى واقترن اسمه بثورة الأندلسيين على المرابطين وكان حاكما للحصن قبل أن يسقط فى أيدى البرتغاليين. وقد أشار إليه ابن الآبار بقوله =

عليها[١] . ثم اتجه الخليفة بعد ذلك بجيشه إلى حصن بلماله Palmela[٢] وهو من أمنع الحصون الموجودة فى المنطقة لأنه يعتبر بمثابة خط دفاع أول لمدينة لشبونة وكانت به حامية قوية من جماعة فرسان رهبان القديس شانت ياقب والتى منحها لهم الملك سانشو[٣] الأول لأجل حماية الداخل الجنوبية لمدينة لشبونه . ولكنهم عندما رأوا ضخامة الجيش الموحدى واستسلام قلعة قصر أبى دانس المنيعة عرضوا الاستسلام فوافق الخليفة على تركهم الحصن

= «محمد بن سيدراى بن عبد الوهاب بن وزير القيس أبى بكر، فيشير إلى أن أباه كان أميرا بغرب الأندلس أيام الفتنة وتغلب على أبى القاسم ابن قسى فى شعبان ٥٤٠هـ / ١١٤٥م ثم نظمته العدوة المهدية مع رؤساء الأندلس وحضر حصار اشبيلية هو وابن قسى فى العساكر المحيطة بها مع الأساطيل برا وبحرا إلى أن فتحت يوم الأربعاء الثانى من شعبان ٥٤١هـ / ١١٤٦م وفر الملثمون وتخلى أبو محمد المذكور عن شلب عام ٥٥٢هـ / ١٥٥٧م فتمكنت مع قلعة ميرتله وولى قصر الفتح المنسوب إلى أبى دانس عند استرجاعه من أيدى الروم جمادى الأول ٥٨٧هـ ١١٩١م .

ابن آبار ، الحلة السيراء ، حققه وعلق عليه عبدالله أنيس، بيروت ١٩٦٢، ص٣٢٣ .

(١) ابن عذارى ، نفس المصدر والجزء ص١٨٤-١٨٥ ، عنان ، نفس المرجع والجزء ص١٨٦-١٨٧ .
Huici, Historia Politica, pp. 355-356 ; Coelho, Op. cit, pp. 309-310 ; Lomax, Op. cit, p. 155.

(٢) أوردها ابن عذارى ، قلماله وأوردها الحميرى بلمالله ونميل إلى بلماله لأن أصلها كلمة برتغالية وقريبة من نطقها بالبرتغالية- وتقع بلماله على الضفة الجنوبية لنهر التاجه إلى الشرق قليلا قبالة مدينة لشبونه وتعتبر إحدى القلاع المدافعة عن مدينة لشبونه وهى لايفصلها عنها سوى مياه نهر التاجة ولذلك كان من الطبيعى أن استولى عليها الملك ألفونسو هنريكز مباشرة بعد استيلاء على مدينة لشبونه عام ١١٤٧ / ٥٤٢هـ .
Cronica dos Godos, p. 271 ; Chronicon Lusitano , p. 414 ; Chronicon conimbricense, p. 331; Cf. also : Herculano, Op. cit, T3, p. 107 .

(٣) Documento N 211 , Martin , J.L., Origenes de la orden. Militar de Santiago 1170-1195 Barcelona 1974 .

هذا المؤلف يتحدث عن نشأة جماعة رهبان فرسان شانت ياقب وهى نشأة على غرار جماعات رهبان الداوية والاسبتارية وكانت البداية عبارة عن تأسيس جماعة تدعى أخوة قاصرش سنة ١١٧٠م والتى تطورت بعد ذلك وأصبحت جماعة القديس تدعى شانت ياقب .

Radas Y Andrado . Cronicas de las Tres Ordenes, Cronica de Santiago , Barcelona 1980 .

والخروج آمنين إلى بلادهم ويبدو أنه تركهم يخرجون إلى بلادهم لأنهم لم يقاوموا مثل حامية قلعة قصر أبى دانس ، ودخل الموحدون الحصن واستولوا على كل ما فيه من الأثاث والأقوات والأسلحة ثم أمر المنصور بهدمه «فهدم حتى محيت آثاره»[١] ولعل مرجعه عدم استطاعة الموحدين الاحتفاظ به أو ترك حامية بداخله .

ثم زحف الجيش الموحدى على حصن المعدن Almada[٢] ، وكان أيضا قد منحه الملك سانشو فى أكتوبر ١١٨٦م إلى جماعة رهبان فرسان شانت ياقب فى نفس وثيقة منح قلعة بلماله، وهو لايبعد عن قلعة بلماله إلا ببضعة كيلومترات ويشترك معه فى حراسة المداخل الجنوبية لمدينة لشبونه. واستطاع الخليفة الاستيلاء عليه وأن يهدمه حتى صار أثرا بعد عين[٣].

ويلاحظ أن المدونات البرتغالية لم تشر إلى أية تفصيلات من هذه الأحداث فيما عدا

---

(١) ابن عذارى ، نفس المصدر والجزء ص١٨٥ ، عنان : نفس المرجع والجزء ص١٨٧ أما الحميرى فقد تجاهل الحملة الأولى ١١٩٠م / ٥٨٦هـ وذكر الحملة الثانية عام ١١٩١م ٥٨٧هـ وأشار إلى الأحداث السابقة . الحميرى نفس المصدر ص١٠٧ .

(٢) أشار الادريسى إلى هذا الحصن بقوله «على ضفة النهر من جنوبه قبالة مدينة لشبونه حصن المعدن وسمى بذلك لأنه هيجان البحر يقذف هناك بالتبر والذهب فإذا كان زمن الشتاء قصد إلى هذا الحصن أهل تلك البلاد فيخدمون المعدن الذى به إلى انقضاء الشتاء وهو من عجائب الأرض وقد رأيناه عينا «الادريسى نفس المصدر ص١٨٤ وكان قد استولى عليه الملك ألفونسو هنريكز بعد استيلاء على مدينة لشبونة ١١٤٧م ٥٤٢هـ انظر نفس مصادر حسن بلماله .

(٣) ابن عذارى ، نفس المصدر والجزء والصفحة ، عنان ، نفس المصدر والجزء والصفحة ، وجدير بالذكر أن هناك لبس وقع فيه بعض المؤرخين المسلمين وعلى رأسهم ابن أبى زرع والذى أشار بأن الذى قام بتلك الحملة واستولى على القلاع السابقة هو محمد بن يوسف والى قرطبة وأنه قد استولى أيضا على مدينة باجة ويابرة ورجع إلى قرطبة ابن أبى زرع، نفس المصدر، ص١٤٤ .

وقد جانب الصواب ابن أبى زرع أيضا فى استيلاء الموحدين على مدينتى باجه ويابرة وانظر الهوامش السابقة فى هذا البحث ص١ .

أما البعض الآخر من المؤرخين المسلمين فقد اشاروا إلى حملة واحدة للخليفة يعقوب المنصور من أجل استرداد شلب ، الحميرى نفس المصدر، ص١٠٧-١٠٨ ، عبد الواحد المراكشى ، نفس المصدر ، ص٣٥٦-٣٥٧ ، المقرى ، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، القاهرة ١٣٠٢، ج٢، ص٥٣٦ ابن خلكان نفس المصدر م ٧، ص٤ .

إشارات مقتضبة جدا مفادها أن القلاع المجاورة بعد أن رأت سقوط قصر أبى دانس فى أيدى الموحدين ووقفت على ضخامة الجيش الموحدى بادروا باخلاء حصونهم واللجوء إلى مدينة لشبونه [١].

على أية حال اكتفى الخليفة يعقوب المنصور بما استولى عليه من قلاع وحصون وتوجه إلى مدينة شلب الهدف الأساسى للحملة فوصل إليها يوم الخميس الثانى من جمادى الآخر ٢٧ يونية ١١٩١ م وطوقها بقواته وردم خندقها المحيط بها ونصب حولها المجانيق وأخذ يضرب أسوارها . واستمر الحصار والهجوم على المدينة حتى يوم الأربعاء الخامس عشر من جمادى. ففى فجر ذلك اليوم انتهز فرصة غفوة حرس المدينة من فرط تعبهم ومعاناتهم وأمر جنوده بتسلق الأسوار خلسة فنجحوا فى ارتقائها ورفعوا الرايات الموحدية على السور وهللوا وكبروا وضربت الطبول واقتحموا المدينة بعد أن قتلوا حراس الأسوار، فلجأت الحامية البرتغالية إلى داخل المدينة للتحصن داخل قصبتها وبادروا بطلب التسليم والأمان، فوافق الخليفة يعقوب المنصور على طلبهم وأمرهم بإخلاء المدينة خلال عشرة أيام . وخرج البرتغاليون من قصبة شلب فى يوم الخميس الخامس والعشرين من جمادى الآخرة ٥٨٧هـ / ٢٣ يوليو ١١٩١م، ودخلها الموحدون فى الحال بعدما أن لبثت فى أيدى البرتغاليين منذ سقوطها فى رجب ٥٨٥هـ زهاء عامين[٢] . وأعلن المنصور حينئذ على ولايتها ابن وزير[٣] واستغرقت حملته على البرتغال ثلاثة أشهر.

وجدير بالذكر أن المدونات البرتغالية قد أشارت إلى حصار مدينة شلب والاستيلاء عليها فى إشارات مقتضبة فلوضحوا أن الموحدين حاصروها وضربوها بالمجانيق ليلا ونهارا بدون توقف حتى اضطر سكانها إلى التسليم وخرجوا منها بعد أن فقدوا الأمل فى وصول نجدات

---

(١) بعض المدونات البرتغالية أضافت إلى الحصون التى ذكرها ابن عذارى، حصن كوينا وأن الذى قام بالحملة هو الخليفة نفسه .

Silva, Op. cit, p. 171; Basto, Op. cit, p. 154 .

واحدى المدونات أضافت قلعة أخرى وهى سيزمبر Cizimbra بل وأشارت أن الذى قام بالحملة هو والى إشبيلية . Duarte, Op. cit, p. 104

(٢) ابن عذارى ، نفس المصدر والجزء ص١٨٥-١٨٦، عنان نفس المرجع والجزء ص١٨٧-١٨٨، أحمد مختار العبادى، نفس المرجع ، ص٣٦٢ .

Huici, Op. cit, p. 357 ; Serrão, Op. cit, p. 110; Lomax, Op. cit, p. 155 .

(٣) انظر هامش ١، ص٣٢ من هذا البحث.

من ملكهم سانشو الأول(١) بعد أن أدرك هذا الملك استحالة التصدى لحملة الخليفة يعقوب المنصور.

ونخلص مما سبق أن مدينة شلب شهدت ما بين عامى ١١٨٩-١١٩١م / ٥٨٥-٥٨٧هـ أحداثا بارزة شكلت بؤرة الاهتمام فى شبه الجزيرة الأيبيرية بين كل من البرتغاليين والصليبيين والموحدين . حقيقة أن سقوط بيت المقدس ١١٨٧م / ٥٨٣هـ أدى إلى فوران الروح الصليبية واستفادة البرتغالين منه مما جعلهم يستعينون بالصليبيين فى الاستيلاء على مدينة شلب إلا أنه قابلها فى نفس الوقت ارتفاع روح المسلمين القتالية وإصرارهم على الجهاد واسترجاع ما فقدوه، فلم يسترد المسلمون مدينة شلب فحسب وإنما استردوا المناطق الأخرى المجاورة لها حتى أصبحت معظم أجزاء منطقة غرب الأندلس تحت سيطرة الموحدين ؛ الأمر الذى ساعد دولة الموحدين فى أن تستعيد سطوتها فى شبه الجزيرة الايبرية وخاصة بعد وفاة الخليفة أبى يعقوب يوسف وكان ذلك تمهيدا لانتصارهم الكبير على القوى المسيحية فى موقعة الارك ١١٩٥م / ٥٩١هـ .

---

(١) Duarte, Op. cit, pp. 104-105 ; Silva, Op. cit, p. 171 ; Basto, Op. cit, p. 154 .

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر الأوربية :

- Basto : A.M: Cronica de cinco, Reis de Portuga;. volI, Porto (S.d).
- Brandão, A:
    1- Cronica do conde D. Henrique , D. Henrique, D. Teresa E. infante D. Alfonso " . Porto 1944 .
    2- Monarquiz Lusitana, Porto 3, Lisboa 1973 .
- Chronicon conimbricense":
    Espãna Sagrada , Toma 14 , Preparar por Henrique Florez, Madrid 1905 .
- Conquista de Lisboa aos Mouros 1147, Libsoa1936 .
- Cronica dos Gods:
    Apendice Brandão cronica de conde D. Henrique, D. Teresa E. Infante D. Alfonso, Porto 1944 .
- Cronica Latina de los Reyes de casrilla, Traduccion Luis charlo Brea, Universidad de cadiz 1984 .
- Documento N211 , en el libro . Martin, origenes de la orden Militar de Santiago (1170-1195) Barcelona 1974 .
- Duarte, N.L.: Cronica dos Reis de Portugal:
    1- Chronica del Rei D. Alfonso Henrique .
    2- Chronica del Rei D. Sancho I, Porto 1975 .
- Calvao D: Chronica del Rei D. Alfonso Henrique . Lisboa 1906 .
- Pina, R: Chronica del Rei D. Sancho I, Lisboa 1906 .
- Primera cronica general de Espãna . Publicado por Romon Menedez Pidel, Madrid 1955 .
- Radas Y Andrado : Cronicas de las tres ordenes, cronica de santiago . Barcelona 1980 .
- Recension breve continuee : Annales Portugalenses, Revista Portuguesa de Historia , coimbra 1974 .
- Rodrigo : Jimenez de Rada : Historia , des los Hechos de Espanâa . Madrid 1982 .
- Silva: G.T: Cronices dos sete primeiros Reis de Portugal:
    1- Cronica do Rei D. Alfonso Henriques.
    2- Cronica do Rei D. Sancho I . vol . Lisboa 1952 .
- Zurita . J: Anales de la corona de Aragon . Tomo 1, Zaragoza 1977 .

ثانيا : المصادر العربية :

- ابن الآبار : أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن أبى بكر القضاعى (ت ٦٥٨هـ / ١٢٦٠م).

«الحلة السيراء» جزآن تحقيق الدكتور حسين مؤنس القاهرة ١٩٦٣م . وأيضًا طبعة أخرى تحقيق عبدالله أنيس، بيروت ١٩٦٢ .

- ابن أبى زرع : أبو الحسن على بن عبدالله (ت ٧٢٦هـ / ١٣٢٦م) .

«الانيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس » اوبساله ١٨٤٣م.

- ابن الأثير : عز الدين أبو الحسن على بن محمد (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م) «الكامل فى التاريخ» الجزء الحادى عشر بيروت ١٩٧٩م.

- ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م) .

«العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر».

المجلدين الرابع والسادس، بيروت ١٩٦٨م.

- ابن خلكان : أبى العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر (ت ٦٨١هـ / ١٢٨٧م) «وفيات الأعيان» الجزء السابع بيروت ١٩٦٨م.

- ابن سعيد : على بن موسى (ت ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م)

«المغرب فى حلى الغرب». الجزء الأول تحقيق الدكتور شوقى ضيف دار المعارف ١٩٦٤م.

- ابن صاحب الصلاة : عبد الملك بن صاحب الصلاة (ت ٥٩٤هـ / ١١٩٨م) .

«المن بالإمامة على المستضعفين فى الأرض» تحقيق الدكتور عبد الهادى التازى، بيروت ١٩٦٤م .

- ابن عذارى : أبو عبدالله محمد المراكشى (ت ٧١٢هـ / ١٣١٢م) .

البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب، القسم الثالث (تاريخ الموحدين) نشر ويثى ميراندة تطوان ١٩٦٠م.

- ابن الكردبوس : أبو مروان عبد الملك بن الكدربوس (عاش فى القرن السادس الهجرى الثانى عشر الميلادى) .

«تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط» تحقيق الدكتور أحمد مختار العبادى، معهد الدراسات الإسلامية بمدريد ١٩٧١م.

- أبو الفدا : الملك المؤيد عماد الدين أبو الفدا اسماعيل (ت ٧٣٠هـ / ١٣٢١م) . «تقويم البلدان» - باريس ١٩٨٠م.

- للادريسى : الشريف محمد بن عبد العزيز (ت ٦٥٠هـ / ١٢٥٢م) .

١- صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس ووصف أفريقيا واسبانيا » نشر دورى، امستردام ١٩٦٩م.

٢- أنس المهج وروض الفرج - مخطوط حكيم اوغلى ٦٨٨هـ .

- الحميرى : أبى عبدالله محمد بن عبدالله بن عبد المنعم (عاش فى القرن التاسع الهجرى/ الخامس عشر الميلادى) .

صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار فى خبر الاقطار تحقيق ليفى بروفنسال - القاهرة ١٩٣٧م.

- السلاوى : أبو العباس أحمد بن خالد الناصرى (ت ١٣١٥هـ / ١٨٩٠م) .

الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى- الجزء الأول، ط. القاهرة ١٣١٢هـ .

- عبد الواحد المراكشى: محى الدين عبد الواحد بن على (٦٦٩هـ / ١٢٧١م)

«المعجب فى تلخيص أخبار المغرب» تحقيق الدكتور محمد سعيد العريان، القاهرة ١٩٦٣م.

- القلقشندى: أبو العباس أحمد (ت ٨٣١هـ) .

«صبح الأعشى فى صناعة الإنشا» - الجزء السادس القاهرة ١٩٦٣م.

- المقرى : شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد التلمسانى (ت ١٠٤١هـ / ١٦٣١م) .

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب- الجزء الثانى القاهرة ١٣٠٢ .

ثالثا : المراجع الأجنبية :

- Ballesteros Y Beretta:

- Historia de España Y su influencia en la historia , Universal 1944 .

- Beirão, C: Historia breve de portugal, Lisboa (S/d).

- Benevides, F.E: Rainhas de Portugal, Tomo I, Lisboa 1878 .

- Callaghan, J.E: A history of Medieval spain , London 1975 .

- Coelho , A. B. Portugal na Espanha Arabe, vol (I) , Lisboa 1973 .

- Denis, F: Historia de porugal, Bacrelona 1845 .

- Durand R : Les campagnes portuguises entre Dorus et Tago aux XII et

XIII siecles , centro cultural portugues, Paris 1982 .
- Fernandez, L. S: Historia de España , Edad Media, Madrid 1970 .
- Gonzalez, J:
1- Regesta de Fernando II, Madrid 1943 .
2- El Reino de Castilla en la epoca de Alfonso VIII, Estudio I, Madrid 1960 .
- Herculano , A: Historia de portugal, Tomo 2, Lisboa 1980 , Tomo 3, Lisboa 1983 .
- Huici, A.M.:
1- Los Almohades em portugal , Separata dos Anals II Seire , vol. 5 , Academia portuguesa da Historia, Lisboa 1954 .
2- Historia politica del Imperio Almohade, Te Tuan 1956 .
- Inchbold, A.C: Lisbon E Cintra , London 1907 .
- Lafuente , M: Historia general de España , Tomo I, Barcelona 1879 .
- Livermore, H: A new history of portugal, cambridge 1976 .
- Lomax D. W: La Reconaqista, Barcelona 1984 .
- Lozoya , M: Historia de España, Tomo 2 Barcelona 1977 .
- Martin J. C: Origenes de la orden Militar de santiago (1170-1195) Barcelona 1974 .
- Martins, O: Historia de portugal vol I, Lisboa (S/d) .
- Mattoso, A.G: Historia de portugal, vol. I, Lisboa 1939 .
- Peres Y Outro ; Historia de portugal, Barcelona 1929 .
- Serrão .J.V: Historia de Portugal , vol . I, Lisboa 1976 .
- Stephens, H.M: Portugal, London 1891 .
- Suares, L. F: Historia de España , Edad Media, Madrid 1970 .

رابعا : المراجع العربية والمترجمة :

- أحمد مختار العبادى (دكتور)
دراسات فى تاريخ المغرب والاندلس ، الاسكندرية ١٩٦٨ .
- اشباخ : يوسف

تاريخ الأندلس فى عهد المرابطين والموحدين- ترجمة محمد عبدالله عنان ج٢ ، القاهرة ١٩٤١م.

- حسين مؤنس : (دكتور)

تاريخ الجغرافية والجغرافيين فى الأندلس، مدريد ١٩٦٧م.

- سحر السيد عبد العزيز سالم : (دكتور)

التاريخ السياسى لمدينة بطليموس الإسلامية منذ تأسيسها فى ٢٦١هـ (٨٧٤م) حتى سقوطها فى أيدى الليونين ٦٢٧هـ / ١٢٣٠م رسالة ماجستير الاسكندرية ١٩٨٤م.

- سعيد عاشور: (دكتور)

الحركة الصليبية ، ج٢ ، القاهرة ١٩٧٦م.

- السيد عبد العزيز سالم : (دكتور)

فى تاريخ وحضارة الإسلام فى الأندلس، اسكندرية ١٩٨٥م.

- محمد عبدالله عنان : عصر المرابطين والموحدين فى المغرب والأندلس ، ج٢ القاهرة ١٩٦٤ .

- محمد محمود النشار : (دكتور)

السياسة الخارجية لألفونسو هنريكز ملك البرتغال ، ٥٢٢ / ١١٨٥م ، رسالة دكتوراه ١٩٨٩٢ جامعة طنطا لم تنشر بعد .

- ٥ -

المصادر والمراجع الإسبانيـة / البرتغالية عن تاريـخ الرهبـان الفرسـان الاسبتاريـة والداويـة فى إسبانيـا والبرتغـال

سوف نتتبع فى هذا البحث المصادر والمراجع الإسبانية والبرتغالية عن تاريخ الرهبان الفرسان الإسبتارية والداوية فى كل من إسبانيا والبرتغال .

والجدير بالذكر أن المصدر الأساسى لمعلوماتنا هى الوثائق لأن المصادر التاريخية المؤلفة شحت أخبارها عن تلك الجماعتين على أساس أنهما جماعتان أجنبيتان بخلاف الأخبار المتوفرة عن جماعات الرهبان الفرسان الوطنية (قلعة رباح، القنطرة ، شانت ياقب) وأشارت المصادر فقط إلى بعض المعلومات المتفرقة عن الجماعتين من خلال بعض الأحداث التاريخية لكن دون تفاصيل وافية نستطيع بها أن نلم بصورة واضحة عن تلك الجماعات وأن كانت الوثائق التاريخية قد سدت هذه الفجوات(والتى عثر عليها فى مراكز وقلاع هاتين الجماعتين) بجانب الأرشيفات المختلفة– كما سيتضح من خلال البحث . وسوف اعرض لهذه المصادر والمراجع عن الداوية والإسبتارية خلال العصر الوسيط.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن نتبع الخطة التالية:

أولاً : بالنسبة للوثائق فهى متنوعة ما بين اللغات اللاتينية (ومعظمها لاتينية) (والإسبانية والبرتغالية) وتعتمد خطة تناولها على اختيار بعضها مع تناول مضمونها وتحليلها واستخراج الدلالات والمعلومات من خلالها .

ثانيا : المصادر ونتناول بعضا منها حيث تعتمد الدراسة على إعطاء فكرة عامة عن المؤلف – إذا أمكن – ثم عرض لمحتويات المصدر وأهميته بالنسبة لما أشار إليه من معلومات عن الإسبتارية والداوية وأخيراً تقييم المادة العلمية وأهميتها .

ثالثًا : المراجع : وهى متنوعة سواء منها المتخصص فى موضوعات الجماعتين أو المؤلفات العامة والتى تشير إليهما من خلال تفاصيل الأحداث التاريخية التى نتعرض لها وتم اختيار بعضها من خلال إعطاء فكرة عامة عن محتويات المرجع وأهميته بالنسبة لمعلوماتنا عن الإسبتارية والداوية فى إسبانيا والبرتغال وتقييم المادة العلمية.

وسنقتصر فى البحث على المصادر والمراجع الأسبانية والبرتغالية .

وجدير بالذكر أنه توجد دراسات متخصصة هامة جدا عن الإسبتارية والداوية فى إسبانيا والبرتغال باللغات الإنجليزية والفرنسية (١).

أما بالنسبة لقائمة الوثائق والمصادر والمراجع نظرًا لطول البحث خاصة، وأن البحث هو استعراض لهذه القائمة فإننا أعرضنا عن تكرار كتابة قائمة فى نهاية البحث لكونها قد عرضت من خلال البحث .

---

(١) ومنها على سبيل المثال باللغة الإنجليزية :

Fory : A. J: The Templars in the corona de Aragon , London 1973 .

وباللغة الفرنسية :

Dailliez, L, Lorde de Saint Jean de Jerusalem au Portugal XI - XV Siecles Paris 1977 .

أولاً : مجموعات الوثائق :

نجد أن المعلومات الأساسية عن جماعات الرهبان الفرسان الإسبتارية والداوية فى أسبانيا والبرتغال تأتى من الوثائق العديدة المختلفة سواء التى وجدت بمراكز هذه الجماعات فى المدن والقلاع الأسبانية والبرتغالية أو فى الأرشيفات المختلفة فى أنحاء المدن المختلفة(١)، ومن خلال هذه الوثائق يستخلص التاريخ السياسى والدينى والاجتماعى والاقتصادى لهاتين الجماعتين . ونجد على سبيل المثال أن كثيرا من هذه الوثائق هى هبات ومنح ومكافآت لنشاط هاتين الجماعتين ومحاولة استقطابهما للمشاركة فى قتال المسلمين والدفاع عن قلاع الحدود نظرًا لما أثبتته من فاعلية ومقدرة كبيرة على تنفيذ المهام الموكلة إليها.

وتعتبر الوثائق هى مصدرنا الأساسى : لأن المصادر التاريخية أشارت إلى هذه الجماعات إشارات مقتضبة ويرجع ذلك إلى عدة عوامل منها: أن هذه الجماعات هى هيئات أجنبية رأى كثير من المؤرخين أن مهامها الأساسية قتال المسلمين فى بلاد الشام خاصة وأن مدخلهم إلى إسبانيا كان لجمع الصدقات والمعونات من أجل تمويل نشاط هذه الجماعات ببلاد الشام، بالإضافة إلى أن الأسبان لجئوا إلى تأسيس جماعات رهبان فرسان وطنية (٢)، فكان اهتمام المصادر التاريخية بهذه الجماعات واخبارها واغفال - إلى حد ما - تلك الجماعات الأجنبية ولذلك نرى العديد من المؤلفات عن الجماعات الرهبان الفرسان الوطنية مثل جماعات (قلعة رباح وشانت باقب والقنطرة) (٣)، وهذا بالإضافة إلى المؤلفات الحديثة.

---

(١) سنتعرض لبعض هذه الأرشيفات خلال صفحات البحث .

(٢) والواقع أن الملوك الاسبان رأوا أن هذه الجماعات لم تقدم الخدمات المطلوبة ويبدو ذلك فى مملكة قشتالة وهناك إشارة لحادثة عندما استولى الإمبراطور ألفونسو السابع (ريموندين) على قلعة رباح واعطاها لجماعة الداوية للدفاع عنها وعندما توفى الامبراطور وتعرضت تلك المنطقة لضغط الموحدين رأى فرسان الداوية التخلى عنها وردوها إلى الملك سانشو الثالث بعد أن أخلوها .

Radas is Andrado , chronica de calatrava, PI, CF , also : Lomax, D.W. La Reconquista, Barcelona 1984 , p. 143 .

(٣) على سبيل المثال :

Alfonso de Torres : cronica de la Alcantra tl, Madrid, 1763 .

Radasy Andrado : cronicas de las tres ordenes :

1- cronica de santiago .

2- cronica de calateava .

3- cronica de Alcantra, Barcelona 1980 .

أما بالنسبة للوثائق الهامة الخاصة بجماعتى الإسبتارية والداوية فمنها وصية ألفونسو المحارب لجماعات الرهبان الفرسان وقد وردت هذه الوصية فى كثير من المؤلفات والأرشيفات كما جاءت الوثيقة كاملة فى العديد من المؤلفات (١)، وبالنسبة لهذه الوثيقة (الوصية) نجد أن ألفونسو المحارب (الأول) ملك أراجون ١١٠٤-١١٣٤م قد أوصى فى سنة ١١٣١م عند حصاره لمدينة بيونة وذلك بحكم تقواه وإيمانه العميق وتحمسه لجماعتى الإسبتارية والداوية ولعدم انجابه بتقسيم المملكة إلى ثلاثة أقسام ويشير بنفس النص فى وصيته .

«فإننى أترك ولاية عهدى ووراثتى إلى القبر المقدس وإلى الذين على حراسته ورعايته هناك وأيضا إلى الذين يخدمون الله فى مستشفى الفقراء فى بيت المقدس (الإسبتارية) وإلى المعبد مع فرسانه والذين يدافعون عن المسيحية ولهؤلاء الثلاثة الممنوحين أترك كل مملكتى وأمر كل من فى أراضى مملكتى من الفرسان والنبلاء ورجال الدين والعامة واليهود والعرب وجميع من فى مملكتى بتنفيذ هذا الأمر... الخ».

والواقع أن هذه الوثيقة قد أفادت الكثير عن أهمية جماعتى الإسبتارية والداوية في مملكة أراجون وكيف وصل الأمر إلى أن يوصى ألفونسو المحارب بتوريث مملكته لهذه الجماعات على الرغم من صعوبة تنفيذها : لأن الوصية لم تضع فى اعتبارها رغبة الشعب الأراجونى بجميع طبقاته وكيف يتخيلون وراثة مملكتهم لهيئات عناصرها أجنبية ولكن الوثيقة تؤدى بنا إلى نتاج تنفيذ هذه الوصية والمفاوضات وتدخل البابوية بعد ذلك وما تم من حل هذه المشكلة على يد ريموند برنجير الرابع والذى عوض هذه الجماعات بكثير من المنح والعطايا (٢).

---

(١) Documanto . N4 . pp. 485-487 en

Eijan S. Relaciones mutuas de España y tierra santa , Santiago 1912 ; Documentos Historia de España, vol (S/d) pp. 165-165 .

ووردت هذه الوثيقة أيضاً والتى تمثل وصية ألفونسو المحارب التى وضعت فى أثناء حصار بيونة فى سنة ١١٣١م .

Textos Y Documentos de Historia Antigua , Media Y Moderna Hasta el Siglo XVII, Historia de Espa a XI , (S/d) p. 356 .

وهذا المصدر هو مجموعة خطابات واقتباسات من المصادر الاسبانية وضعت بعناية العديد من المؤرخين .

(٢) تعرضنا لهذا الموضوع بالتفصيل فى بحث «نشأت جماعتى الرهبان الفرسان الإسبتارية والداوية، مجلة كلية الآداب جامعة طنطا العدد السابع يناير سنة ١٩٩٤م.

ومن الوثائق المهمة جداً الوثيقة التى منحت فيها دونيا تريزا (١)، كونتيسة البرتغال قلعة سورى Soure لجماعة رهبان فرسان الداوية فى ١٩ مارس سنة ١١٢٨ م وهى باللغة اللاتينية والتى تبدأها .

«أنا الملكة تريزا آمر بمنح جماعة الداوية (فرسان معبد سليمان) ، من أجل خدمة الله واعترافا بفضل هذه الجماعة ، قلعة سورى Soure وذلك من أجل الدفاع عنها ضد الأعداء وأن تبقى فى أيديهم طالما يدافعون عنها وعن الأراضى المحيطة بها...».

وفى نهاية الوثيقة امضاء وتصديق كل من الملكة تريزا والكونت فرديناند بيريز قائد جيوشها (الجليقى) مع التوقيع بختم الصليب وأيضا توقيع ريموند برنارد Raymundo Bernardo مقدم جماعة الداوية فى البرتغال (٢).

ومن أهم مجموعات الوثائق : "Monumenta Henricina" vol I coimbra 1960 .

وهى وثائق تخص ملكة البرتغال وبها العديد من الوثائق الخاصة بجماعتى الإسبتارية والداوية وهى بلغتها الأصلية اللاتينية، ومن أهمها :

١- وثيقة أبريل سنة ١١٤٧م وهى خطاب من الملك دون ألفونسو هنريكز منح فيه جماعة الداوية كنائس شنترين تنفيذا للوعد الذى قطعه على نفسه قبل فتحها فى مارس السابق والنصيحة بحصولهم على تصديق الهبة عن طريق أسقف شبونه (٣).

٢- وثيقة فبراير سنة ١١٥٩م وهو خطاب من أسقف لشبونة دون خليبرت Gilbert يوضح فيه أنه تم الاتفاق فى المجمع الديوانى مع الملك ألفونسو هنريكز بمنح جماعة الداوية كنيسة شانت ياقب فى شنترين وأراضيها كتعويض عن الكنائس التى منحها لهم الملك فى عام سنة ١١٤٧م والذى أذن لهم بعد ذلك بتشييد قلعة طمان Tomar وحدد لهم جزية تدفع له ولخلفائه سنويًا كما يشيد من كنائس بعد ذلك (٤).

---

(١) مأخوذه هذه الوثيقة من : Archivo da Torre do Tomlo caix 28 .

(٢) Benevides, F.E: Rainhas do Protugal, TI, Lisboa 1878 , pp. 77-78 .

(٣) تعرضنا لهذه الوثيقة بالرداسة والتحليل فى بحثنا عن الإسبتارية والداوية انظر ص٣١-٣٢ ، وانظر ترجمة لوثيقة فى الملحق الأول Monumenta, pp. 3-4.

(٤) تعرضنا لهذه الوثيقة بالدراسة والتحليل فى بحثنا عن الإسبتارية والداوية انظر ص٣٥-٣٦ والملحق الثانى فى البحث Monumenta . pp. 5-9 .

٣- وثيقة فبراير ١١٥٩م وهى خطاب من الملك ألفونسو هنريكز بالاتفاق مع أسقف لشبونة وجماعة الداوية يمنحهم فيه قلعة سيرا Cera والأراضى المحيطة بطمان Tomar تعويضًا لهم عن كنائس شنترين التى سبق وأن منحها لهم عام سنة ١١٤٧م والتى لم يوافق عليها الأسقف وقرر منحهم كنيسة شانت ياقب فقط(١).

٤- وثيقة ١٢ يونيو سنة ١١٥٩م وهى نشرة صادرة من البابا ادريان الرابع الذى وجهه إلى سيد جماعة الداوية بمنحهم حق انشاء الكنائس فى أراضى قلعة سيرا ووضعها تحت حمايته على أن يدفعوا للبابوية جزية سنوية ويسمح للداوية الاستعانة بالزيت المقدس المخصص للكنيسة والمذبح وفى الوقت نفسه يحذر من انتهاك قرارات البابوية (٢).

وهذه النشرة صدرت من البابا لأجل ترضية جماعة الداوية خاصة بعد انتزاع كنائس شنترين منها عن طريق أسقف لشبونة . وشرط هذا الأسقف عليهم بأن أى كنائس تؤسس تخضع لسلطته وتدفع الجزية له .

٥- وثيقة ١٥ يونيو سنة ١١٥٩م وهى نشرة صادرة من البابا أدريان الرابع إلى جماعة الداوية لتسوية الخلافات والتوفيق بينهم وبين أسقف لشبونة حول كنائس شنترين وقصرها على قلعة سيرا Cera فى منطقة طمان . وفى هذه النشرة تأكيد للاتفاقات التى تمت بين الجهات الثلاث (أسقف لشبونة وجماعة الداوية والملك ألفونسو وهنريكز) وتحريم نقضها(٣).

ويبدو أن هذه النشرة صدرت لسد الثغرة فى النشرة السابقة والتى تفصل بينهما ثلاثة أيام ؛ حيث إنه لم يذكر فى النشرة الأولى ما يتعلق بكنائس شنترين واعتراض الداوية على انتزاع سلطتها ولذلك حدد فى النشرة الثانية الحدود والقواعد والاتفاقات السابقة بين الأطراف المتنازعة.

٦- وثيقة أكتوبر سنة ١١٦٩م وهى خطاب من الملك ألفونسو هنريكز لجماعة الداوية يمنحهم فيه حدود ومناطق جديدة تضم إلى طمان بالإضافة إلى قلعة كارديكو Cardico وبعض القلاع الصغيرة على نهر أوزيزر Ozezar (٤).

---

(١) تعرضنا لهذه الوثيقة بالدراسة والتحليل فى بحثنا عن الإسبتارية والداوية انظر ص٣٦-٣٨ والملحق الثالث . Monumenta, pp. 10-12.

(٢) Monumenta , pp. 12-13 .

(٣) Monumenta , p. 14 .

(٤) Monumenta , pp. 15-17 .

٧- وثيقة ٢٧ يونيو (سنة ١١٦٨-١١٦٩) وهي نشرة من البابا الكسندر الثالث موجهة إلى مقدم جماعة الداوية بمنحهم حق تأسيس كنائس فى أراضى سيرا (فى إقليم طمان) وبوضع أملاكهم تحت حماية البابوية مع اعلان دفعهم جزية سنوية للبابوية (١).

هذا بالإضافة إلى وثائق أخرى فى ثلاثة أجزاء .

ويتضح من الوثائق السابقة أن جماعة الداوية كانت لها مكانة مرموقة فى مملكة البرتغال وأنها أصبحت تنازع السلطة الكنسية فى فرض سيطرتها ونفوذها على العديد من الكنائس والأراضى ، وتدخل البابوية من أجل فض النزاعات بينهم بالإضافة إلى منح وهبات ألفونسو هنريكز لهم تعبيراً عن مدى ما قدموه له من خدمات ومساعدات .

أما عن مجموعات وثائق العصور الوسطى البرتغالية الجزء الأول والمصور عن طريق الأكاديمية التاريخية البرتغالية .

Academia Partuguesa de Historia
Documentos Medievais
Portugueses, Documentos
Regios , Vol I , Lisboa 1945 .

فهناك صور للوثائق الأصلية بخط اليد والموقع عليها بختم الملك ألفونسو هنريكز وباللغة اللاتينية فهناك بعض الوثائق التى تخص جماعتى الإسبتارية والداوية ونجد أهمها :

١- وثيقة بدون تاريخ فى اللوحة(٢) رقم ٣٠ عن وصية الملك ألفونسو هنريكز والتى تبدأ «أنا ألفونسو ملك البرتغاليين من أجل وفاتى فاننى أكفر عن سيئاتى» ونجد أنه يترك فى الوصية هبات ومنح منها منحة لجماعة الإسبتارية ٨٠ ألف ماربيدس Maravedis و ٤٠٠ مارك (٣)، ولانجد لجماعة الداوية ذكراً فى هذه الوصية ويبدو أن هذه الجماعة وصلت إلى مرحلة من الثراء لايغنى شيئا منحها لبعض الأموال فى وصيته خاصة وأن معظم الوصية منح وهبات لجماعات الفقراء وللإنشاءات الكنسية.

---

(١) Ibid, pp. 16-17 .

(٢) يرى المؤرخ ساريبا أن الوصية وضعت فى سنة ١١٧٩م
Saraiva, J.H, Historia de Portugul, Madrid 1980 , p. 75 .

(٣) ويوضح أيضاً أن مارك من الذهب يساوى (٢٩,٤ جرام) ويساوى ١٥ ماربيدس Saraiva, Op. cit, p. 76 .

٢- وثيقة بتاريخ فبراير سنة ١١٥٩م لوحة رقم ٤٢ وهى خطاب من أسقف لشبونة دون غليبرت Gilberto والتى يمنح فيها جماعة الداوية كنيسة شانت باقب (القديس يعقوب) فى شنترين كتعويض عن الكنائس التى منحها لهم الملك ألفونسو هنريكز فى عام سنة ١١٤٧م[١].

وتوجد مجموعة وثائق أخرى وهى الوثائق التاريخية البرتغالية وهى باللغة اللاتينية .

Portgualiae Monumenta Historica, vol 1, Olispone 1856 .

وفيها عدة وثائق متصلة بجماعة الداوية فى البرتغال :

١- وثيقة طمان Thomor ١١٦٢م (وهى مركز جماعة الداوية فى البرتغال آنذاك) وهذه الوثيقة عبارة عن تعليمات من مقدم الجماعة جالدين لأعضاء الجماعة وتتضمن تنظيمات وأوامر جديدة تخص الحياة الاجتماعية لجماعة فرسان الداوية [٢].

٢- وثيقة فى بومبال Pombal [٣]، وهى بتاريخ ١١٧٤م تخص تنظيم بعض الأملاك الجديدة التى منحت لهم ووضعنا تحت قواعد وشروط جديدة لإدارتها [٤].

٣- وثيقة فى طمان Thomar وهى أيضا من جالدين مقدم الداوية وتخص أيضا تنظيمات وقواعد خاصة بالحياة الاجتماعية وهى تعتبر تكملة للتنظيمات التى تمت فى وثيقة سنة ١١٦٢م وأيضا تشمل بعض القواعد لأملاك الأخرى على سبيل المثال التى على نهر أوزيزر Ozezar[٥].

وهذه الوثائق تغطى جوانب هامة للحياة الاقتصادية والاجتماعية لتنظيم الداوية وتشكل مع الوثائق فى المجموعات الأخرى نسيجًا متكاملاً عن هذه الجماعات فى إسبانيا والبرتغال .

---

(١) سبق التعرض لهذه الوثيقة .

(٢) p. 388 .

(٣) بومبال هى احدى القلاع التى أسستها جماعة الداوية فى البرتغال انظر:

Herculano . A. Historia de Portugol Livro . 2 p. 136 .

(٤) pp. 398-399 .

(٥) pp. 399-401 .

ثانيًا : المصادر الإسبانية والبرتغالية :

والمعلومات عن جماعتي الإسبتارية والداوية تأتي في مختلف المصادر الإسبانية كمعلومات متفرقة تخدم أساسا الأحداث المروية عن تاريخ الملوك المسيحيين ويأتي على قمة هذه المصادر «حوليات التاج الأراجوني»

لثوريتا Zurita , J: Anales de la Corona de Aragon, Zaragoza, 1976-1977 .

ثوريتا مؤرخ مملكة أراجون قد ولدى في سنة ١٥١٢م وتوفي سنة ١٥٨٥م وكان يقطن مدينة سرقسطة وقد رصد حياته من أجل تمجيد مملكة أراجون وإبراز تاريخها في موسوعة ضخمة شملت عشرين كتابًا في ثمانية أجزاء ضخمة [١]. وتعتبر حوليات أراجون أهم وأكبر المصادر التاريخية الاسبانية . ويبدأ الأحداث من بداية دخول المسلمين إسبانيا وفي أخبار موجزة وكلما استمر في الزمن تزداد معلوماته اتساعا واستفاضة حتى إنه في الجزء الأول يشمل ثلاثة كتب.

يبدأ من عام ٦٩٥م وينتهي بعام سنة ١٢٧٦م في حين أنه السبعة أجزاء التالية تحوى تفصيلات بشكل مكثف من سنة ١٢٧٦ إلى سقوط غرناطة ١٤٩٢م في الجزء الثامن .

حقيقة أنه يتناول تاريخ مملكة أراجون ولكنه يتضمن العديد من المعلومات والاشارات المستفيضة لأحداث الممالك الأخرى في شبه الجزيرة الايبيرية : إذ يمكن القول بأنه تاريخ عام لشبه الجزيرة الايبرية مع التركيز على أحداث مملكة أراجون بتفصيل وافي.

ونجد أن أسلوب هذا المؤرخ يحمل ببنور مناهج البحث الحديثة في الكتابة التاريخية إذ أنه يعتمد على الوثائق والمصادر[٢] بشكل دقيق ، فقد أورد مثلا كثيرًا من الرسائل والمعاهدات

---

(١) وقد طبع هذا الكتاب لأول مرة بداية من سنة ١٥٦٢م وأشرف على طباعته وإعداده Bernez عن الأصل الذى كتبه ثوريتا وذلك أثناء أواخر حياة المؤرخ ثم توالى النشر وبعد وفاة ثوريتا نشر عن طريق Portonareis وأيضا في سنة ١٦١٠ على يد Robles وفي سنة ١٦٥٩ على يد Domer.

(٢) وقد اعتمد ثويتا على كم هائل من الوثائق والمصادر المعاصرة فعلى سبيل المثال اعتمد على مدونات عديدة أهمها :

1- Cronica de Jaime I.

2- Cronica de Carlos de Viana .

3- Cronica de San Juan de la Peña.

بنصوصها كاملة بالإضافة إلى محاولته البحث والتقصى عن الحقائق التاريخية من خلال الروايات المختلفة ؛ حيث يعرض لبعض الأحداث روايات مختلفة وإن كان فى بعض الأحيان لايقرر الرواية الأدق فهو يشير إلى الروايتين أو أكثر للحدث ويتركها دون تقرير أى منهما ولكن ليس هذا هو الخط العام لكتابته ؛ إذ أنه كثيراً ما يتدخل أيضا فى هذه الروايات . وجدير بالذكر أنه اعتمد على المؤلفات التاريخية العربية فكثيرا ما يتعرض للمسلمين لأن تاريخهم ممزوج بتاريخ الممالك المسيحية .

أما عن تعرضه لأخبار جماعتى الإسبتارية والداوية فإنه يذكر أخبارهم فى مواضع متفرقة طبقا لاتصالهم بالأحداث التاريخية التى يتعرض لها .

وعلى سبيل المثال نجد أنه فى الجزء الأول، يتعرض لجماعة الداوية وتأسيسها ومهامها فى بيت المقدس(١)، وكيف أن الملك ألفونسو المحارب قد أعجب بهذه الجماعات ولذلك فإنه قد تشاور مع أمرائه من أجل تأسيس جماعة من الرهبان الفرسان يستعين بهم فى طرد المسلمين من كل أسبانيا . وربط هذه الجماعة بالقبر المقدس فى بلاد الشام وتفاصيل عديدة أخرى لنفس هذا الموضوع .

من الإشارات المهمة والعديدة عن الإسبتارية والداوية عن الهبات والمنح(٢) وخاصة وصية ألفونسو المحارب (٣)، بتقسيم مملكته إلى ثلاثة أقسام الأول لصالح القبر المقدس وفرسانه

=

4- Croinca Najerense .

5- Historia Roderici .

6- Historia de Tomich.

7- Documentos de Sancho III el Mayor del Archivo de San Juan de la Pena.

8- Historia general de Alfonso X .

(١) لأجل التعبد والتقرب للقديس برنارد أعطى الملك الكثير لجماعة الداوية والتى بدأت بعد تأسيسها جماعات أخرى وقد نشرت الحماسة الدينية باشتراكها فى قتال المسلمين فى الأراضى المقدسة مع الجماعات الأخرى وهى الإسبتارية والتينون وكان ذلك من أجل اخلاص اتباعها للسماء وجمعهم بين الرهبنة والعسكرية.

Zurita , op. cit, pp. 150-151 .

(٢) Ibid , p. 169 .

(٣) وضع وصيته فى سنة ١١٣١م وأقرها بل وفاته فى سنة ١١٣٤م .

Cronica Le la corona de Aragon, p. 19 .

والثانى للفقراء وفرسان الإسبتارية لبيت المقدس والثالث لفرسان الداوية باعتبارهم حماة المسيحية [١]، وما اتبعها من مشكلات حتى نجح ريموند الرابع أمير أراجون وكونت برشلونة فى اصلاح الوصية وترضية هاتين الجماعتين . فقد أشار ثوريتا تحت عنوان لفصل كامل «اتفاق بين أمير أراجون وبطريك بيت المقدس ومقدمى كل من الداوية والإسبتارية من أجل وراثة مملكة أراجون (الفصل الرابع من الكتاب الثانى) [٢]. هذا بالإضافة إلى الاشارات العديدة والمتفرقة فى الأجزاء السبعة التالية لهذا المؤلف.

أما بالنسبة للتقييم العام لهذا المصدر فإنه لاغنى لأى باحث فى تاريخ شبه الجزيرة الايبيرية عنه والذى يشهد له بأنه بداية للكتابة التاريخية التى تطعم بالتحليل والتفسير والاعتماد على المصادر المعاصرة للأحداث ؛ فنجد مثلا فى فترة القرن الثانى عشر وبداية القرن الثالث عشر يعتمد فى أحداث كثيرة على رودريك الطليطلى رئيس أساقفة طليطلة فى مؤلفه عن تاريخ الملوك الأسبان ويشير إليه إشارات صريحة وإلى أرائه .

أما بالنسبة لقصوره فى بعض الجوانب الخاصة بتقصى الحقائق بشكل دقيق وإن كان يرجع ذلك إلى قصور أدوات البحث العلمى آنذاك، وبالإضافة إلى كتابته هذا المؤلف فى عشرين كتابا ضخما متتبعاً أحداث وممالك وتفريعات عديدة يصعب معها الدقة . وأيضا نجد أنه يميل كثيراً إلى الأساطير والروايات غير المنطقية والاعتماد على المعجزات كثيراً وهذا من منطلق رهبانيته ومحاولته تعميق هذه الأساطير والمعجزات كنوع من تأكيد الإيمان وتعظيم المسيحية وأمجاد القديسين والملوك.

وتجدر الإشارة إلى حقيقة جديرة بالاهتمام مؤداها أن هذا المؤرخ قد كتب مؤلفه فى القرن السادس عشر فى أزهى عصور أسبانيا وأنه ، كمعظم مؤرخى أسبانيا والبرتغال فى العصور الوسطى ، الذين كانوا يؤلفون هذه المؤلفات تحت رعاية الملوك وتوجيهاتهم لتعظيم أجدادهم وممالكهم وهى سمة عامة للمؤلفات .

ومن المصادر الجديرة بالاهتمام مدونة التاج الاراجوني [٣] Cronica de la Corona de Aragon .

---

(١) Zurita . op. cit, pp. 168-169 .

(٢) Ibid, pp. 199-202 .

وقد تعرضنا لهذه القضية فى بحثنا عن نشأة جماعتى الرهبان الفرسان الإسبتارية والداوية .

(٣) Año 1919 .

وهى قد وضعت بعناية مجموعة من الرهبان وتعتبر من المدونات الهامة بالنسة لتاريخ مملكة أراجون . وهى تتبع تاريخ المملكة بداية من الفتح الإسلامى فى اشارات مقتضبة حتى بداية القرن الحادى عشر . وتبدأ فى عرض تاريخ المملكة بشئ من التفصيل منذ عهد راميرو سانشيز ١٠٣٤-١٠٦٣م لأن تاريخ المملكة يبدأ من عهد هذا الملك وتنتهى باتحاد مملكتى قشتالة وأراجون فى عهد فرديناند وايزابيلا سنة ١٤٧٩م ثم سقوط غرناطة سنة ١٤٩٢م.

ولاغنى لأى باحث فى تاريخ مملكة أراجون عن هذه المدونة التى تشير إلى أحداث وتاريخ الملكة عن طريق تسلسل ملوك أراجون منذ عهد راميرو حتى عهد فرديناند الكاثوليك ؛ وذلك فى اختصار وخطوط أساسية لأحداث كل ملك على حدة.

وقد وضعت هذه المدونة أيضًا فى القرن السادس عشر الميلادى. أما بالنسبة لأهميتها كمصدر لبعض المعلومات الهامة نجد أنها أشارت فى أماكن متفرقة إلى جماعتى الإسبتارية والداوية بداية من تأثر الملك ألفونسو المحارب ١١٠٤-١١٣٤م عندما حاول تأسيس جماعات الرهبان الفرسان (مونريال- بلشيت) تشبها بجماعتى الإسبتارية والداوية اللتين نشأتا فى بلاد الشام ومشروعة من أجل الفتوحات ورغبته فى القيام بحملة صليبية على بلاد الشام(١). ثم وصيته التى أشرنا إليها من قبل - عن تقسيم مملكته وتوزيعها على جماعة القبر المقدس والإسبتارية والداوية (٢).

ومن الإشارات الهامة أيضا عن حضور مقدمى جماعات الرهبان الفرسان فى بيت المقدس للمطالبة بحقوقهم فى المملكة ، وكيف أن مقدم الإسبتارية لبيت المقدس قد حضر لاعلان مطالبه فى وراثة المملكة حسب وصية ألفونسو المحارب . ولكنه واجه صعوبات فى تنفيذ الوصية واتفق على معاهدة مع أمير أراجون ريموند برنجير الرابع منح فيها حقوق وهبات وامتيازات كثيرة، وأيضا بالنسبة لجماعة الداوية وفرسان بيت المقدس تم الاتفاق معهم بنفس الشروط منحهم منح وامتيازات وهبات عديدة والتى وافق وصدق عليها البابا نفسه (٣).

بالإضافة إلى معلومات متفرقة عن دفاع جماعات الإسبتارية والداوية عن القلاع والحدود الاراجونية واشتراكهم في جيوش ملك أراجون ضد المسلمين .

---

(١) pp. 16-17 .

(٢) p. 19 .

(٣) pp. 30-31 .

وجدير بالذكر أن هذا المصدر ألقى الضوء على الأحداث البارزة لكل ملوك أراجون ويبدو أن المؤلفين كانوا أراجونيين وليس كتالونيين لأنهم يشيرون إلى فترة حكم ريموند برتجير الرابع أمير أراجون وكونت كتالونيا والذى وحد كونتيته كتالونيا مع مملكة أراجون بعد زواجه من بترونيلا وريثة الراهب الملك راميرو سنة ١١٣٧م إلى سنة ١١٦٢م وفاة ريموند برنجير الرابع وتولية ابنه ألفونسو الثانى (العفيف) .

ونجد أن هذا المؤلف هو تسجيل للأحداث دون تفسير أو تحليل أو نقد أو تفنيد للروايات . فهو يشير للأحداث كما تنقل من المصادر ولانجد مثلا كثوريتا يشير إلى عدة آراء عن بعض الأحداث ؛ فدائما يكتفى بالحدث المشهور والمعلوم وحتى لو كان يميل إلى الأسطورة أو المعجزة وأيضا نجد أنه لايشير إلى المصادر التى اعتمدوا عليها فى كتابة هذا التاريخ . ولكن هذا لايقلل من قيمته كمصدر لتاريخ مملكة أراجون منذ نشأتها حتى سقوط مملكة غرناطة ويمتاز أيضًا بأنه تاريخ مركز للمملكة، أى أنه يبتعد عن أية تفاصيل تخص الممالك الأخرى فى شبه الجزيرة الايبرية إلا إذا كانت تلك التفاصيل تخص العلاقات مع مملكة أراجون . ومن المصادر الهامة أيضا تاريخ إسبانيا لرودريك الطليطلى .

Rodrigo Jimenz de Rada: Historia de los hechos de España, Madrid 1982.

وهو مترجم عن النص اللاتينى

Historia de Rebus Hispainiae

وبالنسبة لرودريك الطليطلى[١] فهو رئيس أساقفة مدينة طليطلة عاصمة مملكة قشتالة وذلك فى أواخر القرن الثانى عشر وبداية القرن الثالث عشر وتعتبر مؤلفاته [٢]، من أهم

---

(١) يطلق عليه لقب رودريك الطليطلى لأنه كان رئيس أساقفة مدينة طليطلة .

(٢) بالنسبة لمؤلفاته فنجد أنها قد جمعت فى كتاب واحد تحت عنوان Opera (أعمال) ويتضمن عدة مدونات وهى باللغة اللاتينية :

١- تاريخ أعمال الملوك الأسبان — Historia de Rebus Hispaniae

٢- تاريخ الرومان . — Historia Rmanrum.

٣- تاريخ القوط الغربيون . — Historiae Ostrogthrum

٤- تاريخ هنوريوم والوندال والسويفيين والآلان والسليكيين .

Historia , Humnorum , Vandalorum , Suevorum, Alanorum, et Silinguorum.

٥- تاريخ العرب . — Historiae Arabum

مؤلفات تاريخ شبه الجزيرة الايبرية خاصة فى الفترة المعاصرة له ويرجع ذلك إلى أنه كان رجل دين تولى مسئولية رئاسة أساقفة طليطلة وكان مشاركًا فى كثير من الأحداث التاريخية البارزة فى تلك الفترة(١)، بالإضافة إلى أنه يعتمد على كثير من المصادر والمؤلفات العربية ويقتبس منها أخبار المسلمين فى الأندلس والمغرب . ولذلك اعتمد عليه كثير من المؤرخين القدامى والمحدثين بوصفه مصدرًا أساسيًا لكتاباتهم .

أما بالنسبة لمؤلفه تاريخ أحداث إسبانيا وأهميته كمصدر يتضمن بعض المعلومات المتفرقة من جماعتى الإسبتارية والداوية فنجد أهم إشاراته على الاطلاق فى الحديث تحت عنوان الاستيلاء على قلعة رباح ومنحها لجماعة الداوية حيث إن الامبراطور ألفونسو السابع (١١٢٦-١١٥٧م) قد استولى على هذه القلعة فى سنة ١١٤٧م قبل استيلائه على المرية بشهور قليلة . ونظرًا لأهمية هذه القلعة التى كانت تمثل مركزًا هامًا للمسلمين في خطوطهم الدفاعية ضد مملكة قشتالة فإنه قرر منح هذه القلعة إلي جماعة الداوية من أجل الدفاع عنها ضد المسلمين وتكون بمثابة خط أمامى للدفاع عن الحدود القشتالية ويشير إلى تفصيلات عن هذه الجماعة ونشأتها ودورها فى الدفاع عن هذه القلعة ضد المسلمين (٢).

وترد إشارة أخرى لنفس القلعة عندما هاجمها الموحدون ورأت جماعة الداوية أنها عاجزة عن الدفاع عن القلعة فردوها إلى الملك سانشو الثالث والذى منحها بعد ذلك إلي ريموند رئيس ديرفيترو مؤسس جماعة رهبان فرسان قلعة رباح (٣).

والواقع أنه على الرغم من الإشارات الأخرى القليلة عن الجماعتين فإن هذا المصدر يعتبر من المصادر الهامة جدًا ذلك لأن المصادر التاريخية المعاصرة صمتت تمامًا عن

---

(١) نجد أنه كان مشاركًا ومنقذا لأحداث تلك الفترة وهو عماد الأحداث التاريخية الخاصة بموقعتى الأرك والعقاب . وعلى سبيل المثال فى موقعة العقاب نجد اهتمامه بجمع الحشود وتعضيد جهود الملك ألفونسو الثامن وسفره إلى كثير من المناطق الأوربية وعلى رأسها البابوية لحشد الهمم وجمع الجيوش من شتى أنحاء أوربا للاشتراك فى قتال المسلمين فى الموقعة الشهيرة العقاب ١٢١٢م والتى هزم فيها الموحدين وبذلك نجد أنه مشاركًا فى كثير من الأحداث .

(٢) النص الأسبانى P. 271-272 .

النص اللاتينى pp. 158-159 .

(٣) النص الأسبانى p. 281-282 .

النص اللاتينى p. 169 .

الإشارات إلى نشاط جماعتى الإسبتارية والداوية فى مملكة قشتالة . ولذلك يعتبر هذا المصدر هو مصدرنا الأول عن وجود هذا النشاط وإن كان ضئيلا لأنها استعاضت عن جماعتى الإسبتارية والداوية بتأسيس جماعات رهبان فرسان وطنية (قلعة رباح- القنطرة- شانت ياقب) .

ومن أهم المصادر البرتغالية على الاطلاق هو ملكية لوزيتانيا[١] Monarquia Lusitana للراهب أنطونيو برنداو Anronio Brandão[٢] ويعد من أهم وأشمال المصادر التاريخية الخاصة بمملكة البرتغال وينقسم إلى عدة مدونات لملوك البرتغال . ويتحدث عن تاريخ منطقة لوزيتانيا منذ دخول القبائل الجرمانية بداية من الاحتلال الروماني ، ثم يستتبع حكام البرتغال منذ عهد هنرى البورجونى ثم زوجته تريزا ثم ابنه ألفونسو هنريكز حتى بداية القرن السابع عشر وهو مقسم إلى سبعة أجزاء كل جزء به عدد من المدونات .

وترجع أهمية هذا المؤلف بأن صاحبه عارف بأصول مناهج البحث : فقد فتحت له أرشيفات المملكة وأطلع على المدونات القديمة . ويتضح ذلك من سرده للأحداث من خلال عرضه للآراء المختلفة للأحداث مع تدعيمها باقتباس كامل من المدونات القديمة والوثائق التى أوردها كاملة بلغاتها الأصلية ثم يقوم بترجمتها وبعدئذ يبدأ فى تأييد أحد هذه الآراء مستندا على دراسته ومقارنة الروايات . وأفاض فى سرد الأحداث التاريخية ولكنه وضع مؤلفه تحت رعاية الملكية البرتغالية فظهر التحيز فى كتاباته لتاريخ ملوكها : إذ يفيض فى سرد أخبارهم وأعمالهم وبحكم نشأته كراهب نجده يميل إلى ذكر المعجزات والأعمال الخارقة وإضفاء نوع من القداسة على الملوك . وتظهر كثيرًا نزعته وتحيزاته الدينية ولكن ذلك لايقلل من عمق تحليلاته وآرائه فهو أقرب إلى المؤلفات الحديثة لولا خلط الحقائق بالأساطير وذلك مرجعه إلى العصر الذى كتبه فيه .

---

(١) Lisoa 1973 .

(٢) وقد ولد انطونيو برنداو فى الكوبازا ٢٥ أبريل سنة ١٥٨٤م ونشأ على التربية الدينية وأصبح راهبا فى دير الكوبازا . وقد وضع مؤلفه تحت رعاية فيليب الثالث ملك البرتغال وقد توفى سنة ١٦٣٧م وكان لديه من العمر ٣٥ عامًا ، وعندما بدأ حياته بتلقى العلوم الدينية ثم العلوم الدنيوية مثل الآداب والفلسفة . وقد سافر رحلات عديدة لتلقى المعارف ثم تلقى الدراسات اللاهوتية فى الأديرة المختلفة.

أما بالنسبة لأهميته كمصدر لمعلوماتنا عن الإسبتارية والداوية فى البرتغال فنجد العديد من الاشارات إلى الجماعتين توضح كيفية دخولهما إلى منطقة لوزيتانيا ويتضح دورهما فى حراسة قلاع الحدود والدفاع عنها ضد المسلمين وتبدأ بالإشارة فى المدونات الخاصة بهنرى البورجونى ودونيا تريزا والأمير ألفونسو (١).

Cronica do Conde D. Henrique , D. Teresa E Infante D. Alfonso .

عن تأسيس جماعتي الإسبتارية والداوية فى بلاد الشام ، ثم أول دخولهم إلى البرتغال وما منح لهم من قلاع ودورهم فى الدفاع عنها وعن حدود البرتغال : فنجد هناك فصلاً كاملاً عن منح الداوية قلاع عديدة فى البرتغال . ويستفيض فى هذا الفصل عن كيفية دخول البرتغال حيث إنه فى شهر يونيو سنة ١١٢٦م قدم إثنان من زعماء هذه الجماعة فى بيت المقدس وهما جالدين وأرنولد دى روشا ومعهما عدد من فرسان الداوية حيث منحتهم دونيا تريزا بعض الأملاك فى وادى فريرا Vila de Ferreira . ويتحدث باستفاضة عن هذا الموضوع ثم يتحدث عن جالد بن مقدم جماعة الداوية فى البرتغال فترة حياته . ثم تفاصيل عن القلاع التى خضعت للداوية أمثال Tomar وبومبال Pompal وسيرس Veres وايدناها Idanha ومونسانتو Monsanto وألمورال Almoural . وأشار أيضا فى نفس الفصل إلى جماعة الإسبتارية وكيف أنهم دخلوا إلى مملكة البرتغال سنوات قليلة بعد الداوية فى عام سنة ١١٢٨م ويتحدث أيضا عن كيفية نشأتها فى بيت المقدس ثم أشار إلى الامتيازات العديدة لهم(٢).

وهناك إشارة أخرى إلى أنه فى ١٥ مارس سنة ١١٢٨م قد منحت دونيا تريزا لجماعة الداوية قلعة سورى ووقع معها على وثيقة المنحة كونت فرديناند قائد جيوشها (٣).

---

(١) Porto 1944 .

(٢) ولمزيد من التفاصيل انظر الفصل الخاص بذلك

Brandao, Cronica do Conde Henriaue ...., pp. 189-192 .

وفى اشارته إلى جماعة الإسبتارية وتأسيسها فى بلاد الشام نكر أن الخليفة الفاطمى فى مصر قد سمح لهم بتأسيس مستشفى لمعالجة المسيحيين الفقراء الذين يفدون لزيارة الأماكن المقدسة ثم عندما استولوا على هذه الأراضى من المسلمين أسسوا ادارة للمستشفى بقيادة جيرار .

(٣) Ego Comes Fernandus , donum quod domina mea Regina Militibus Rempli concedo D. p. 164. donat, Laudo, et .

ومن الإشارات الهامة أيضا الإشارة إلى ما حدث عندما هاجم المسلمون غرب الأندلس سنة ١١٣٧م / ٥٣١هـ وخاصة قلعة طمان Tomor وقتلوا من وجدوه بها من الداوية ثم خربوها . وذلك لشدة وطأة هذه القلعة وحاميتها على المسلمين وهجومهم على المدن والقلاع الإسلامية [١].

وهناك إشارة أخرى بأن المسلمين فى غرب الأندلس قد قاموا بغارات عديدة للقضاء على جماعتى الإسبتارية والداوية فى مراكز الحدود البرتغالية الإسلامية مثلما حدث فى عام ١١٤٤م عندما توجه جيش إسلامى للقضاء على الداوية فى قلعة سورى[٢].

ونجد إشارات عديدة إلى جماعة الإسبتارية والداوية فى حملات البرتغاليين ضد المسلمين وأصبحت لهم فرق خاصة تلحق بجيوش ملوك البرتغال . وعلى سبيل المثال حملتهم واشتراكهم مع ألفونسو هنريكز على مدينة شنترين واستيلاءهم عليها سنة ١١٤٧م[٣]. ونتيجة لهذا نجد أنه قد منحهم أملاكًا عديدة فى شنترين ولشبونة وتوالت العديد من الاشارات لهاتين الجماعتين عن مشاركتهما فى أحداث مملكة البرتغال سواء فى توطيد مراكزها واتساع أملاكها أو فى قتالهم ضد المسلمين ومشاركة البرتغاليين سواء فى حركة الاسترداد أو تعمير الأراضى المستردة.

ويعتبر هذا المصدر من المصادر الهامة التى تعطينا صورة واضحة عن جماعتى الإسبتارية والداوية فى البرتغال .

ومن المصادر البرتغالية الهامة (مدونات ملوك البرتغال) للمؤرخ دوراتى دى نونيز لياو[٤]
Duarte Nunes de Leao cronicas dos Reis de Portugal

وهو عبارة عن مجموعة من المدونات الخاصة بملوك البرتغال والتى تبدأ بهنرى البورجونى وتنتهى بمدونة الملك فرديناند ، وينطبق عليها ما ينطبق على المدونات البرتغالية الأخرى من حيث إنها وضعت تحت عناية ورعاية الملوك البرتغاليين ومن حيث اهتمامها بتمجيد ملوك البرتغال واسباغ كل ما هو حسن عليهم واستبعاد كل ما يسئ إليهم والاعتماد على الأساطير

---

(١) Ibid, p. 249 .

(٢) Brandao, Mon . Lus, Parte, 3, pp. 152-153 .

(٣) Ibid. pp. 163-164 .

(٤) Porto, 1975 .

وقد ولد دوارتى نونيز فى يابرة سنة ١٥٣٠م وتوفى سنة ١٦٠٨ .

والمعجزات والمبالغات وتلك سمة عامة لكل المصادر البرتغالية ، بالإضافة إلى أن مؤرخى هذا العصر معظمهم من الرهبان ورجال الدين.

أما بالنسبة للإشارات لجماعتى الإسبتارية والداوية فهى عديدة جداً ؛ وتبدأ أولاً بالإشارة فى مدونة ألفونسو هنريكز عن بداية جماعة الداوية ونشأتها سنة ١١١٩ فى الأراضى المقدسة وكان معظم رجالها من فرنسا . وأشار إلى مؤسسيها هيودى باين وجود فرى سانت ، وكيف أنها نشأت تحت رعاية ملك بيت المقدس وذلك للدفاع عنه وعن الأراضى الأخرى . وسبب اطلاق اسم المعبد على أنه معبد (هيكل سليمان)، كما كان من مهامها أيضا حراسة الطرق للحج إلى بيت المقدس. ويكمل حديثه عن هذه النشأة بتفصيلات عديدة خاصة بجماعة الداوية ويكمل حديثه عن نشأة جماعة الإسبتارية فى بلاد الشام وتأسيس بعض التجار لاحدى المستشفيات بالقرب من كنيسة بيت المقدس[١] بعد حصولهم على امتياز من سلطان مصر (يقصد الخليفة الفاطمى)، ويكمل تفاصيل هذا الموضوع ويتحدث عن انتشارها فى أماكن مختلفة من فرنسا وأراجون وبروفنسيا وكتالونيا ونافار وايطاليا وانجلترا وألمانيا وقشتالة وليون والبرتغال[٢].

ومن الإشارات المتفرقة عن نشاط جماعتى الإسبتارية والداوية ما ورد عن منح وعطايا ألفونسو هنريكز ملك البرتغال لهاتين الجماعتين وحتى أنه فى وصيته قد أوصى لهم بأموال عديدة[٣].

وأيضا الإشارات العديدة لنشاط هذه الجماعات فى عهد سانشو الأول ملك البرتغال Chronica del Rei Dom Sancho I (من نفس هذه المجموعة) حيث أشار على سبيل المثال إلى الأراضى التى تم منحها لجماعتى الإسبتارية والداوية لتعمير تلك المناطق وأيضا لمساعدته فى قتاله ضد المسلمين [٤].

ومن المصادر الإسبانية الهامة مدونة الملوك الكاثوليك ليولجار

Fernando del Pulgar.

Cronica de los Reyes Catolicos 2 vol, Modrid, 1943 .

---

(١) pp. 53-54 .

(٢) p. 55 .

(٣) p. 96 .

(٤) p. 100 .

وهو مكون من جزئين ويشير فى الجزء الأول إلى جماعة الإسبتارية ويتحدث فى اشارة فى عام سنة ١٤٧٥م عن إحدى القلاع والتى تدعى Castronuno والتى كانت تخضع لحكم هذه الجماعة وأن قائد هذه القلعة يدعى Rodrigo de Avendano والذى يتبع Juan de Va-lencuela مقدم هذه الجماعة فى أسبانيا . ويتضح من هذه الإشارة أن أملاك الإسبتارية المتشعبة فى أنحاء إسبانيا .

وهناك أيضا إشارة فى سنة ١٤٧٧ لنفس القلعة المذكورة ونشاط مقدم الداوية السابق(١) . ومن الإشارات المهمة أيضا فى عام سنة ١٤٧٩ فى فصل عن حصار الأتراك لمدينة رودس حيث شن الأتراك حرباً ضخمة على البلاد المسيحية وخاصة جزيرة رودس معقل الإسبتارية وكثير من مقدمى وقواد جماعة الإسبتارية فى مختلف الأنحاء المسيحى فى غرب أوربا يخضعون للقيادة العامة فى رودس . وقد قتل كثير من قواد جماعة الإسبتارية وقد أرسلوا يطلبون النجدات من أنحاء البلاد المسيحية . وجاءت بعض السفن وخاصة إمدادات من إسبانيا، ولكنها لم تنجح فى دخول الميناء لأن الأسطول التركى كان يحاصر هذا الميناء. والحديث عن هذه المناوشات بين الأساطيل المسيحية والأتراك حتى نجحت هذه الأساطيل فى انقاذ رودس ولم تنقطع المناوشات بينهم(٢). وأهمية هذه الإشارة أنها تربط بين جماعة الإسبتارية فى إسبانيا والرئاسة العامة فى رودس وأن فرع الجماعة فى إسبانيا قدم مساعدات للرئاسة فى رودس.

أما بالنسبة للجزء الثانى من المصدر ففى اشارة إلى الحرب ضد مملكة غرناطة الإسلامية أمرت الملكة بتجهيز جيش ضخم فى سنة ١٤٨٢م من كل المدن ومقدمى جماعات الرهبان الفرسان ومنهم مقدم جماعة الإسبتارية (٤). ويدل هذا على أن الإسبتارية استمرت فى دورها بمشاركة الملوك الاسبان بفرق عسكرية تلتحق بجيوشهم لقتال المسلمين .

وثمة اشارات أخرى منها عن الاستعدادات لتجهيز حملة ضد بياسة من كل مدن وهيئات اسبانية وكان من المشتركين أيضا جماعة الإسبتارية فى سنة ١٤٨٩م(٥).

---

(١) Vol. p. 116 .

(٢) Vol. 1. p. 299 .

(٣) Vol 2. pp. 211-412 .

(٤) Vol 2. p. 24 .

(٥) vol 2 . p. 211 .

والواقع أن هذا المصدر من أشهر المصادر التاريخية عن الملكين فرديناند وايزابلا ويستخلص منه أن نشاط الإسبتارية كان مستمرًا فى أسبانيا من القتال ضد المسلمين وأن هذه الجماعة أصبحت قوة كبيرة خاصة بعد حل جماعة الداوية ففى بداية القرن الرابع عشر الميلادى .

ومن المصادر الهامة أيضا مدونة هنرى الرابع (مذكرات أعمال بطولية) للمؤرخ موسن ديجو دى بالير(١).

Mosen Diegu de Valera:

Memorial de Diversas Hazanas, Cronica de Hnrique 1 v.

وهى مدونة هامة جدًا تتناول تاريخ الملك هنرى الرابع ملك قشتالة بتفصيلات عديدة. وقد كتب هذا المؤلف بعناية فرديناند وإيزابلا ولايخفى علينا أنه قصد به تمجيد ملوك الكاثوليك وإضفاء نوع من القداسة عليهم ولذلك وجب الحذر فى تلقى هذه المعلومات.

أما بالنسبة لجماعة الإسبتارية فنجد اشارات متفرقة فى ثنايا موضوعات المؤلف ونجد على سبيل المثال يتحدث عن الهيئات التى حظيت بمكانة فى عهد هنرى الرابع من رجال الدين وغيرهم . وكان مقدم الإسبتارية والمدعو Don Juan de Valencucla له نشاط ضخم لتوسيع نفوذ هذه الجماعة(٢).

وفى موضوع آخر يتحدث عن هذا المقدم وكان معه ٦٠٠ من الفرسان و٨٠٠ من المشاة وتوجها إلى وادى اندوكسار Anduxar وفى الطريق تقابل مع جون فردريك مانريكى Fa-Frique Manrrique.

أفوكونت Paredes والذى كان يدافع عن ممر الوادى الكبير حيث حدثت معركة مع المسلمين وقتل فيها كثير من الطرفين ولكن فى النهاية بمساعدة مقدم الإسبتارية رغب المرور إلى أبيدو Ubedo بجيش كبير والتقوا مع الأعداء (المسلمين) وقتل فيها مقدم الداوية فى هذه المعركة (٣).

---

(١) Edicion Y Estudio por Juan Mata Carriazo, Madrid 1941 .

(٢) p. 102 .

(٣) pp. 120-121 .

وفى إشارة أخرى إلى مشاركة فرسان الإسبتارية فى الاحتفالات[١] الضخمة بزواج الأمير فرديناند مع البرنسيسة الشهيرة دونيا ايزابلا سنة ١٤٦٨م وكيف أن مقدم الداوية مع فرسان دون خوان Don Juan Pajeso V icecanciller قد شاركوا فى هذه الاحتفالات، وتعطينا هذه المعلومة إشارة إلى مكانة الإسبتارية فى مملكة قشتالة.

وفى اشارة أخرى يشير إلى أنه فى عام سنة ١٤٧٠م قد حضر إلى مملكة قشتالة أحد فرسان جماعة الإسبتارية وهو Guido de Monte Alvaldo مبعوثا من قبل مقدم جماعة الإسبتارية فى جزيرة رودرس ومعه أيضا خطاب من البابا لأجل تحقيق بعض المطالب لجماعة الإسبتارية وحل كثير من المشاكل التى تتعرض لها هذه الجماعة فى قشتالة [٢].

واشارة أخرى فى عام سنة ١٤٧٤م إلى أن مقدم الإسبتارية فى قشتالة هو Beltran ugon le Rocabertin قد اشترك بمجموعة من فرسانه مع الأمير فرديناند فى احدى المعارك مع أعدائهم الفرنسيين[٣]. ويتضح أن الملوك والأمراء قد استقطبوا جماعة الإسبتارية لمصالحهم الخاصة وحادوا عن مهامهم الرئيسية وهى قتال المسلمين وذلك باشتراكهم فى قتال الفرنسيين المسيحيين .

أما عن مدونة جالياو دوراتى عن الملك ألفونسو هنريكز[٤] Duarte Galvao : Chronica del Rei D. Alfonso Henrique ، والذى يشترك مع المصادر البرتغالية فى نفس الملاحظات، نجد أنه يتعرض من خلال أحداث أعمال ألفونسو هنريكز لأخبار متفرقة عن الإسبتارية الداوية ومشاركتهم فى الحروب . وعلى سبيل المثال نجد أن قد أشار فى وصيته إلى منح لهم وإشارة أخرى إلى أن جالدين بايز Gualdeno Paes مقدم جماعة الداوية فى البرتغال يملك قاعدة هامة وهى قلعة طمان وقلاع أخرى وقدم خدمات كثيرة للبرتغال [٥].

وأيضا من الاشارة الأخرى عن الإسبتارية فى وصيته حيث منحهم حوالى ٨٠ ألف ماربيدس من الذهب لأجل مكافأتهم عن مساعدتهم له فى نشاطه فى البرتغال [٦]، وهذا بجانب الاشارات المتفرقة أيضًا .

ويتضح من خلال ما سبق أن المصادر التاريخية قد تعرضت لأخبار الإسبتارية والداوية فى معلومات متفرقة ألقت الضوء على نشاط جماعتى الإسبتارية فى إسبانيا والبرتغال من خلال تكاملها مع الوثائق.

---

(١) p. 157.   (٢) p. 180 .   (٣) p. 235 .
(٤) Lisboa 1906 .   (٥) p. 166 .   (٦) p. 167 .

ثالثًا : المراجع الإسبانية :

من أهم المراجع الإسبانية والبرتغالية عن الإسبتارية والداوية فى مملكة أراجون للباحثة ماريا لويزا لديسما

Maria Luisa Ledesma Rubio : Templarios Y Hospitalarios ; en el Reino de Aragon, Zaragozo 1982 .

والمؤلف يشمل تمهيدًا عن الحروب الصليبية فى الشرق وميلاد جماعات الرهبان الفرسان ويحتوى ثمانية فصول :

الفصل الأول : توغل واستقرار نفوذ جماعتى الإسبتارية والداوية فى الأراضى الأراجونية، ويتحدث عن كيفية تواجد هذه الجماعات عن طريق المنح والهبات الأولى لهذه الجماعات . ويتناول عدة أفكار عن الحروب الصليبية الأراجونية والجماعات الدينية فى الأراضى الشرقية لشبه الجزيرة الإيبيرية ثم وصية ألفونسو المحارب ملك أراجون والاتفاقات مع جماعات الرهبان الفرسان .

الفصل الثانى : عن اشتراك الجنود الرهبان فى حركة الاسترداد الأراجونية ويشمل دور الداوية والإسبتارية فى حملات ريموند برنجير الرابع أمير برشلونة وأيضا توطد نفوذ الجماعتين فى حكم كل من ألفونسو الثانى وبدرو الثانى ملوك أراجون بالإضافة إلى خلفاء خايم الأول ملك أراجون والجماعات العسكرية (الإسبتارية والداوية) .

الفصل الثالث : الامتيازات الممنوحة من السلطات الملكية والهيئات الكنسية للجماعتين ويتضمن امتيازات عن طريق الملكية وأيضا جماعات الرهبان الفرسان والكنيسة.

الفصل الرابع : التنظيمات والحياة اليومية .

أولاً : جماعة الإسبتارية وتنظيماتها ويتضمن النظم ثم قطاعات الجماعة من الرؤساء مقدمى الأديرة والوظائف العليا ثم الرهبان الديرين ثم وظائفه خدام الرهبانية أو الذين تحت تلقين الرهبنة ثم التنظيمات الداخلية والحياة اليومية.

ثانيا: جماعة الداوية وتنظيماتها فتشمل نفس العناصر السابقة وفى نهاية الفصل تتحدث عن العلاقات بين جماعتى الإسبتارية والداوية .

الفصل الخامس : الاقطاعات الأراجونية الممنوحة للاسبتارية والداوية.

الفصل السادس : استثمار الأملاك والنشاط الاقتصادى ويخص الأراضى الزراعية والنشاطات المختلفة من تجارة وزراعة وصناعة حتى التجارة الخارجية فى البحار لكل من الجماعتين .

الفصل السابع : انحلال جماعة الداوية ويتضمن الدعاوى ضد الداويين ومقاومتهم فى أراجون ثم حل الجماعة وضم أملاكهم للاسبتارية .

الفصل الثامن : جماعة الإسبتارية فى أراجون ووراثتها للداوية .

ويعتبر هذا المؤلف من أهم وأعمق المؤلفات التى تتناول بالتفصيل جماعتى الإسبتارية والداوية فى مملكة أراجون . ويتضح من خلال دراستها أن تركز هاتين الجماعتين فى مملكة أراجون كان مكثفا وأن دورهما كان واضحاً من خلال المهام التى أسندت إليهما والتى بدأت بجمع الصدقات والهبات من أجل تعضيد نشاط الجماعة فى بلاد الشام ، ثم تحولت إلى القيام بدور رئيس فى قتال المسلمين عن طريق حماية حدود المملكة والدفاع عنها . ويتضح أن الباحثة استطاعت أن تلم بهذا الموضوع وتوضح كل ما يخص الجماعتين من تنظيمات سياسية، وعسكرية واقتصادية واجتماعية وفى نفس الوقت الربط بين نظام الجماعتين فى بلاد الشام واقتباس كثير من الأنظمة مع توضيح ما استجد من نظم على الجماعتين فى أراجون من حيث اكتسابهما بعض التطورات التى اختلفت عن أنظمة الجماعتين ببلاد الشام وذلك تأثراً بالظروف المحيطة واختلاف الأوضاع والأحداث فى كل من الشام وإسبانيا .

أما بالنسبة للوثائق ومصادر هذا المؤلف فهى عديدة وضعت قائمة فى نهاية كل فصل ومنها على سبيل المثال:-

Mieret y sans , les cases de Templers y Hospitalers en cataluna, Barcelona 1910 .

وهذا عن أملاك الداوية والإسبتارية فى كتالونيا ، حيث اعتمد المؤلفان بدورهما على الوثائق فى الأرشيف التاريخى القومى ومؤلف عن جماعة القديس يوحنا لبيت المقدس فى نافار فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر للباحث لاراجويتا .

Larragueta G: El Gran Prioado de la orden de san Juan de Jerusalem , siglos X11 y x 111, pamplona 1957 2 vol .

وأيضا لنفس الباحث

La Zuda de Zaragoza de la orden de san Juan de Jerusalem, Cuadernos de Historia Jeronimo Zurite (1963-64, pp. 276-308) .

ومن المؤلفات الهامة التى اعتمدت عليها الباحثة

A. J Fory , the Templars in the Corona of Aragon, London 1973 .

وقد اعتمدت عليه المؤلفة كثيراً وهو يشمل دراسة عن أصل ونشأة جماعة الداوية ثم عن تطورهم وحياتهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية فى مملكة أراجون .

هذا بالإضافة إلى الأبحاث العديدة لنفس المؤلفة (لديسما) والخاصة بجماعتى الإسبتارية والداوية منها

La ccomiendo de Zaragoza de la orden de san Juan de Jerusalem en los siglos x 11 y X 11, Zaragoza 1967 .

وهو عن تنظيمات جماعة فرسان القديس يوحنا بيت المقدس فى سرقسطة فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر وتلقى فيه بعض الأضواء والتحليلات الجديدة عن هذه التنظيمات .

ومؤلف آخر عن بدرو لوبز دى لونا مقدم جماعة الإسبتارية فى اراجون وكتالونيا ومنشور فى دراسات العصور الوسطى للتاج الأراجوني العدد الثامن١٩٦٧ الصفحات من ٤١٧ - ٤٢٧ .

Pedro Lopez de Luna , Maestre de la orden del Hospital en Aragon y Cataluna en ." Estudios de Edad Media de la corona de Aragon VIII 1967 , pp. 417-427 .

وبحث آخرها لنفس الباحثة (لديسما)

Notas sobre la actividad Militar de los Hospitalarios en " Principe de Viana: 25 (1964) pp. 51-56 .

وهو ملاحظات على النشاط العسكرى للاسبتاريين هذا بالإضافة إلى المراجع المتنوعة التى اعتمدت عليها عن جماعة الداوية وعلى سبيل المثال :

P. Rodriquez : Campomanes:

Historicas del orden Disertaciones cavelleria de los Templarios Barcelona, Elbir 1978 .

وهو المؤلف رود ريجو كامبو مانس مقالات تاريخية لجماعة فرسان الداويين»

وأيضا مؤلف آخر عن التاريخ العام لفرسان الداوية :

M. Bruguera: Historia Jeneral de los caballeros del Temple.

وأيضًا أحد الأبحاث لماجيون عن الدواوين فى التاج الأراجونى ومنشور فى مجلة الأكاديمية التاريخية الملكية الجزء ٣٢ صفحات ٤٥١-٤٦٣ .

M. Magallon:

Los Templarios de la corona de Aragon " en Boletin de la Real Academia de la Historia vol 32, pp. 451-463 .

هذا بالإضافة إلى العديد من الوثائق من الأرشيفات المختلفة ومن المصادر والمراجع الخاصة بمملكة أراجون والحروب الصليبية وأيضا بعض المراجع باللغة الفرنسية .

ويتضح مما سبق أن الباحثة متخصصة وأن معظم أبحاثها تخص جماعتى الإسبتارية والداوية فى مملكة أراجون مما أتاح لها فى هذا المؤلف الدراسة المتانية والتحليل العميق لهذا الموضوع من شتى جوانبه خاصة وأنها من مدينة سرقسطة مركز إقليم أراجون.

ومن المراجع الهامة جدًا للراهب صموبل ايخان عن العلاقات المتبادلة بين إسبانيا والأراضى المقدسة عبر العصور :

Samuel Eijan : Relaciones
mutuas de Espana y Tierra santa A Traves de los siglos, Santiago 1912 .

وهو من المراجع الهامة جدًا والتى تربط بين الحروب الصليبية فى شبه الجزيرة الايبيرية والحروب الصليبية فى بلاد الشام . ويتناول موضوعات عديدة فى داخل هذا الإطار ومنها إسبانيا والحروب الصليبية والتى تربط بين إسبانيا والحروب فى بلاد الشام ومن خلالها يستعرض بداية الحروب الصليبية ويشير أيضا إلى اشتراك الاسبان بشكل فردى فى الحروب الصليبية فى المشرق(١).

---

(١) على الرغم من تحذيرات البابوية بعدم اشتراك الاسبان فى الحروب الصليبية فى المشرق ، ويشير إلى اشترك الصليبيين الاسبان أمام أسوار انطاكية . . p. 111

ويشير أيضا إلى مشروع توليه بدرو الثانى ملك أراجون (١١٩٦-١٢١٣م) ملكا على بيت المقدس بزواجه من ماريا وريثة بيت المقدس وإن كان لم يتم هذا الموضوع[1] ويوضح أيضا كيف أن بطاركة بيت المقدس كانوا كثيرا ما يستنجدون بإسبانيا وعلى سبيل المثال أن بطريك بيت المقدس طلب مساعدة رئيس أساقفة شانت ياقب [2]. ويشير أيضا فى العديد من المواضع لاشتراك الاسبان فى الحملات الصليبية وعلى سبيل المثال الحملة الصليبية الخامسة على مصر وتتوالى الاشارات .

والمؤلف فى مجمله بحث عميق يحلل جوانب العلاقات السياسية والاقتصادية بين إسبانيا وبلاد الشام سواء من خلال الحروب الصليبية والمحاولات العديدة لاسترجاع بيت المقدس وقد استوفى جوانب الموضوع، فضلاً عن أن هذا المؤلف قد وضع فى أوائل القرن العشرين وإن كانت هناك دراسات حديثة منفردة بكل جانب إلا أنه لا يقلل من جهد وبراعة هذا الراهب فى استقصاء جوانب الموضوع . ومن النقاط الهامة جداً لهذا المرجع هو أنه اعتمد على وثائق عديدة حيث أورد البعض منها فى نهاية الدراسة فكانت دراسته دراسة وثائقية.

أما بالنسبة لأهميته كمرجع للمعلومات عن جماعتى الإسبتارية والداوية فى إسبانيا فنجد أنه قد أشار اشارات عديدة فى كل جزئيات بحثه إلى أن جماعتى الإسبتارية والداوية كانتا القاسم المشترك فى العلاقات بين إسبانيا والحروب الصليبية فى الشرق . ومن أهم الإشارات عن دخولهما إسبانيا وأن ألفونسو المحارب (ملك أراجون) منح أملاكه ومملكته فى وصيته للجماعات الثلاثة الإسبتارية والداوية وحراس القبر المقدس[3]، وأن ألفونسو المحارب كان يعتبر صليبياً من الطراز الأول وكان يأمل فى حياته القيام بحملة صليبية [4].

وقد تتابعت الأحداث وأشار إلى المفاوضات التى تمت من أجل حل المشكلات بين مملكة أراجون وجماعتى الإسبتارية والداوية خاصة، بعد رفض الأراجونيين تنفيذ هذه الوصية

---

(١) pp. 136-138 .

(٢) وفى الملاحق أورد الخطاب المرسل من بطريك بيت المقدس إلى رئيس أساقفة شانت ياقب pp. 482-484 .

(٣) وقد استعرضنا من قبل وثيقة هذه الوصية

(٤) pp. 123-128 .

الغربية وتدخل البابوية وأورد خطاباً من جالرمو بطريك بيت المقدس بموافقته على منح وهبات[١]. ريموند ربنجير الرابع والذى أرسل إليه رسالة يعرض عليه هذه التعويضات .

ويشير فى فصل آخر عن تأثر إسبانيا بنظام جماعتى الإسبتارية والداوية وأنهم قاموا بتأسيس جماعتى رهبان فرسان وطنية على غرار هذه الجماعات الشرقية ويستفيض فى شرح نظام هاتين الجماعتين فى إسبانيا [٢].

والواقع أن هذا المرجع ربط للحروب الصليبية فى بلاد الشام وإسبانيا وكانت جماعتا الإسبتارية والداوية احدى هذه الحلقات . وهناك الاشارات العديدة فى مواضع مختلفة للجماعتين فى إسبانيا إلا أنه لم يكن موضوعه الأساسى هو جماعات الإسبتارية والداوية فى إسبانيا والبرتغال .

ومن أهم المراجع الخاصة بجماعات الرهبان الفرسان عامة فى شبه الجزيرة الايبيرية فى العصور الوسطى للمؤرخ لوماكس .

Lomax ., D. W

Las ordenes Militares en la Peninsula Iberia, durante la Edad Media Salamanca 1976 .

ويعتبر دراسة وثائقية بليوجرافية للوثائق والأرشيفات والكتابات عن موضوع جماعات الرهبان الفرسان فى شبه الجزيرة ، ويشمل جماعتى الإسبتارية والداوية بجانب الجماعات الوطنية . والواقع أن هذه الجماعات مثلت ظاهرة هامة جداً فى تاريخ شبه الجزيرة فى العصور الوسطى فأراد لوماكس وضع دليل لكل جماعة بضم وثائقها ارشيفاتها ومصادرها ومراجعها . وقد أشار فى موضوع هام كبداية للبحث عن جماعات الرهبان عامة سواء فى الشرق أو الغرب وفكرة نشأتها ، ثم تكلم عن الجماعات الاسبانية والتواريخ الهامة عن جماعات الرهبان والجماعات الدينية وتحدث عن المصادر الهامة والتى تنقسم إلى ستة أقسام:

---

(١) يشير فيها جالرمو «من جالرمو خادم الله وبطريك بيت المقدس وأنه بالاتفاق مع مجلس المستشارين لملكة بيت المقدس ومع بدرو خادم القبر المقدس ومع الكهنة القانونيين إلى ريموند كونت برشلونة ثم يعدم بموافقته على مطاب ريموند .

(٢) pp. 128-136 .

(٣) pp. 21-23 .

١- المصادر القصصية .

٢- مصادر وثائقية فى الأرشيف التاريخى الوطنى.

٣- أرشيفات أخرى.

٤- مجموعات الوثائق المطبوعة.

٥- مصادر قانونية .

٦- مصادر أثرية[١] .

ويشير فى النقطة الثانية إلى جماعة الإسبتارية فى شبه الجزيرة ويقسم مصادرها ومراجعها إلى سبعة أقسام:

١- الأرشيفات : ويتحدث عن الأرشيفات المختلفة للمدن والكنائس والأديرة ومنها على سبيل المثال كنيسة القديس خوان فى سرقسطة وأرشيفات بامبلونا Pamplona وتطلية Tudela وأرشيفات كتالونيا ومدريد وبرشلونة والعديد منها ؛ علماً بأن هذه الأرشيفات لاتضم وثائق خاصة بجماعة الإسبتارية فقط بل تخص مختلف المجالات .

٢- مجموعات الوثائق المطبوعة : وأول مجموعة هى وثائق الإسبتارية فى إسبانيا والمنشورة فى سنة ١٧٩٨ على يد عالم الأرشيفات خون أنطونيو فرناندز Juan Antonio Fernandez وأيضا وثائق نافار التى نشرها لارجويتا Larragucta والتى تخص سنوات قبل سنة ١٣٠٠م وفى البرتغال نجد أن ساربيفا Cunha Saraiva قد طبع كثيراً من وثائق العصور الوسطى.

٣- تاريخ جماعة الإسبتارية فى العصور الوسطى الاسبانية : ويتحدث عن بعض المؤلفات التى تعرضنا لبعضها فى هذا البحث- وموضوعات أخرى ولكنها تتعرض ضمنا لأخبار الجماعات ويشير إلى مؤلفات الباحثين وهما المتخصصان فى تاريخ جماعات الرهبان الفرسان الإسبتارية والداوية Garia Ledesma Rubio . Larragueta وعلى سبيل المثال نجد للمؤرخ الأول جارثيا أن من أهم أعماله بحثا عن العلاقات الاقتصادية بين الجماعة (الإسبتارية) والتاج الأراجونى فى القرن الثالث عشر.

Larragueta : Los Relaciones economicas entre la orden y la corona de Aragon en el Siglo XIII .

---

(١) pp. 21-23 .

وبحث آخر لم نشير إليه من قبل للباحثة لديسما

Ledesma, los Fechas del primer maestre de Amposta Pedro lopez de Luno.

وهو دراسة عن أول مقدم للجماعة وهو بدرو لويز دى لونا بالإضافة إلي العديد من المؤلفات[١].

٤- **القانون والحياة الداخلية** : ويشير إلى بعض الدراسات التى تتناول هذه الموضوعات من خلال الكتابات العامة عن هذه الجماعة- والتى تعرضنا لها من قبل- وخاصة كتابات المؤرخ جارثيا لارجويتا [٢].

٥- **مقدمو الأديرة والتنظيمات الديرية** : وتنقسم الادارة لجماعة الإسبتارية الأسبانية بين كتالونيا ونافار وأراجون وقشتالة والبرتغال . وهناك دراسات لكل قسم من هذه الأقسام وكل هذه الدراسات من خلال وثائق هذه الجماعة فى الأديرة والكنائس ومن المؤرخين الذين تعرضوا لهذه الموضوعات :

Agustin Ubicto, Mircty sanz

وجارثيا لاراجويتا Larragucta فى الوثائق المنشورة عن الجماعة فى نافار[٣] ، وأيضاً هناك بعض المؤرخين البرتغاليين الذين اهتموا بهذا الموضوع وأهمهم المؤرخ الشهير -Az evedo و Alvieres Pereira , Oliveira Martins .

٦- **العلاقات مع المؤسسات الأخرى** .

وتتناول العلاقات بين الإسبتارية والمؤسسات الأخرى كالجماعات الأخرى والمؤسسات الحكومية والدينية كالكنائس والمنظمات الديرية وهناك دراسات على سبيل المثال للمؤرخين[٤] Gonzalez , Gorosterratza, Fory

٧- **العلوم والآداب والفنون**

هذه الدراسات عامة وتتناول هاتين الجماعتين من حيث نشاطهما الثقافى وذلك من خلال بعض المؤلفات وأهمها المؤلفات التى وضعت تحت إشراف ألفونسو (العاشر) العالم ملك

---

(١) p. 23-25 .

(٢) p. 25 .

(٣) تعرضنا لهذا من قبل .

(٤) p.27 .

قشتالة ١٢٥٢-١٢٨٤ والذى أهتم بالثقافة والعلوم والفنون اهتمام كبيراً . وتعرض فيما تعرض لتأثير هذه الجماعات ومنها الإسبتارية فى المجالات السابقة بالإضافة للأعمال المختلفة للمؤرخين وعلى سبيل المثال Dominguez Bordona ودراسته عن الرسومات المنمنة فى مخطوط هرديا Heredia أما بالنسبة لجماعة الداوية.

١- الأرشيفات :

بالنسبة للأبحاث التاريخية عن جماعة الداوية فنجد أن وثائق هذه الجماعة توجد مع وثائق الجماعات الأخرى الموجودة فى الأرشيفات المختلفة . والدراسات عن هذه الأرشيفات والتى قام بها Dessubre و New و Dailliez من الأرشيفات فى Vilar Bont والتى نشرت بعناية Rubio , Miret Y sanz وآخرين . وأيضا توجد وثائق متعلقة بالداوية فى أقسام أخرى من أرشيفات مدريد وبرشلونة ولشبونة وأرشيفات المراكز القديمة لهذه الجماعة(١) .

٢- المصادر المطبوعة :

وأهم مجموعة للوثائق الخاصة بالجماعة الداوية الاسبانية المنشورة كملاحق فى رسالة الدكتوراه للباحث فورى Forey وأيضا المجموعة المنشورة على يد Delaville le Roulx ووثائق Gardeny y Barbens المطبوعة على يد Mirety sans والوثائق التى قام بدراستها ميريت Miret للجماعة فى كتالونيا وأيضا مجموعات الوثائق البرتغالية التى نشرها كل من Ferreira و Javierre و Mur و Ortega Gonzalez و Cotes (٢).

٣- تاريخ الداوية فى العصور الوسطى الاسبانية :

هناك دراسات تشمل من ضمن موضوعاتها عن الداوية مثلا Zapater قام بدراسة عن جماعات الرهبان السترشيه وتعرض من خلالها لجماعة الداوية وأيضا Ferreira تعرض لجماعة المسيح وتعرض من خلالها لدراسته للدواويين كأسلافهم فى البرتغال وأيضا دراسات لـ Ruiz Perez و Bruguero بجانب دراسات عامة عن تاريخ الداوية العام لـ Delisle, Prits وأيضا كتابات Forey من أفضل ما كتب عن جماعة الداوية فى إسبانيا (وهو أحد المراجع الإنجليزية الهامة جداً) وناقش مشكلة وصية ألفونسو المحارب ودور الجماعة فى حركة الاسترداد الأراجونية .

---

(١) p. 28 .

(٢) pp. 28-29 .

وعن سقوط الداوية وانحلالها نجد دراسات أهمها للمؤرخ Raymouard وأيضا للمؤرخين Prutz و Finke و Lizerand و Fay هذه عن انحلال الجماعة عامة . أما عن انحلالها فى داخل شبه الجزيرة مثل Miret y sans و Mercate و Forey وفى البرتغال نجد Javierre و Benavides و Sans Trave (١).

٤- القوانين والحياة الداخلية :

قوانين الداوية نشرت على يد Curzon وبالنسبة للحياة الداخلية نجد بحثًا لـ Melville بالإضافة إلى كتابات المؤرخين العامة عن جماعة الداوية ونجد أيضا Delaville le Roulx نشر احدى الروايات (التراجم) الكتالونية للقوانين وأيضا لـ Forey دراسته عن حياة الجماعة فى التاج الأراجونى . أما بالنسبة للبرتغال فنجد دراسات لكل من Javierre و Sans Travo(٢).

٥- مقدمو الجماعة والتنظيمات الديرية والقطاعات :

ونجد أن Forey قد قام بدراسة كاملة عن الأديرة والتنظيمات الخاصة بالداوية فى ظل التاج الأراجونى . وفى كتالونيا دراسة قيمة لميريت وسانز Miret Y sana والدراسات لبعض المؤرخين وعلى سبيل المثال Ayncto و Burns ولنشاط الداوية دراسة عن الأديرة فى Prades على يد Carreras y Candi وفى Chivert على يد Savall وفى Miravet على يد Sanchez وفى طركونة Tarragona على يد Alegret وفى ميورقة على يد Ratger وكثير من الدراسات . وإن كانت الدراسات فى مملكة قشتالة وليون أقل كثيرا من المناطق الأخرى في هذا الموضوع ولذلك لقلة تركز الجماعة فى تلك المملكة وتوجد دراسات على إقليم ليون ونشاط الداوية فى قورية Coria وأيضا دراسة لجونتالث Gonzalaz ودراسات متفرقة على سبيل المثال بحث Perez ilimazares عن الداوية فى Tau .

أما بالنسبة لغرب شبه الجزيرة (البرتغال) فنجد أعمال لـ Delisle و Piquet و Vilar و Bonet (٣).

---

(١) pp. 29-30 .

(٢) p. 30 .

(٣) pp. 30-31 .

٦- العلاقات مع المؤسسات الأخرى :

هناك دراسة هامة لفورى Forey عن علاقة الداويين بالملكية فى التاج الأراجونى ومضمونها علاقات الجماعة مع الجماعات المختلفة الأخرى .

ومن المؤرخين الذين تعرضوا لهذا الموضوع فى إسبانيا والبرتغال كل من , Gonzalez Torres Y Tapia و Floriano و Benavides (١).

٧- العلوم والآداب والفنون

والواقع أنه فيما يخص هذه الموضوعات نجدها فى المؤلفات العامة عن جماعة الداوية وقد ركز فورى Forey على هذه الموضوعات عن طريقة دراسته لبعض كنائس الداوية من ناحية فنونها ورسوماتها وفى شقوبية Segovia على يد Cabella وأيضا فى برج النهر Torre del Rio لويثى Huici ودراسة عن القلاع فى جنوب أراجون لـ Gordillo والعديد من المؤلفات فى نفس هذه الموضوعات بالإضافة إلى التواريخ العامة للفنون (٢).

وتعرض الباحث لنفس هذه التقسيمات للجماعات الرهبان الفرسان المحلية وهى:

١- سانت ماريا التوتونية Santa Maria de los Teutonicas

٢- جماعة القديس شانت ياقب Santiago

٣- جماعة قلعة رياح Calatrava

٤- جماعة القنطرة Alcantara

٥- جماعة مونتيسة Montesa

٦- جماعة المسيح Cristo

٧- جماعات رهبان فرسان أسبانية أخرى Otras ordenes Hispanicas

٨- جماعات رهبان فرسان مفترضة Las Supuestas ordenes Militares

ونجد أن هذا المؤلف عبارة عن ببلوجرافيا عن جماعات الرهبان الفرسان عامة فى شبه الجزيرة الأيبيرية فقد أورد فى نهاية بحثه قائمة بحوالى ٩١٨ ما بين مرجع ومقالات وأبحاث مختلفة تتعرض لجماعات الرهبان الفرسان بموضوعاتها المختلفة .

---

(١) p. 31 .

(٢) p. 32 .

وبالنسبة لجماعتى الإسبتارية والداوية فنجد أنه قد أورد ببلوجرافيا غطت جوانب الموضوعات المتنوعة الخاصة بالجماعتين فى إسبانيا والبرتغال ولاغنى لباحث عن الاطلاع على المؤلف.

ومن الأبحاث الهامة جدًا عن جماعة الإسبتارية فى نافار فى القرن الرابع عشر الميلادى أحد الأبحاث التى القيت فى المؤتمر العلمى عن جماعات الرهبان العسكرية فى غرب البحر الأبيض المتوسط فيما بين القرنين الثانى عشر والثامن عشر الميلادى وذلك فى أيام ٤ ، ٥ ، ٦ مايو سنة ١٩٦٣ وقد نشرت هذه الأبحاث فى مجلد بعنوان :

Las ordenes Militares en el Mediterraneo occidental (S.X11- XV111) Casa de valazques, Instituto de estudios Manchegos 1989 .

والبحث المذكور هو للباحث جارثيا لاراجويتا Garacia Larragueta وموضوعه : La orden de san Juan de Jerusalen en Navarra siglo XIV وهو فى غاية الأهمية لعدة أسباب : منها أنه يوضح وضع جماعة الإسبتارية فى مملكة نافار وخاصة فى فترة القرن الرابع عشر وترجع أهمية بحثه إلي أن أصل مصادره هى الوثائق فى المقام الأول لأن المعلومات من خلال المصادر التاريخية عن وجود نشاط للاسبتارية فى مملكة نافار ضيئلة للغاية . وقد اطلع على كم كثير من الوثائق الخاصة بموضوعه وقد أورد قائمة بالوثائق التى استخدمها فى البحث وبلغ عددها ٣٩١ وثيقة أساسية لهذا الموضوع ومعظمها من الأرشيف التاريخى الوطنى Archivo Historico Nocional وعدة أرشيفات أخرى وخاصة فى نافار ويبدأ بحثه بالحديث عن الأرشيفات والوثائق التى اعتمد عليها ثم عن ضم أملاك الداوية لجماعة الإسبتارية بعد حلها عندما أصدر البابا كليمنت الخامس قراره فى ١٦ مايو ١٣١٢ بمنح الإسبتارية أملاك الداوية فى نافار . ويحدد الباحث هذه الأملاك من أراضى وأديرة وممتلكات ويوضح ذلك من خلال الوثائق وخاصة ست وثائق بابوية بين سنة ١٣٠١-١٣١٧م وتوثيقة لنقل هذه الممتلكات مع بحث بعض جزئيات هذه الأملاك(١).

ويتحدث عن مشاكل نقل هذه الممتلكات ، ثم يتحدث عن النظم الإكليركية والحياة المدنية والنظم الدينية وطبقات الجماعة ومقدميها ومهامها الدينية ثم ممارسة حياتهم اليومية(٢).

---

(١) pp. 10-112.

(٢) pp. 115-117.

ويتحدث أيضا عن الإدارة الإقليمية للجماعة فى نافار وذلك أيضا من خلال الوثائق ويستتبع شخصيات مقدمى الجماعة فى نافار وأعمالهم ومهامهم المدنية وذلك أيضا من خلال الوثائق العديدة للأرشيفات المختلفة (١)، ويشير إلى مقدمى الجماعة فى النصف الثانى من القرن الرابع عشر ويتحدث عن وضع هؤلاء الرؤساء فى بلاط نافار ثم يستعرض كل الوثائق الخاصة بالنصف الثانى من القرن الرابع عشر الميلادى ويركز أيضًا فى حديثه على أحد هؤلاء المقدمين لهذه الجماعة فى نافار وهو Martin Martinez de Olloqui

وجدير بالذكر أن هذا البحث يؤكد تمامًا وجهة النظر بأن الاعتماد الأساسى والأصلى فى أخبارنا عن جماعتى الإسبتارية والداوية فى إسبانيا والبرتغال على الوثائق وليست المصادر المؤلفة ونجد أن الباحث قد اعتمد فى بحثه فقط على الوثائق ولاغير ذلك .

ومن الأبحاث الهامة جدًا عن التاج الأراجونى وجماعات الرهبان الفرسان خلال القرن الرابع عشر للباحث أنطونى لوتريل :

Anthony Luttrell

La Corona de Aragon Y los ordenes Militares Durante El siglo XIV .

والذى ألقى فى المؤتمر التاريخى الثامن للتاج الأراجونى

VIII Congreso de Historia de la corona le Aragon, vol Valencia 1970 .

فى بلنسية فى الفترة ١ إلى ٨ أكتوبر سنة ١٩٦٧ والبحث يتناول كيف أن جماعات الرهبان الفرسان أصبحت كأحد الفروع الهامة للهيئات الدينية داخل أملاك التاج الأراجونى فى أثناء القرن الثالث عشر وأن جماعتى الإسبتارية والداوية هم أساس هذه الجماعات وأنهما قد شاركا فى استرداد ميورقة وبلنسية وساعدوا التاج للتعمير والدفاع عن هذه الأراضى المستردة ومنحوا امتيازات وأملاك عديدة (٢). وأشار إلى أنه فى نهاية القرن الثالث عشر قد تحطم هذا التحالف بين التاج وجماعات الرهبان عندما تألم الملك ألفونسو الثالث من الإسبتارية الذين ساعدوا الفرنسيين ضد أراجون.

---

(١) pp. 112-123 .

(٢) p. 67 .

وقد تعرض لوضع هذه الجماعات بعد طرد الصليبيين من بلاد الشام سنة ١٢٩١م وفقدهم لأملاكهم فى تلك المناطق . وفى الوقت نفسه توقفت حركة الاسترداد إلى حد ما وفقدوا كثيراً من مكانتهم داخل شبه الجزيرة ثم أشار إلى الإسبتارية حاولوا إثبات حقوقهم مباشرة فى سنة ١٣٠٦م عند غزو جزيرة رودس اليونانية حيث أسسوا مراكز نشاط صليبية ضد المسلمين.

أما بالنسبة للداوية الأكثر ثراء والأكثر تعرضا للخطر أى أكثر قابلية للضرر ونجد أنه عندما تعرضت المملكة للهجوم من البابا بونفيس الثامن وفرنسا فإن الداويين مع الكتلان والاراجونيين قدموا أموالاً كثيرة للتاج مثلهم مثل النبلاء.

إلى أنه عندما بدأ البابا كليمنت الخامس حربه ضد جماعة الداوية أمر خايم الثانى ، بحل الداوية والذى بدوره شرع فى ذلك إلى أن الداويين قد قاوموا فى Miravet وفى Azcon وفى قلاع أخرى (١). ولكن فى النهاية نجح الملك فى الاستيلاء على أملاكهم وحل جماعة الداوية ونقل أملاكهم إلى الإسبتارية وذلك عن طريق التفاوض مع البابوية ووصلوا إلى اتفاق بأن الإسبتارية اكتسبوا أملاك الداويين فى أراجون وفى كتالونيا بينما تأسس جماعة جديدة على يد خايم الثانى وهى جماعة مونتسيا Montesa والتى ورثت بعض أملاك الداوية واغدق عليها رعايته (٢).

وأصبحت جماعة الإسبتارية هى الأكثر مكانة بداية من عام ١٣١٩ على باقى الجماعات وقسمت الرئاسة فالإسبتارية فى مملكة أراجون تركزوا فى قلعة La Castellonia de Am-posta بينما أسست رئاسة جديدة فى كتالونيا وامتدت أملاك الإسبتارية فى حوض الابرو وجنوب كتالونيا ويتحدث الباحث عن وضع الرئاسة فى مملكة أراجون وتنظيماتها وأيضا مساعدة الاسبتاريين لخايم الثانى بـ ١٥٠ ألف Sueldos Barceleneses من أجل فتح جزيرة سردينيا فى مقابل ٤٠ ألف دفعتها جماعة مونتيسة و٣٠ ألف من جماعة قلعة رباح و١٠ آلاف من جماعة شانت ياقب (٣).

---

(١) pp. 68-69 .

(٢) Ibid .

(٣) p. 70.

ويشير بعد ذلك إلى العلاقات بين الرئاستين وملوك أراجون [١]، خلال القرن الرابع عشر حتى أنه يصل إلى حقيقة هى أنه فى التاج الأراجونى وصلت الإسبتارية تقريبا إلى أنه أصبحت جماعة وطنية ويستعرض ذلك من أعمالهم وعلاقاتهم بالملوك الأراجونيين وأنهم أصبحوا مشاركين فى سياسة هؤلاء الملوك وأصبحوا أداة من أدواتهم للحكم [٢].

ويشير أيضاً إلى العلاقات بين جماعة الإسبتارية فى أراجون ونفس الجماعة فى جزيرة رودس .

والواقع أن هذا البحث يمتاز بأنه ألقى الضوء على فترة هامة فى تاريخ الجماعتين فى مملكة أراجون من خلال انحلال جماعة الداوية وميراث الإسبتارية لأملاكهم وأصبحت الإسبتارية تحتل مكانة بارزة فى المملكة خاصة بعد أن كانت تأتى فى المرتبة الثانية بعد جماعة الداوية ونجد أن هاتين الجماعتين أصبحتا مؤسسات سياسية دينية اقتصادية اجتماعية وذلك يتضح من خلال البحث .

ومن المراجع الهامة أيضا لخوليو جونثالث :

Julio Ganzalez : El Reino de Castilla en lo epoca de Alfonso VIII vol 2 Madrid , 1960 .

وهو عن مملكة قشتالة فى عهد ألفونسو جونثالث .

وأهمية هذا المرجع أنه ينقسم إلى جزئين الأول يخص التاريخ ويتناول بشكل وافى كل أعمال وسياسة ألفونسو الثامن الداخلية والخارجية ، أي يتعرض للأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية فى عهده بالإضافة للعلاقات المتشعبة بالممالك الأخرى وهى دراسة جديرة بالتقدير والاحترام حيث اعتمد على الأرشيفات المختلفة والوثائق العديدة والتى أفرد لها جزءًا خاصاً بها ويشمل ما يخص عهد ألفونسو الثامن من وثائق ونصوص .

وأما بالنسبة لأهميته كمرجع عن الإسبتارية والداوية فهناك حقيقة هامة هى أن وجود الإسبتارية والداوية فى مملكة قشتالة وليون يشوبه الغموض . ولم تسعفنا النصوص التاريخية بذلك ويرجع ذلك لأن وجودها فى تلك المملكتين كان ضعيفا ولذلك نرى هذا المؤلف يلقى بعض الضوء تحت عنوان جماعات الرهبان الفرسان فى الصفحات من ٥٥٦ إلى ٦٠٢ وهو يتناول جماعتى الإسبتارية والداوية بالإضافة إلى الجماعات الوطنية وهم جماعات قلعة رباح والقنطرة والقديس شانت ياقب إلى جانب بعض الجماعات الصغيرة .

---

(١) p. 70-71 .

(٢) p. 73 .

ويبدأ حديثه عن جماعتى الإسبتارية والداوية فنجد أولاً الحديث عن الحروب الصليبية والروح الدينية وتشجيع نزوح الصليبيين إلى أسبانيا لقتال المسلمين ونداءات البابوات بذلك(١).
ثم يبدأ الحديث عن جماعة الإسبتارية وأهميتها ومهامها فى بلاد الشام ثم انتقالها إلى إسبانيا فى مناطق مختلفة وكيف أن مقدم هذه الجماعة فى أسبانيا فكرّ فى تشكيل اتحاد مسيحى كمشروع لحركة الاسترداد وطرد المسلمين وذلك فى عهد ألفونسو الثامن ملك قشتالة وأصبحت هذه الجماعات الأكثر أهمية فى الحروب الصليبية الاسبانية .

وقد نظمت هذه الجماعة فى سنة ١١٥٦م كهيئة سياسية اقتصادية لها مكانة كبيرة خاصة وأن خطر الموحدين قد بدأ أنذاك بع دخولهم شبه الجزيرة والقضاء على المرابطين وأشار أيضًا إلى تركز هذه الجماعة فى قلاع Criptana و Villajos و Kuerio و Atarcz ثم منحهم العديد من الأملاك(٢).

ويشير إلى صلات هذه الجماعة بالجماعات الأخرى وأن مقدم هذه الجماعة بدرو ارياس Pedro Arias قد نجح بسياسته فى تبوأ هذه الجماعة مكانة هامة فى قشتالة وحصوله على العديد من الامتيازات كما فى ٣ يونيو سنة ١١٧٠م (٣).

والاشارة إلى العديد من المنح فى السنوات التالية (٤)، وأشار أيضًا إلى بعض نزاعات الجماعة مع الكنائس المختلفة حول الحقوق على بعض المناطق وتدخل البابا اسكندر الثالث(٥).

وعلى الرغم من هذه المنح من الملوك القشتاليين إلا أن الجماعة انشغلت بأملاكها وثرواتها أكثر من حركة الاسترداد (٦). ثم مشاكل هذه الأملاك والنزاعات المختلفة مع الهيئات السياسية والدينية (٧).

أما حديثه عن جماعة الداوية فإنه يشير إلى أنها سارت على نفس الخط المتوازى مع جماعة الإسبتارية وأن أول ذكر لهم عندما استولى الامبراطور ألفونسو السابع (١١٢٦-١١٥٧م) ملك قشتالة وليون على قلعة رباح من المسلمين سنة ١١٤٨م ومنحها لجماعة الداوية للدفاع عنها، ولكن عندما توفى الامبراطور وتعرضت تلك المنطقة لضغط الموحدين رأوا

---

(١) p. 556-559 .
(٢) مثل منحه قلعة اقليش Ucles فى ١٢ سبتمبر سنة ١١٦٣م . p. 360 .
(٣) p. 561 .
(٤) ومنح أخرى لهم فى ٩ يناير سنة ١١٧٤م تتمثل فى وادى Espinosa de Villagonzalo p. 563 .
(٥) Ibid .
(٦) p. 564 .
(٧) pp. 564-565 .

التخلى عنها وردوها إلى الملك سانشو الثالث بعد أن أخلوها. وهى مثل الإسبتارية اهتمامها الأول الثروات والأملاك ثم يتحدث عن منح وأملاك الداوية بين كاريون Carrion وساهاجون Sahagun ووادى Terrodillos وكنيسة San Nicolos de Camino والعديد من الأملاك(١).

ويشير إلى أن مقدمى الداوية حضروا إلى قشتالة فى المناسبات المختلفة . وعلى سبيل المثال سنة ١١٨١م للحصول على مكاسب للجماعة ويشير أيضًا إلى أنه ليس بعجيب أن نرى الداوية فى وصية ألفونسو الثامن تشارك الإسبتارية فى العطايا .

والواقع أن هذا المؤلف يتعرض لجماعتى الإسبتارية والداوية ويشير إلى مراكزهم وأملاكهم وثرواتهم دون الحديث عن أى نشاط للجماعتين فى حروب مملكة قشتالة ضد المسلمين . حقيقة أن دور الجماعتين الأول هو الحصول على الأملاك والامتيازات وحيازة الثروات من أجل تقوية وتعضيد الجماعة ضد المسلمين فى بلاد الشام ولكن ليظهر لهم نشاط حربي ضد المسلمين فى حراسة قلاع الحدود ومشاركة الملوك بفرق عسكرية فى حملاتهم ضد المسلمين كما نرى فى أراجون وفى البرتغال . أما فى قشتالة فهذا الدور يكاد يكون معدوما ويؤكد ذلك أن جونثالث لم يشير إلى أى نشاط لهما ضد المسلمين أو مشاركة الملك فى حملاته خاصة، وأن تلك الفترة هى أزهى عصور القوة للموحدين فى الأندلس باستثناء حادثة عجزهم عن الدفاع عن قلعة رباح .

وإن كان هذا المؤلف لايشفى غليلنا بمعلومات عن نشاط الجماعتين فى الحروب الاستردادية إلا أنه أعطى صورة عن مكانة هذه الجماعة فى مملكة قشتالة وحيازتها الأملاك والثروات العديدة.

ومن المراجع الاسبانية الهامة «التاريخ الاقتصادى والاجتماعى لاسبانيا المسيحية فى العصور الوسطي» للمؤرخين دوفورسك ودالشى .

وهذا المرجع من المراجع الهامة جدًا إذ يستعرض الحياة الاقتصادية والاجتماعية منذ عهد القوط الغربيين حتى أواخر العصور الوسطى فى أسبانيا المسيحية ، مستعرضا من خلالها كثيرًا من الموضوعات المتشعبة بالنسبة للناحية الاقتصادية من حيث النشاط الاقتصادى ومؤسساته وارتباط هذا النشاط بحركة الاسترداد وما يتلوها من حركة التعمير ، وأيضا بالنسبة للحياة الاجتماعية من طبقات السكان وحياتهم فى كل منطقة من مناطق أسبانيا المسيحية .

---

(١) p. 566 .

Ch- E. Dufourchy Y Dalcke:

Historia Economica Y Social de la Espana Cristiana en la Edod Media, Barcelono 1983 .

وأهميته بالنسبة لجماعتى الإسبتارية والداوية أنه يضعهما من ضمن النسيج الاقتصادى والاجتماعى فى إسبانيا المسيحية وذلك من خلال الاشارات العديدة ومنها على سبيل المثال دورهما فى احتلال وتعمير الأراضى المستولى عليها من المسلمين خاصة وأن هذه المدن والأراضى بعد الاستيلاء عليها يعهد بكثير منها لجماعات الرهبان للدفاع عنها (١).

ويشير أيضا إلى وضع الجماعتين فى مملكة أراجون وربط الملك ألفونسو المحارب مملكته بهاتين الجماعتين ووصيته للجماعتين ، ثم ما كان من تولية أخيه الراهب (راميرو) الذى زوج ابنته بترونيلا من أمير أراجون ريموند برنجير الرابع والذى كان أحد أعضاء جماعة الداوية والذى ما لبث أن سوى الخلافات مع الجماعتين الناتجة عن وصية ألفونسو المحارب (٢).

وقد اكتسبت كل من الجماعتين مزايا وهبات وأملاكًا عديدة فى عهد ريموند برنجير الرابع والذى حقق انجازات ضخمة فى فترة ما بين المرابطين والموحدين سنة ١١٤٧م عندما استولى على أملاك عديدة على وادى نهر الابرو وأهمها مدن لاردة Lerida وطرطوشة Tortosa فنجد لهاتين الجماعتين دوراً كبيراً معه فى هذه الفتوحات وكانت المهمة مزدوجة ما بين الفتح والمساعدة العسكرية وفى نفس الوقت اعتمد عليهم فى تعمير تلك الأراضى ولذلك منح امتيازات لهم فى تلك المدن وتمثلت فى أديرة واقطاعات وأملاك واسعة(٣).

وقد بلغ الأمر أن جماعة الداوية أخذت جزءًا من مدينة طرطوشة وخمس مدينة لاردة كواحدة من القوى المالية لديها نشاط تجارى فى البحر المتوسط وشاركت فى النشاط البورجوازى الكتالونى(٤).

ومن الإشارا الهامة أنه فى عام ١١٤٨م كانت الإسبتارية والداوية قد توطدت أملاكهم وتوسعت - كما أشرنا- نتيجة لحركة الاسترداد الاسبانية(٢) بالإضافة إلى الاشارات المتفرقة فى ثنايا البحث .

ويعتبر هذا المرجع من المراجع الهامة بالنسبة لدور جماعتى الإسبتارية والداوية . حقيقة أنه يتعرض للحياة الاقتصادية والاجتماعية عامة ، ولكنه يستخلص منه مدى أهمية ومكانة ودور الجماعتين فى الحياة الاقتصادية والاجتماعية.

وجدير بالذكر أن المؤلف لايتعدى ٤٥٥ صفحة وأن موضوعاته تصلح للعديد من المؤلفات ولكن أهميته تتمثل فى اعطاء الخطوط العامة دون التعمق فى التفاصيل الدقيقة وهو مرشد لكل من يبحث فى التاريخ الاقتصادى والاجتماعى لأسبانيا المسيحية فى العصور الوسطى.

---

(١) p. 102 .

(٢) p. 120 .

(٣) p. 121 .

(٤) pp. 124-126.

ومن الأبحاث الهامة جداً دراسة منشورة بعناية معهد دراسات العصور الوسطى للتاج الأراجونى وهى للمؤرخ كير عن البابوية وممالك نافار وأراجون.

Kehr, P. Elpapado y los Reinos .
de Navarro Y Aragon, Estudios de Edad Medie le la corona de Aragon vol, 2 Zaragoza 1946 .

عن البابوية وممالك نافار وأراجون ويستعرض البحث العلاقات منذ بدايتها والتى يحدد أنه لم تكن هناك علاقات واضحة قبل النصف الأول من القرن الحادى عشر . ويستعرض العلاقات منذ ذلك الحين مستعرضا بدايتها ثم البابوات وعلاقاتهم بالملكتين فيشير فى فصل كامل عن البابا اسكندر الثانى وفى فصل ثالث عن جريجورى السابع وفى فصل رابع البابا أوربان الثانى وفى فصل خامس البابا باسكال الثانى وخلفه ثم فصل سادس عن العلاقات بين البابوة والملكتين منذ عام ١١٣٤م.

وترجع أهمية هذه الدراسة إلى أنها توضح جانبًا هامًا هو موقف البابوية من جماعتى الإسبتارية والداوية فى أسبانيا وأنها أخذت على عتقها رعاية هذه الجماعات وتأكيد نفوذها وفى الوقت نفسه تعتبر هاتين الجماعتين إحدى الأسلحة لتأكيد سيطرة ونفوذ البابوية فى شبه الجزيرة الايبرية وذلك بجانب الرهبان الكلونيين خاصة وأنهما يخضعهما مباشرة لرئاسة البابوية ذاتها .

وأولى هذه الإشارات كانت فى وصية ألفونسو المحارب عندما ترك وراثة مملكته للجماعات الثلاث- كما أشرنا(١)- وتتابع النزاعات والمشاكل بين الجماعتين وراميرالراهب ثم ريموند برنجير الرابع (٢).

وبالنسبة لمشكلة جماعات الرهبان ومطالبتها بتنفيذ وصية ألفونسو المحارب فقد أرسل البابا أنوصان الثانى مبعوثين لحل هذه المشكلة خاصة وأن بطريرك بيت المقدس جالرمو مع قائد القبر المقدس وريموند مقدم جماعة الإسبتارية وتقدموا إليه بمطالبهم (٣). وحضروا إلى أسبانيا لمناقشة هذه القضية وتوجد وثائق بتاريخ ١٦ سبتمبر سنة ١١٤٠ م عن طريق مقدم جماعة القبر المقدس ومن المقدم الأكبر ريموند لجماعة الإسبتارية بالتنازل لريموند برنجير عن مطالبهم بالمملكة وفى المقابل منحهم العديد من الأملاك والامتيازات كتعويض عن ذلك(٤).

---

(١) تعرضنا فى أكثر من موضوع لهذا الموضوع .

(٢) pp. 154-156 .

(٣) p. 157 .

(٤) p. 158 .

ويشير أيضا أنه بالنسبة لجماعة الدواويين فليس لدينا وثيقة عن التنازل ولكن من خلال وثائق الامتيازات والمنح لهم يتضح موافقتهم على هذا التنازل وكان ذلك من خلال توسط المندوب البابوى الكاردينال جيدو بحضور أساقفة سرقسطة ووشقة وبيشو فى تاريخ ٢٧ من نوفمبر سنة ١١٤٣ بأن الداوية تلقوا قلاع Monzon و Mongaudi و Berbera والعديد من القلاع والأراضى أما بالنسبة للاسبتارية فقد تلقوا كثيراً من المنح والامتيازات مثل مدينة دروقة ومع اشارات عديدة فى نفس هذا الموضوع (١).

ومن الإشارات الهامة عن دخول جماعتى الإسبتارية والداوية فكرة هذه الجماعات ونشأتها وتأثر الملك ألفونسو المحارب بهاتين الجماعتين ومحاولته انشاء جماعات وطنية (بلشيت ومونريال) على غرارهما ثم عودة إلى مغزى وصية ألفونسو المحارب لوراثة هذه الجماعات وذلك من أجل قتال المسلمين والقضاء عليهم والإشارة إلى دخول ريموند برنجير الثالث كونت برشلونة فى سلك جماعة الداوية سنة ١١٣٠م(٢) ثم الفصل الأخير والذى تعرض فى أكثر من موضع لجماعات الرهبان الفرسان الإسبتارية والداوية .

ومن أهم المراجع البرتغالية على الاطلاق تاريخ البرتغال لإسكندر هرقلانو:

Herculano : A, Historia de portugal

وقد اعتمدت على طبعتين : الأولى سبعة أجزاء Lisboa 1983 والطبعة الثانية فى ثلاثة أجزاء Lisboa 1980 وهذا المرجع لاغنى لباحث فى تاريخ البرتغال عن الاستفادة منه لأنه من أهم المؤلفات التى عالجت تاريخ مملكة البرتغال ويشمل تاريخها منذ الجذور الأولى للملكة فى عهد الملك ألفونسو الثالث . وكان أول نشر له عام ١٨٤٢ إلى عام ١٨٥٣م واعتبره كثير من المؤرخين مصدراً من مصادر التاريخ البرتغالى الرئيسية . ويتميز بالمنهج العلمى السليم وقد اتبع مؤلفه طريقة السرد المفسر والتعليق والمقارنة بين كثير من الأحداث التاريخية.

أما بالنسبة لأهميته كمرجع عن الإسبتارية والداوية فى البرتغال ففيه كثير من الاشارات إليهما والتى يبدأ أولها بدخول . هذه الجماعة الداوية البرتغال فى عهد دونيا تريزا عندما منحتهم الأراضى سنة ١١٢٦م وقلعة سورى وتفاصيل عديدة تخص هذا الموضوع ومن اقرار ألفونسو هنريكز لهذه الممتلكات وأضاف عليها الكثير(٣)، والاشارات المتفرقة فى مواضع مختلفة.

---

(١) pp. 159-100 .

(٢) pp. 172 .

(٣) وتعرضنا لكثير من هذه التفاصيل من قبل Lisboa 1983 , pp. 20-21 .

ومن الإشارات الهامة أيضا عندما قرر ألفونسو هنريكز منح جماعة الداوية ثلث الأراضى التى يستولون عليها ويعمرونها فى اقليم الالنتخو مع شرط أن تكون هذه الأراضى خاضعة له ولخلفائه بينما تستمر الحرب بين المسيحيين والمسلمين . ويشير أيضا إلى منحهم قلعة سيرا وأراضى فى أعالى الاكسترا مادورا ومنحوا أيضا أراضى فى شرق Beira ومناطق أخرى عديدة ثم مشاركة الداوية فى تأسيس كثير من القلاع مثل بومبال Pambal وطمان Tomar وأوزير Ozezar والمورال Almoural وادانيا Idanho ومونسانتو Moncanto وكان لهم نشاط كبير ضد المسلمين سواء فى الدفاع أو الهجوم (١).

ومن المراجع الهامة :

Serrao : Historia de Portugal 2 vol , lisboa 1976 .

ويتحدث عن تاريخ البرتغال ويتناول مقدمة عن بداية تاريخها منذ عهد القبائل الجرمانية التى سكنت غرب الأندلس ثم يتناول التاريخ بعد ذلك على حسب ترتيب السنوات .

وترجع أهميته إلى أنه يعطينا صورة تتكامل مع المراجع الأخرى فى تكوين معلوماتنا عن الإسبتارية والداوية فى البرتغال ، ونجد على سبيل المثال اشارات مثل عطاءات وهبات ألفونسو هنريكز فى ابريل سنة ١١٤٧م لجماعة الداوية وتشجيعهم لمساعدته فى فتح مدينة شنترين واشترك فرق عسكرية منهم فى الفتح وكثيرا من التفاصيل الخاصة بهذا الموضوع(٢).

وأيضا من الاشارات الهامة عندما تقدم أبو زكريا حاكم شنترين لمهاجمة قلعة سورى مركز الداوية والتى كانت تشن منها الحملات ضد أراضى المسلمين وتم تدميرها والانتصار على جماعة الداوية (٣).

واشارات أخرى فى فتح شنترين وفتح لشبونة ودور جماعتى الداوية والإسبتارية فى ذلك(٤).

---

(١) Ibid , pp. 135-136 .

(٢) Vol 1, p. 92 .

(٣) p. 93 .

(٤) pp. 95-97 .

ومن الإشارات الهامة أيضا عن اشتراك الجماعتين مع ألفونسو هنريكز فى حملاته الاستردادية فى أراضى المسلمين وعلى سبيل المثال حملة مدينة باجة ١١٥٥م وقصر بن أبى دانس ١١٥٧-١١٥٨م وباجة مرة أخرى عليه عامى ١١٦٢ -١١٦٥ وعلى بابرة سنة ١١٦٦ وعلى الأراضى الالنتخو كثيرا (١).

ونجد على طول فترات حكم ملوك البرتغال اشارات عديدة على مشاركتى الإسبتارية والداوية سواء فى تعمير الأراضى المستردة من المسلمين أو الدفاع عن قلاع الحدود أو المشاركة بفرق عسكرية فى هجوم الملوك البرتغاليين ضد المدن والقلاع الإسلامية نجد على سبيل المثال أن سانشو الأول ملك البرتغال عندما منحهم أراضى محيطة بمدينة Guarda وذلك ثمنا لمساعدته (٢).

ومن المراجع الهامة عن ملكات البرتغال لبنفيدس: Benevides, F Rainhas de Portegal T1, Lisboa 1878 .

وهذا المرجع سيعرض تاريخ ملكة البرتغال من خلال ملكاتها أى زوجات ملوك البرتغال وأول قائمة هذه الملكات دونيا تريزا زوجة هنرى البورجونى وأم الملك ألفونسو هنريكز مؤسس المملكة . وأهمية هذا المرجع بالنسبة للداوية والإسبتارية هو أنه يحدد أول دخول للجماعتين إلى البرتغال تحت حكم دونيا تريز وبالوثائق، فأولى هذه الإشارات فى عام ١١٢٦ م كان دخول الداوية فى البرتغال بمنحهم أراض عديدة وأضيفت إليها قلعة سورى سنة ١١٢٨م ثم بعد ذلك قلعة طمان والتى كانت قاعدة لجالدين بايز Gualdim Paez مقدم الجماعة فى البرتغال. وأيضا فى سنة ١١٥٩م قد وصلت هذه الجماعة إلى درجة كبيرة من القوة والثراء والمكانة(٣).

وأيضاً من الاشارات الهامة عن أول دخول لجماعة الإسبتارية كان فى العام الأخير لحكم دونيا تريزا سنة ١١٢٨م عندما منحتهم بعض الأملاك وأهمها أودية S. Payode Gonfez و Leca ثم الاشارة إلى أسماء بعض هذه القلاع والأراضى(٤).

وإشارة هامة إلى وثيقة منح قلعة سورى لجماعة الداوية فى ١٩ مارس سنة ١١٢٨م بالإضافة إلى الاشارات المختلفة أثناء حكم ملوك البرتغال ومشاركتهم فى حروب الاسترداد ومنحهم لكثير من القلاع والأراضى لتعميرها .

---

(١) pp. 101-102 .

(٢) p. 113 .

(٣) p. 74-75 .

(٤) p. 74-75 .

ومن المؤلفات الهامة جداً عن ألفونسو المحارب ملك أراجون للباحث لاكارا

Lacarra, Alfonso el Battalldor.

وهذا المؤرخ والأستاذ بجامعة سرقسطة له العديد من المؤلفات والأبحاث الخاصة بتاريخ مملكة أراجون . وهو من المؤرخين الإسبان المشهود لهم بالدراسات الجادة الموثقة ومن أهم هذه المؤلفات عن ألفونسو المحارب والذى يستعرض فيه بداية وضع المملكة قبل توليه ثم يستعرض توليته وأعمال وفتوحاته ضد المسلمين وأشار بتفصيلات عديدة إلى قضية زواجه من اوراكا وريثة مملكة قشتالة وليون وتوحيدهما ، ثم اندلاع الحرب الأهلية بينهما والتى استمرت طوال حكم ألفونسو المحارب وإن كانت تفور أحيانا وتخمد أحيانا أخرى ولكنها كانت سمة عامة لحكمه وتعتبر تلك الفترة من أصعب فترات التاريخ الأسبانى لتداخل أحداثها وتشابكها ثم أشار إلى فتوحاته ضد المسلمين وأشار فى فصل كامل لفتح سرقسطة أهم فتوحاته عام ١١١٨ق (١).

ويمتاز هذا المؤلف بانه دراسة شاملة عن ملك يعتبر من أهم ملوك مملكة أراجون بل يعتبر هو مؤسسها الحقيقى واستعرض جميع جوانب هذه الشخصية ولاغنى لباحث عن فترة أوائل القرن الثانى عشر من الاستعانة بهذا المؤلف .

أما بالنسبة لاشاراته عن جماعتى الإسبتارية والداوية فى مملكة أراجون فى عهد الملك ألفونسو المحارب، فالواقع أن هذا الملك يعتبر من أول وأهم الملوك الذين تعهدوا هذه الجماعات المساعدة والرعاية- كما أشرنا من قبل- فنجد أنه يشير إلى نشاتهما ببلاد الشام ثم بداية دخولهما إلى مملكة أراجون عن طريقة جمع الصدقات والهبات ، وخاصة بعد توجيهات البابوية لملوك أسبانيا بالسماح للجماعتين بتأسيس مراكز لجمع الصدقات وارسالها إلى بلاد الشام . ثم المرحلة الثانية من التوطيد عن طريق الاستقرار فى الأملاك والهبات والعطايا من الملك ألفونسو المحارب وكيف أنه من شدة حماسته لهذه الجماعات فكر واقترح تأسيس جماعات دينية على غرار تلك الجماعات مثل بلشيت ومونريال (٢)، وأيضا الاشارات العديدة مثل وصية ألفونسو المحارب لهذه الجماعات وتقسيمه المملكة عليهم واشارات أخرى عديدة تعرضنا لها فى مصادر ومراجع سابقة(٣).

---

(١) نشر أيضا هذا الفصل مع تنقيح واضاف بعض المعلومات فى مجلة الاندلس التى تصدر باللغة الإسبانية عن العهد الاسبانى العربى العدد الثانى عشر عام سنة ١٩٤٧م.

(٢) pp. 97-101 .

(٣) pp. 60, 71 - 98 .

ومن الأبحاث الهامة لنفس المؤلف لاكارا عن اعادة تعمير وادى الابرو الذى القى فى مؤتمر عقد عن حركة الاسترداد الاسبانية وتعمير البلاد.

Lacarra,

La Reconquista Espanola y la Repiblacion del Pais , Zarayoza 1951 .

حيث يتعرض لدور الإسبتارية والداوية فى تعمير هذه الأراضى فى وادى نهر الابرو وخاصة مدن طرطوشة ولاردة ومنحهم اجزاء فى هذه المدن (١).

وبحث آخر منشور فى نفس المجلد وهو

Jose. M. Fonty Ruis :

La Reconquistay y Repoblacion de Levantey y Murcia .

وهو عن استرداد وتعمير الشرق ومرسية ويتحدث عن فتوحات الملوك الأراجونيين وكيف أن الإسبتارية والداوية شاركوا فى أحداث هذه الفتوحات مشاركات هامة.

وهناك اشارات أخرى إلى دور الجماعتين فى تشكيل فرق عسكرية بلدية فى القرى فى أراجون السفلى مثل توريل Teruel ودروقة Doroca وقلعة أيوب Calatayud فى اقليم لاردة وطرطوشة ، واشارات إلى أماكن أخرى.

وجدير بالذكر أن الاشارات لهاتين الجماعتين فى مواضع قليلة ولكنها اشارات هامة تضع الجماعتين فى نسيج أحداث مملكة أراجون وأن دورهما لايقل أهمية عن الأدوار الأخرى فى تعمير وادى نهر الابرو.

وبهذا نكون قد عرضنا لدراستنا التحليلية النقدية لأهم الوثائق والمصادر والمراجع الاسبانية والبرتغالية عن الإسبتارية والداوية فى أسبانيا والبرتغال .

Estudios sobre las

cruzadas en Al- Andalus

D. Mohamed Mahmud Elnashar

رقم الإيداع ١٤٠١٤ /٢٠٠٣

I.S.B.N. 977 - 322 - 117 - 2 الترقيم الدولى

مطابع زمزم ت: ٧٩٥٢٣٦٢ - ٧٩٥٠٦٩٤

٥٣ شارع نوبار - باب اللوق